



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

مختصر في تفسير القرآن
التبليغ في تفسير القرآن

مُرْهُ عَلَى الْقُرْآنِ

الجزء الرابع

سورة التلاوة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار التكاويف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٩	من هدى القرآن المجلد ٤
٢٩	اشاره
٣٠	اشاره
٣٤	سوره الأنفال
٣٤	فضل السوره
٣٤	الإطار العام
٣٤	اشاره
٣٤	الموضوع:
٣٩	[سوره الأنفال (٨): الآيات ١ الى ٤]
٣٩	اشاره
٣٩	اللغه
٤٠	حق التصرف فى الاملاك العامه
٤٠	هدى من الآيات:
٤١	بينات من الآيات:
٤١	ما هى الأنفال؟ و لمن؟
٤١	التقوى فى القضايا الماليه:
٤٢	الصفات النفسيه للمؤمنين:
٤٥	[سوره الأنفال (٨): الآيات ٥ الى ٨]
٤٥	اشاره
٤٥	اللغه
٤٦	التسليم لأوامر الرب سبحانه
٤٦	هدى من الآيات:
٤٧	بينات من الآيات:

٤٧ اشاره

٤٨ ذات الشوكه:

٤٩ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٩ الى ١٤]

٤٩ اشاره

٤٩ اللغه

٥١ الأمداد الغيبى متى و كيف؟

٥١ هدى من الآيات:

٥٢ بينات من الآيات:

٥٢ التوكل سر الانتصار:

٥٤ تثبيت الله تعالى -

٥٤ [سوره الأنفال (٨): الآيات ١٥ الى ١٩]

٥٤ اشاره

٥٤ اللغه

٥٧ القتال بين الاستقامه و التوكل -

٥٧ هدى من الآيات:

٥٨ بينات من الآيات:

٥٨ الثبات فى مواجهه:

٥٨ الاتكال على الله تعالى:

٥٩ الوهن و الانتصار

٦١ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٢٠ الى ٢٤]

٦١ اشاره

٦١ اللغه

٦٢ الاستجابه لله: حياه

٦٢ هدى من الآيات:

٦٣ بينات من الآيات:

٦٣ طاعه القياده:

- ٦٣ شر الدواب عند الله:
- ٦٤ رساله الله دعوه الى الحياه:
- ٦٤ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٢٥ الى ٢٨]
- ٦٤ اشاره
- ٦٧ اتقوا فتنه المال و الأولاد
- ٦٧ هدى من الآيات:
- ٦٨ بينات من الآيات:
- ٦٨ مسئوليه الامه عند الخلافت:
- ٦٩ العبره بالماضى ضمان للمستقبل:
- ٧٠ التجسس لصالح العدو خيانه:
- ٧٢ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٢٩ الى ٣٣]
- ٧٢ اشاره
- ٧٢ اللغه
- ٧٣ التقوى بصيره
- ٧٣ اشاره
- ٧٣ هدى من الآيات:
- ٧٤ بينات من الآيات:
- ٧٤ آثار التقوى:
- ٧٥ السبيل الى تأييد الله:
- ٧٦ موعد العذاب:
- ٧٨ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٣٤ الى ٣٧]
- ٧٨ اشاره
- ٧٩ إنفاق الكفار: حسره و هزيمه
- ٧٩ هدى من الآيات:
- ٨٠ بينات من الآيات:
- ٨٠ سنه العذاب:

٨٣ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

٨٣ اشارة

٨٤ كيف نواجه الكفار

٨٤ هدى من الآيات:

٨٤ بينات من الآيات:

٨٤ سنه الانتصار

٨٥ الحكمه من القتال:

٨٧ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٤١ الى ٤٤]

٨٧ اشارة

٨٨ الخمس و قضاء المواجهه

٨٨ هدى من الآيات:

٨٩ بينات من الآيات:

٨٩ الكيان المالى للإسلام:

٩٠ موارد الخمس:

٩٠ فى اى شىء يفرض الخمس؟

٩٠ وجوه صرف الخمس:

٩٢ القضاء و القدر

٩٤ تدبير الله:

٩٦ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٤٥ الى ٤٩]

٩٦ اشارة

٩٦ اللغه

٩٨ عوامل الانتصار

٩٨ هدى من الآيات:

٩٩ بينات من الآيات:

٩٩ شروط الانتصار:

١٠٢ دوافع القتال عند الكفار:

١٠٣ ساعه المواجهه!

١٠٥ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٥٠ الى ٥٦]

١٠٥ اشاره

١٠٦ الكفار يصنعون جزاءهم بأيديهم

١٠٦ هدى من الآيات:

١٠٧ بينات من الآيات:

١٠٧ القيم فوق كل شيء:

١١١ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٥٧ الى ٦٣]

١١١ اشاره

١١١ اللغة

١١٣ استراتيجيات القتال:

١١٣ اشاره

١١٣ هدى من الآيات:

١١٤ بينات من الآيات:

١١٤ الاجراءات الهجوميه فى العسكريه الاسلاميه:

١١٤ الخيانه و نقض العهد:

١١٧ أسباب الحروب:

١١٩ [سوره الأنفال (٨): الآيات ٦٤ الى ٦٩]

١١٩ اشاره

١١٩ اللغة

١٢١ بين القيادة و الأمه:

١٢١ اشاره

١٢١ هدى من الآيات:

١٢٢ بينات من الآيات:

١٢٢ دور القائد فى الحرب:

١٢٢ مظاهر قوه المؤمنين:

١٢٦----- [سوره الأنفال (٨): الآيات ٧٠ الى ٧٥]

١٢٦----- اشارة

١٢٦----- اللغة

١٢٨----- المسلمون امه واحده

١٢٨----- هدى من الآيات:

١٢٩----- بينات من الآيات:

١٢٩----- كيف يوصى الإسلام بالأسرى؟

١٣٠----- صفات المجتمع الواحد:

١٣٢----- الكفر امه واحده:

١٣٤----- سوره التوبه

١٣٤----- اشارة

١٣٦----- فضل السوره

١٣٨----- الإطار العام

١٣٨----- اسم السوره:

١٣٨----- الإطار العام:

١٤١----- [سوره التوبه (٩): الآيات ١ الى ٥]

١٤١----- اشارة

١٤١----- اللغة

١٤٣----- الإنذار الأخير لأعداء الرساله

١٤٣----- هدى من الآيات:

١٤٤----- بينات من الآيات:

١٤٤----- لماذا ألغيت المعاهدات:

١٤٧----- لا لتجديد العهد:

١٤٩----- [سوره التوبه (٩): الآيات ٦ الى ١١]

١٤٩----- اشارة

١٥٠----- خيانه المشركين

- ١٥٠ اشارة
- ١٥٠ هدى من الآيات:
- ١٥١ بينات من الآيات:
- ١٥١ إبلاغ الرساله:
- ١٥٢ المشركون المعاهدون:
- ١٥٤ التوبه باب الرحمه الالهيه:
- ١٥٥ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٢ الى ١٥]
- ١٥٥ اشارة
- ١٥٦ حكم الذين ينكثون أيمانهم:
- ١٥٦ هدى من الآيات:
- ١٥٧ بينات من الآيات:
- ١٥٧ فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ
- ١٦١ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٦ الى ٢٢]
- ١٦١ اشارة
- ١٦٣ المجاهدون أعظم درجه عند الله
- ١٦٣ هدى من الآيات:
- ١٦٤ بينات من الآيات:
- ١٦٤ الايمان الصادق:
- ١٦٤ العمل الصالح جوهر لا مظهر:
- ١٧٠ [سوره التوبه (٩): الآيات ٢٣ الى ٢٧]
- ١٧٠ اشارة
- ١٧٠ اللغه
- ١٧٢ الجهاد ذروه أولويات المؤمن:
- ١٧٢ هدى من الآيات:
- ١٧٣ بينات من الآيات:
- ١٧٣ المجاهد يتحدى الضغوط الاجتماعيه:

١٧٦ دروس من حنين:

١٧٩ [سوره التوبه (٩): الآيات ٢٨ الى ٣١]

١٧٩ اشاره

١٧٩ اللغة

١٨٠ هكنا قضي الرب

١٨٠ اشاره

١٨٠ هدى من الآيات:

١٨١ بينات من الآيات:

١٨١ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ :

١٨٣ من هم المشركون، و ما واجبنا؟

١٨٤ مظاهر الشرك:

١٨٨ [سوره التوبه (٩): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

١٨٨ اشاره

١٨٩ انحراف أهل الكتاب

١٨٩ اشاره

١٨٩ هدى من الآيات:

١٩٠ بينات من الآيات:

١٩٠ المؤامرات على الرساله:

١٩١ أهداف الرساله:

١٩٢ الممارسات العمليه للأخبار و الرهبان:

١٩٤ ما هو الكنز؟

١٩٦ [سوره التوبه (٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

١٩٦ اشاره

١٩٦ اللغة

١٩٨ النسيء عقده الجاهليه،

١٩٨ اشاره

- ١٩٨ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٩٩ ----- بينات من الآيات: -----
- ١٩٩ ----- الأشهر الحرم و الأهواء الجاهليه: -----
- ٢٠٠ ----- ما هو النسيء؟ -----
- ٢٠٣ ----- سنه التحرك فى الحياه: -----
- ٢٠٤ ----- قصه الهجره و الانتصار: -----
- ٢٠٦ ----- [سوره التوبه (٩): الآيات ٤١ الى ٤٥] -----
- ٢٠٦ ----- اشاره -----
- ٢٠٦ ----- اللغه -----
- ٢٠٧ ----- التعبئه العامه و تبريرات المنافقين -----
- ٢٠٧ ----- هدى من الآيات: -----
- ٢٠٨ ----- بينات من الآيات: -----
- ٢٠٨ ----- الاستنفار و الجهاد: -----
- ٢٠٩ ----- موقف المنافقين: -----
- ٢١٠ ----- تعريه الطبقات الفاسده فى المجتمع: -----
- ٢١٢ ----- [سوره التوبه (٩): الآيات ٤٦ الى ٥٢] -----
- ٢١٢ ----- اشاره -----
- ٢١٤ ----- هكذا تقاعس المنافقون عن الجهاد -----
- ٢١٤ ----- هدى من الآيات: -----
- ٢١٥ ----- بينات من الآيات: -----
- ٢١٥ ----- ما هو الجهاد؟ -----
- ٢١٨ ----- الطايور الخامس: -----
- ٢١٩ ----- مراجعه السوابق: -----
- ٢٢٠ ----- واقع المنافقين: -----
- ٢٢١ ----- معرفه المنافقين بعد الانتصار: -----
- ٢٢٢ ----- كيف نتصرف عند المصائب؟ -----

- ٢٢٣ النصر أو الشهادة:
- ٢٢٤ [سوره التوبه (٩): الآيات ٥٣ الى ٥٧]
- ٢٢٤ اشاره
- ٢٢٤ اللغه
- ٢٢٥ المنافقون و التظاهر بالدين
- ٢٢٥ هدى من الآيات:
- ٢٢٦ بينات من الآيات:
- ٢٢٦ إنفاق المنافقين رياء أو خوفا:
- ٢٢٧ لماذا أعداء الرساله منعمين؟
- ٢٣٠ [سوره التوبه (٩): الآيات ٥٨ الى ٦٠]
- ٢٣٠ اشاره
- ٢٣١ كيف تصرف الصدقات؟
- ٢٣١ هدى من الآيات:
- ٢٣٢ بينات من الآيات:
- ٢٣٢ الانتماء المصلحي
- ٢٣٣ أين تصرف الصدقات؟
- ٢٣٤ [سوره التوبه (٩): الآيات ٦١ الى ٦٣]
- ٢٣٤ اشاره
- ٢٣٧ المنافقون يحاددون الرسول
- ٢٣٧ اشاره
- ٢٣٧ هدى من الآيات:
- ٢٣٨ بينات من الآيات:
- ٢٣٨ القنوات الخبريه فى الإسلام:
- ٢٣٩ كيف يثبت المنافقين انتماءهم؟
- ٢٤١ [سوره التوبه (٩): الآيات ٦٤ الى ٦٨]
- ٢٤١ اشاره

- ٢٤٢ يستهزئ المنافقون،
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٢ هدى من الآيات:
- ٢٤٣ بينات من الآيات:
- ٢٤٣ خوف المنافقين من فضيحه:
- ٢٤٣ متى يتحول المنافق الى مجرم؟
- ٢٤٥ عاقبه النفاق النار:
- ٢٤٦ [سوره التوبه (٩): الآيات ٦٩ الى ٧٢]
- ٢٤٦ اشاره
- ٢٤٨ هكذا كانت عاقبه المستهزئين
- ٢٤٨ هدى من الآيات:
- ٢٤٩ بينات من الآيات:
- ٢٤٩ دروس من التاريخ:
- ٢٥٠ صفات المؤمنين:
- ٢٥٣ [سوره التوبه (٩): الآيات ٧٣ الى ٧٨]
- ٢٥٣ اشاره
- ٢٥٤ هكذا امتحنهم الله بالثروه
- ٢٥٤ هدى من الآيات:
- ٢٥٥ بينات من الآيات:
- ٢٥٥ جاهد الكفار و المنافقين:
- ٢٥٦ من صفات المنافقين:
- ٢٥٩ الغنى سلم الكفر:
- ٢٦٢ [سوره التوبه (٩): الآيات ٧٩ الى ٨٣]
- ٢٦٢ اشاره
- ٢٦٣ و يسخرون من المؤمنين
- ٢٦٣ هدى من الآيات:

- ٢٦٤ بينات من الآيات:
- ٢٦٤ كلّ يرى الناس بعين طبعه:
- ٢٦٥ هل يجوز أن نستغفر للمنافق؟
- ٢٦٦ التخلف عن سوح الجهاد:
- ٢٦٧ الموقف الرسالي من المتخلفين:
- ٢٦٩ [سوره التوبه (٩): الآيات ٨٤ الى ٨٩]
- ٢٦٩ اشاره
- ٢٦٩ اللغه
- ٢٧٠ لا للقيم الماديه نعم للجهاد
- ٢٧٠ هدى من الآيات:
- ٢٧١ بينات من الآيات:
- ٢٧١ سحب الشرعيه عن المنافقين:
- ٢٧٢ لا شرعيه للعدّه و العدد:
- ٢٧٣ مواقف المجتمع من الجهاد:
- ٢٧٣ ١-المنافقون
- ٢٧٤ ٢-المؤمنون
- ٢٧٦ [سوره التوبه (٩): الآيات ٩٠ الى ٩٢]
- ٢٧٦ اشاره
- ٢٧٧ المعذّرون و المعتذرون
- ٢٧٧ هدى من الآيات:
- ٢٧٨ بينات من الآيات:
- ٢٧٨ المعذّرون من الاعراب:
- ٢٧٩ من يجوز له التخلف؟
- ٢٨٠ جهاد المعذّورين:
- ٢٨١ انما الأعمال بالنيات:
- ٢٨٤ [سوره التوبه (٩): الآيات ٩٣ الى ٩٦]

- ٢٨٤ اشاره
- ٢٨٥ المنافقون
- ٢٨٥ اشاره
- ٢٨٥ هدى من الآيات:
- ٢٨٦ بينات من الآيات:
- ٢٨٦ على من يقع الحرج؟
- ٢٨٦ النقمه الجماهيريه:
- ٢٨٧ الرؤيه الرساليه
- ٢٩٠ [سوره التوبه (٩): الآيات ٩٧ الى ٩٩]
- ٢٩٠ اشاره
- ٢٩١ مواقف الأعراب من الرساله
- ٢٩١ هدى من الآيات:
- ٢٩٢ بينات من الآيات:
- ٢٩٢ من صفات الاعراب
- ٢٩٤ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٠٠ الى ١٠٢]
- ٢٩٤ اشاره
- ٢٩٤ اللغه
- ٢٩٥ مواقف الناس من الجهاد
- ٢٩٥ هدى من الآيات:
- ٢٩٦ بينات من الآيات:
- ٢٩٦ طبقات المؤمنين
- ٢٩٧ الصف المقابل للمؤمنين:
- ٢٩٧ ضعف الايمان
- ٢٩٨ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٠٣ الى ١٠٦]
- ٢٩٨ اشاره
- ٢٩٨ اللغه

- ٢٩٩ بين الصدقات و التطهير
- ٢٩٩ هدى من الآيات:
- ٣٠٠ بينات من الآيات:
- ٣٠٠ متى تكون الصدقه قسرا؟
- ٣٠١ قبول الله للصدقات:
- ٣٠٢ المرجون لأمر الله:
- ٣٠٤ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٠٧ الى ١١٠]
- ٣٠٤ اشاره
- ٣٠٥ رساله المسجد و مسجد الضرار
- ٣٠٥ هدى من الآيات:
- ٣٠٦ بينات من الآيات:
- ٣٠٦ مسجد ضرار:
- ٣٠٨ أساس المسجد و اهدافه:
- ٣٠٩ الشك و الاهداف القصيره:
- ٣١١ [سوره التوبه (٩): الآيات ١١١ الى ١١٢]
- ٣١١ اشاره
- ٣١٢ صفات المجاهدين
- ٣١٢ هدى من الآيات:
- ٣١٣ بينات من الآيات:
- ٣١٣ علاقه الله بالمؤمن بيع و شراء
- ٣١٤ صفات المؤمنين:
- ٣١٦ [سوره التوبه (٩): الآيات ١١٣ الى ١١٦]
- ٣١٦ اشاره
- ٣١٦ اللغه
- ٣١٧ الولاء للرساله
- ٣١٧ هدى من الآيات:

- ٣١٨ بينات من الآيات:
- ٣١٨ شروط الاستغفار:
- ٣٢١ [سوره التوبه (٩): الآيات ١١٧ الى ١١٨]
- ٣٢١ اشاره
- ٣٢٢ الطاعه فى ساعه العسره
- ٣٢٢ هدى من الآيات:
- ٣٢٢ بينات من الآيات:
- ٣٢٢ الشفاعة متى و لماذا؟
- ٣٢٤ حين تضيق بنا الحياه!
- ٣٢٥ [سوره التوبه (٩): الآيات ١١٩ الى ١٢٢]
- ٣٢٥ اشاره
- ٣٢٥ اللغه
- ٣٢٧ خطوات المجاهدين عمل صالح
- ٣٢٧ هدى من الآيات:
- ٣٢٨ بينات من الآيات:
- ٣٢٨ واجبات و أولويات المؤمن
- ٣٢٨ صفات المجتمع الرسالى:
- ٣٣٠ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ :
- ٣٣٠ الامه الاسلاميه و واجب الطليعه:
- ٣٣١ صفات الفقهاء:
- ٣٣٣ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٢٣ الى ١٢٧]
- ٣٣٣ اشاره
- ٣٣٤ موقف المنافقين من القرآن
- ٣٣٤ هدى من الآيات:
- ٣٣٥ بينات من الآيات:
- ٣٣٥ قرار الحرب لأقرب الأعداء:

- ٣٣٧ موقفتنا و موقفهم:
- ٣٣٧ متى يكون الهدى سببا فى الضلال؟
- ٣٣٨ التفسير الخاطى للاحداث و سببه:
- ٣٤٠ [سوره التوبه (٩): الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]
- ٣٤٠ اشاره
- ٣٤١ صفات الرسول صلى الله عليه و آله
- ٣٤١ هدى من الآيات:
- ٣٤١ بينات من الآيات:
- ٣٤١ سيره الرسول صلى الله عليه و آله :
- ٣٤٢ لو لم يؤمنوا برسالته؟
- ٣٤٤ سورة يونس
- ٣٤٤ اشاره
- ٣٤٤ أحاديث فى فضل السوره:
- ٣٤٨ الإطار العام
- ٣٥٢ [سوره يونس (١٠): الآيات ١ الى ٢]
- ٣٥٢ اشاره
- ٣٥٣ لماذا كذبوا برسل الله؟
- ٣٥٣ هدى من الآيات:
- ٣٥٤ بينات من الآيات:
- ٣٥٤ معنى الحروف القرآنيه المقطعه:
- ٣٥٤ [سوره يونس (١٠): الآيات ٣ الى ٦]
- ٣٥٤ اشاره
- ٣٥٧ آيات لقوم يتقون
- ٣٥٧ هدى من الآيات:
- ٣٥٨ بينات من الآيات:
- ٣٥٨ الربوبيه صفه ذاتيه:

- ٣٥٩ من أهداف الخلق:
- ٣٦٠ العلاقة بين هدفه الحياه و التقوى:
- ٣٦٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧ الى ١٠]
- ٣٦٣ اشاره
- ٣٦٤ الكفر و الايمان الأسباب و النتائج
- ٣٦٤ هدى من الآيات:
- ٣٦٥ بينات من الآيات:
- ٣٦٥ هل ترجو لقاء الله؟
- ٣٦٦ النموذج المعاكس:
- ٣٦٧ متعه المؤمنين:
- ٣٦٨ [سوره يونس (١٠): الآيات ١١ الى ١٤]
- ٣٦٨ اشاره
- ٣٦٩ الامتحان الإلهي
- ٣٦٩ هدى من الآيات:
- ٣٧٠ بينات من الآيات:
- ٣٧٠ العجله من الشيطان:
- ٣٧١ الطغيان عمى البصيره:
- ٣٧٢ الهلاك مصير المجرمين و سنه الحياه:
- ٣٧٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ١٥ الى ١٧]
- ٣٧٣ اشاره
- ٣٧٤ الكافر بالآخره لا يفقه بآيات الله
- ٣٧٤ هدى من الآيات:
- ٣٧٥ بينات من الآيات:
- ٣٧٥ الأيمان طريق المعرفه:
- ٣٧٦ دلالات إلهيه الرساله:
- ٣٧٩ [سوره يونس (١٠): الآيات ١٨ الى ٢٠]

- ٣٧٩ اشارة
- ٣٨٠ وحدانيه الله سبحانه
- ٣٨٠ هدى من الآيات:
- ٣٨١ بينات من الآيات:
- ٣٨١ بمن نشفع؟
- ٣٨٢ سبب الاختلاف:
- ٣٨٣ لا للجبر..نعم للاختيار:
- ٣٨٤ [سوره يونس (١٠): الآيات ٢١ الى ٢٣]
- ٣٨٤ اشارة
- ٣٨٥ عند الخطر يجأر العبد الى الله
- ٣٨٥ هدى من الآيات:
- ٣٨٦ بينات من الآيات:
- ٣٨٦ المكر بعد الرحمه:
- ٣٨٨ الكفر بعد الشكر:
- ٣٨٩ [سوره يونس (١٠): الآيات ٢٤ الى ٢٧]
- ٣٨٩ اشارة
- ٣٨٩ اللغه
- ٣٩١ دار الفناء أم دار السلام
- ٣٩١ هدى من الآيات:
- ٣٩٢ بينات من الآيات:
- ٣٩٢ وحدانيه الخلق و التدبير:
- ٣٩٣ إلى دار السلام:
- ٣٩٥ جزاء السيئات:
- ٣٩٦ [سوره يونس (١٠): الآيات ٢٨ الى ٣٠]
- ٣٩٦ اشارة
- ٣٩٦ اللغه

هل ينفع الشركاء فى اليوم الاخر؟ ٣٩٧

هدى من الآيات: ٣٩٧

بينات من الآيات: ٣٩٨

و كشف الحجاب: ٣٩٨

التبرى من المسؤليه: ٣٩٨

[سوره يونس (١٠): الآيات ٣١ الى ٣٣] ٤٠٠

اشاره ٤٠٠

التدبير آيه الرب ٤٠١

اشاره ٤٠١

هدى من الآيات: ٤٠١

بينات من الآيات: ٤٠٢

رزق الأرض و السماء: ٤٠٢

من الخالق؟ ٤٠٢

لماذا الانحراف؟ ٤٠٣

[سوره يونس (١٠): الآيات ٣٤ الى ٣٦] ٤٠٥

اشاره ٤٠٥

البشر بين الظن و الحق ٤٠٦

هدى من الآيات: ٤٠٦

بينات من الآيات: ٤٠٧

الكفر بعد المعرفه ٤٠٧

الصلاح من الله: ٤٠٨

بين الظن و الحق: ٤١٠

[سوره يونس (١٠): الآيات ٣٧ الى ٤٠] ٤١٢

اشاره ٤١٢

القرآن يتحدى بنفسه الكفار ٤١٣

هدى من الآيات: ٤١٣

٤١٤ بينات من الآيات:

٤١٤ استحاله افتراء القرآن:

٤١٥ دوافع الفكر:

٤١٨ [سوره يونس (١٠): الآيات ٤١ الى ٤٦]

٤١٨ اشاره

٤١٩ البراءه

٤١٩ اشاره

٤١٩ هدى من الآيات:

٤٢٠ بينات من الآيات:

٤٢٠ مبدئيه العلاقات:

٤٢٠ الذات منطلق الاهتداء:

٤٢٤ [سوره يونس (١٠): الآيات ٤٧ الى ٥٢]

٤٢٤ اشاره

٤٢٤ اللغه

٤٢٥ لكل امه أجل

٤٢٥ هدى من الآيات:

٤٢٦ بينات من الآيات:

٤٢٦ مجيء الرسول شرط التوقيت:

٤٢٧ سنن الحق فى الحياه:

٤٣٠ [سوره يونس (١٠): الآيات ٥٣ الى ٥٨]

٤٣٠ اشاره

٤٣٠ اللغه

٤٣١ القرآن يحطم حواجز الأيمان

٤٣١ هدى من الآيات:

٤٣٢ بينات من الآيات:

٤٣٢ فى رحاب الحقائق:

- التذكير بالآخره نقطه الانطلاق: ٤٣٣
- الوعد الحق: ٤٣٤
- السعاده الحقيقيه: ٤٣٥
- [سوره يونس (١٠): الآيات ٥٩ الى ٤١] ٤٣٦
- اشاره ٤٣٦
- اللغه ٤٣٦
- حرمه التشريع من دون اذن الله ٤٣٧
- هدى من الآيات: ٤٣٧
- بينات من الآيات: ٤٣٨
- الوحى هدى الطريق: ٤٣٨
- الرقابه الالهيه: ٤٣٩
- [سوره يونس (١٠): الآيات ٦٢ الى ٤٥] ٤٤١
- اشاره ٤٤١
- أولياء الله البشرى والعزه ٤٤٢
- هدى من الآيات: ٤٤٢
- بينات من الآيات: ٤٤٢
- هل نحن أولياء الله؟ ٤٤٢
- لمن البشرى؟ ٤٤٣
- لمن العزه؟ ٤٤٤
- [سوره يونس (١٠): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ٤٤٦
- اشاره ٤٤٦
- الشرك بين الظن والخرص ٤٤٧
- هدى من الآيات: ٤٤٧
- بينات من الآيات: ٤٤٨
- اشاره ٤٤٨
- الملك لله: ٤٤٨

- ٤٤٨ تدبير الله:
- ٤٤٩ لا والد و لا ولد!!
- ٤٥٠ عاقبه الافتراء:
- ٤٥٢ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧١ الى ٧٣]
- ٤٥٢ اشاره
- ٤٥٢ اللغة
- ٤٥٣ نوح يتحدى بالرساله الكافرين
- ٤٥٣ هدى من الآيات:
- ٤٥٤ بينات من الآيات:
- ٤٥٤ التوكل سلاح المؤمن:
- ٤٥٥ من حقائق الرساله:
- ٤٥٦ صدق الرساله و الرسول:
- ٤٥٧ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧٤ الى ٧٨]
- ٤٥٧ اشاره
- ٤٥٧ اللغة
- ٤٥٨ هكذا يطبع الله على قلوب المعتدين
- ٤٥٨ هدى من الآيات:
- ٤٥٩ بينات من الآيات:
- ٤٥٩ خط الرساله:
- ٤٦٠ موسى و فرعون النموذج البارز:
- ٤٦١ الرد الرسالي:
- ٤٦٢ النخوه الجاهليه:
- ٤٦٤ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧٩ الى ٨٦]
- ٤٦٤ اشاره
- ٤٦٤ اللغة
- ٤٦٥ الفشل عقبي المستكبرين

٤٦٥ هدى من الآيات:

٤٦٦ بينات من الآيات:

٤٦٦ و دقت ساعه الصفر:

٤٦٧ نصر الله:

٤٦٧ التوكل سلاح الحسم

٤٦٨ الرؤيه فى الصراع:

٤٧٠ [سوره يونس (١٠): الآيات ٨٧ الى ٩٣]

٤٧٠ اشاره

٤٧٠ اللغه

٤٧٢ هكذا نصر الله رسوله

٤٧٢ هدى من الآيات:

٤٧٣ بينات من الآيات:

٤٧٣ ضروره التجمع:

٤٧٤ الدعوه على الكافرين:

٤٧٥ استجابته الدعوه:

٤٧٧ الاختلاف بعد العلم:

٤٧٩ [سوره يونس (١٠): الآيات ٩٤ الى ٩٨]

٤٧٩ اشاره

٤٧٩ اللغه

٤٨٠ قوم يونس تابوا فى الوقت المناسب

٤٨٠ هدى من الآيات:

٤٨١ بينات من الآيات:

٤٨١ بين الشك و اليقين:

٤٨٢ كيف تخسر نفسك؟

٤٨٤ التكذيب سنه اجتماعيه:

٤٨٧ [سوره يونس (١٠): الآيات ٩٩ الى ١٠٣]

- ٤٨٧ اشاره
- ٤٨٨ بصائر الاختيار السليم
- ٤٨٨ هدى من الآيات:
- ٤٨٩ بينات من الآيات:
- ٤٨٩ الإيمان ماله الاختبار:
- ٤٨٩ الإيمان و مشيئه الله:
- ٤٩٠ هل نتفكر؟
- ٤٩١ عذاب الله متى؟ و كيف؟
- ٤٩٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ١٠٤ الى ١٠٩]
- ٤٩٣ اشاره
- ٤٩٤ الرسول
- ٤٩٤ اشاره
- ٤٩٤ هدى من الآيات:
- ٤٩٥ بينات من الآيات:
- ٤٩٥ موقف الرسول:
- ٤٩٥ مسئوليه الرسول:
- ٤٩٧ مسئوليه الجماهير:
- ٤٩٨ تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره

سوره الأنفال

فضل السوره

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«من قرأ سورة الأنفال و براهه فانا شفيع له و شاهد يوم القيامة انه برىء من النفاق و اعطى من الأجر بعدد كل منافق و منافقه فى دار الدنيا عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات و كان العرش و حملته يصلون عليه أيام حياته فى الدنيا»
مجمع البيان ص (٥١٦)

عن أبى عبد الله الحسين عليه السلام قال :

«من قرأ سورة الأنفال و براهه فى كل شهر لم يدخله نفاق و كان من شيعه أمير المؤمنين عليه السلام حقا و يأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب» البيان ص (٥١٦) ج ٤

و عن الامام الباقر عليه السلام قال :

«فى سورة الأنفال جدع الأنوف» مجمع البيان ص (٥١٦) ج ٤

ص:٥

سميت السوره الثامنه من القرآن بالأنفال لأن الحديث الاول فيها عن الغنائم الاضافيه التي تسمى ب(النفل) و هو كل زياده تعطى،

و فى الحديث الصحيح .«ان الأنفال:كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال،و كل ارض انجلى أهلها عنها بغير قتال،و يسميها الفقهاء فيئا،و قطائع الملوک إذا كانت فى أيديهم من غير غصب، و الاجام،و بطون الاوديه،و الأرضون الموات .»

و يمكننا ان نوجز الأنفال فى عبارته:هى كل شىء يتحرر من الملكيه الخاصه، فيعود الى الملكيه العامه بيد امام الامه،و فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله يكون بالطبع فى يده صلى الله عليه و آله .

الموضوع:

بعد ان جاءت الآيه الاولى فى الأنفال،و الآيه (٤١)فى خمس الغنائم بينما

كانت الآية (٦٦) في حليّه أكل الغنائم، وهذه الآيات الثلاث تشكل حكما واحدا حيث يجب تقسيم الغنائم التي يحصل عليها الجيش المجاهد بين المقاتلين، بعد إخراج خمسها لبيت المال، أما ما وراء الغنائم من الأنفال، فهي لبيت المال -الدوله-.

أما الآيات الأخرى في السوره فهي تدور حول صفات المؤمنين الصادقين و التي منها تصديقهم بالغيب. إذ يستجيبون للرساله حتى و لو كانت مخالفه لأهوائهم أو نظراتهم الضيقه، حيث اخرج الله نبيه بالحق بالرغم من كراهه طائفه من المؤمنين، و الهدف كان كسب القتال فقد أمد الله جيش الإسلام بالملائكه ليكونوا بشرى للقلوب، و تستمر الآيات تتحدث عن الجهاد و عوامل هزيمة الكفار و أسباب انتصار المسلمين التي يأمرنا ربنا بها، في الآيات (٢٩/١٥) و منها الثبات و اراده مرضاه الله تعالى، و طاعه قياده، و الاستجابه لدعوه الرسول صلى الله عليه و آله، و تجنب الفتنه، و التحرر من جاذبيه الأهل و الأموال، و التقوى و البصيره.

أما مكر الكفار و دعاياتهم التي تتحدث عنها الآيات (٣٥/٣٠) فانها زائله مثل قولهم: انهم قادرون على ان يأتوا بمثل القرآن، أو التحدى باستعجال العذاب، أو الصلاه عند البيت مكاء و تصديه أو إنفاق أموالهم التي من نتائجها تعبئه الكفار، لكي يكون القضاء عليهم مره واحده.

و يبين القرآن ضروره القتال الشديد ضد الكفار بهدف اقتلاع جذور الفتنه، و عدم الخوف لان نصر الله قريب. إذ ان الله سبحانه يقضى بالحرب برغم تهاون فريق من المسلمين عنها خوفا، لكي يقضى امرا كان مفعولا، و لكنّ للنصر شروطا منها الثبات و الطاعه و عدم النزاع، و الصبر و عدم البطر، و تجنب الرياء، و ان يكون الهدف هو مرضاه الله، اما أولئك الذين استهدفوا الصد عن سبيل الله فان الشيطان غرهم ثم تركهم، اما المؤمنون فان الدين يشجعهم على الجهاد و ليس هذا غرورا و إذا

لم تقتلع الحرب جذر الفساد فان سنه الله في الحياه هي التي تقضى بنهايه المفسدين كما فعل ربنا بآل فرعون الظالمين.

و يعرج القرآن الى ذكر استراتيجيه القتال كما جاء في الآيات(٦٩/٥٧) فيأمر بإلقاء الرعب ليس فقط فيمن هو بالجبهه، بل بكل الأعداء، و ضروره الاستعداد للقتال سلفا، و ضروره قبول السلم و التوكل على الله فيها، و الاعتماد على الله في الا يكون سلمهم خداعا، و ضروره الوحده، و التحريض على القتال، و الاستعداد النفسى لقبول التضحيات، و في مقابل التضحيات يحصل المسلمون على الغنائم الحلال.

اما الأسرى فلو كانت نياتهم صافيه فان جزاءهم على الله، و يجب ان يحسن معاملتهم دون خوف من خيانتهم(٧١/٧٠).

و في نهايه السوره(٧٧/٧٢) يلخص القرآن موضوع السوره و يأمر بالهجره و الجهاد بالمال و النفس، و يبين ان من يفعل ذلك أولياء لمن يأوى المهاجرين و ينصر رساله بينما الكفار هم فئه واحده، و المؤمنون المجاهدون مهاجرين و أنصارهم صفوه المؤمنين و أولوا الأرحام بعضهم أولياء بعض.

و هكذا تدور آيات سوره الأنفال في مسائل القتال من أجل الله.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
(٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

اللغة

٢[وجلّت]:خافت و فرعت.

ص:١٠

هدى من الآيات:

لمن هى الاملاك العامه؟ و من يملك حق التصرف فيها؟ انها لله و لرسوله صلى الله عليه و آله ، و عليهم ابناء الامه التزام الوحده و الانضباط لان الايمان هو الذى يوقر فى القلب و ينعكس على العمل، فالمؤمنون هم الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، و اهتزت خوفا و طمعا و محبه، و ازداد ايمانهم كلما ذكرت لهم آيات الله الناطقه و غيرها، و لم يشعروا بضعه أمام شىء أو شخص لأنهم يتوكلون على الله ربهم و مدبر أمورهم، و ينعكس هذا الايمان القلبي الراسخ على سلوكهم، فاذا هم يقيمون الصلاه، و ينفقون من كل ما رزقهم الله. أما جزاء هؤلاء المؤمنين الصادقين فهو درجات عاليه عند ربهم كل حسب أعماله، و مغفره عما سبق من ذنوبهم، و رزق كريم فى الحياه الدنيا و الآخره.

ما هي الأنفال؟ و لمن؟

[١] بعد حرب بدر طرح هذا السؤال:

لمن هي صفوه الغنائم و البقيه الباقيه من غنائم الحرب بعد تقسيمها على المجاهدين؟ و يطرح هذا السؤال أبدا كلما بقيت ممتلكات مطلقة غير مختصه بهذا أو ذاك و لذلك جاء التعبير القرآنى عاما، و جاء الجواب شاملا لكل الأملاك العامه، أو لكل شىء لا يمتلك من قبل شخص معين، ذلك لأن كلمه الأنفال تدل على كل زياده، لذلك وسع الفقهاء مفهومها حتى أصبحت مقارنة لكلمه الملكيه العامه فى تعبيرنا الدارج و الذى يتصرف فيها هو الرسول الذى يمثل القيادة الشرعيه و من بعده خلفاؤه، أما موارد التصرف فلا بد ان تتخذ حسب قيم التوحيد، و بالتالى فى سبيل الله و هو كل عمل يحقق أهداف الرساله ابتداء من الضمان الاجتماعى للفقراء و المساكين و مرورا بتكفل موظفى الدوله، و خدمه الأمه، و انتهاء بنشر الرساله فى الآفاق.

و لذلك ذكر القرآن ان الأنفال هي لله أولا، ثم لرسوله صلى الله عليه و آله باعتبار ان رضوان الله هو هدف التصرف فى هذه الاملاك، و الرسول أو القيادة الرساليه هي القائمه عمليا بتحقيق هذا الهدف.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ

التقوى فى القضايا الماليه:

و تقوى الله هنا تتحقق بأداء الواجبات الماليه، و عدم الاعتداء على أموال الدوله التى هي لله و للرسول، و أيضا بالتزام الوحده و عدم الخلاف فى القضايا، حيث يطمع

كل فريق أن يكون نصيبه الأكبر من اموال الدولة. لذلك أمر الله بإصلاح العلاقات الاجتماعيه التي تربط الناس ببعضهم.

وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ □ وإصلاح ذات البين لا يتم الا برصد ما يفسد فى هذه العلاقات، و السعى وراء إصلاحها بصفه مستمره و دون كلل.

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ □ وَ رَسُولَهُ □ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

الصفات النفسيه للمؤمنين:

[٢] هناك ثلاث صفات رئيسيه للمؤمنين لو لم توجد فى شخص فعليه ان يشك فى ايمانه.

الف: ان تبلغ معرفته بالله حدا يخافه، كلما ذكر عنده لأنه يعرف عظمته و قدرته و احاطته به علما و سمعا و بصرا، فلما ذا لا يخاف منه و قد استخدم القرآن الحكيم هنا كلمه الوجل و نسبها الى القلب فقال:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ □ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ □ فما ذا يعنى الوجل؟ ربما معناه التحرك حيث ان نسبه الخوف الى القلب تعطى معنى يختلف عما إذا نسب الى الفرد ذاته و هو المعنى الحقيقى لكلمه الوجل التى قد تكون الاهتزاز و التأثر و الله العالم.

باء: لان قلوب المؤمن تتأثر بذكر الله فانها تستوعب الآيات، فاذا ذكروا

بآيات الله يزدادون ايماناً، لأن استماعهم الى الآيات يتم من دون حجاب الكفر و الجحود، أو حجاب الفجور و الفسوق.

بينما يزداد المنافق باستماع الآيات كفراً و جحوداً لأنه يفسرها عكسياً، و يتحصن ضدها كلما تكررت عليه باعتباره معقداً تجاهها، و مصمم سلفاً على عدم قبولها.

وَ إِذَا تَلَيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا و الآيات قد تكون الناطقه و هى القرآن، و قد تكون آيات الحياه، فكل تطور فى الطبيعه يتم وفق نظام دقيق يدل على تدبير الله، و كل نعمه تتجدد أو نعمه تذهب أو كارثه تكاد تقع فيدفعها الله. كل ذلك يزيد المؤمنين معرفه بالله و تسليماً لقضائه سبحانه سبحانه.

جيم: و كلما زاد ايمان الفرد زاد اطمئنانه برحمه الله، و بحسن تدبيره، و بالتالى ازداد ثقته بأن ربه سبحانه لا يقطع به الحبل فى منتصف الطريق، و انه لو التزم بالمنهج السليم الذى أمر به الله فان سنن الحياه و قوانين الطبيعه و التأيد الغيبى سوف تساعده فى شؤونه.

وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ان الشخص الجاهلى و المتخلف يخشى الطبيعه فلا يسخرها لنفسه، و يخشى الناس فلا يستخدم عقله بل يتبع أهواءهم، و يخشى العطب فلا ينشط، بينما المؤمن العارف يخشى الله تعالى، و يتحدى الطبيعه، و يخاف الله فيتبع عقله و هداه، و لا يستسلم لأهواء الناس، و يعرف مواهب الله له، الآن و مستقبلاً، فلا يخشى العطب و التعب فيمتلى حيويه و اندفاعاً، و هذا بعض معانى التوكل على الله التى تدل أيضاً

على ثقته الشخص بما وهب الله له من قدرات وطاقات دون انتظار أو نظر لما فى ايدى الآخرين.

تلك كانت الصفات النفسيه للمؤمنين و التى تنعكس على السلوك العينى فى صورته الصلاه التى تعبر عن الوجع من الله...رجاء و خشيه،و فى صورته الأنفال التى تعبر عن التوكل على الله دون خوف من انتهاء نعمه عليهم و نفاذ مواهبه لهم.

[٣] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ان ذلك مقياس اكيد للايمان الذى فيه فوائد كثيره أهمها: تكامل شخصيه الفرد حسب درجات ايمانه، و هذا التكامل ليس بمقياس الناس بل بقيم الله سبحانه، فلا يضر المؤمن المتكامل الشخصيه الا يعرف به الناس.

[٤] أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ و بالايمان يطهر قلب الفرد عن الأدران و الأمراض، عن الكبر و العجب و الغرور و الانانيه، عن الحسد و الحقد و الظن و البغضاء، عن الجهل و الجهالة و اتباع غير الحق.

و حين يطهر القلب، يزكى العمل، و يحصل الفرد على المكاسب التى تأتية بكرامه و عزه، و ليست المكاسب التى يحصل عليها الفرد بإيمانه كالتى يحصل عليها المنافقون و الكفار حيث تمحق كرامتهم البشريه.

اشاره

كَلِمًا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَيِّتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)

اللغه

[ذات الشوكه]:ذات السلاح و القوه و هى النفير.

هدى من الآيات:

حين يبلغ الايمان مستوى النضج و الكمال، يسلم صاحبه نفسه للحق، و يتوكل على الله، و يترفع عن الحياه درجات، و يضرب الله مثلا- واقعا على ذلك حيث هيء سبحانه الأمور لخروج نبيه صلى الله عليه و آله و أنصاره من المدينه فى غزوه بدر بينما كان فريق من المؤمنين كارهين و هم يجادلون فى جدوى الخروج حتى بعد ان تبين لهم صدق الرساله و سلامه أوامر الرسول صلى الله عليه و آله، و وعدهم الله ان تكون لهم احدى الطائفتين إما القافله التجاربه التى كانت لقريش و إما الجنود المسلحون. و من الطبيعى ان يكون المسلمون يفضلون القافله التجاربه، بينما الله كان قد قضى لهم بمواجهه الجيش المعادى لأن الله يريد تحقيق واقع الرساله الجديده و ليس فقط حصول المسلمين على حطام الدنيا، كما يزيد ربنا ارغام المجرمين بإحقاق الحق و إبطال الباطل حتى لا يفكروا مستقبلا بمقاومه الرساله.. و هذا كله مثل ايمان و توكل المؤمنين و عاقبته المتمثله فى الدرجات الرفيعه

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ۖ

[5] فى الحياه انظمه يوحى بها الله عبر الرساله، و ينفذ الله هذه الانظمه إما بيد الناس و إما بصوره غيبية، و هذه الانظمه حق يتبعها المسلمون و يثق بها المؤمنون، و يتوكلون على الله اطمئنانا بها، و يتجاوزون كل عقبه فى طريقهم، و المثال الظاهر لذلك هى قصه حرب بدر، حيث أخبر المسلمون بتحرك غير قريش قريبا من المدينه، و بما ان المسلمين كانوا ينتظرون فرصه للتأثر من أعدائهم الذين حاصروهم اقتصاديا و نهبوا ثروتهم آنئذ بادر المسلمون للخروج، إما للقتال و إما للغنائم، و هكذا أخرج الله المسلمين من بيوت الأمن، و دفعهم الى الحرب بينما كان فريق منهم كارهين.

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۖ كَرَاهَتِهِمْ إِنَّمَا كَانَتْ بِسَبَبِ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَ بِالْحَقِّ وَ الْمُسْتَقْبَلِ.

[6] و هذا الفريق كانوا يجادلون فى الحق، فى الوقت الذى تبين لهم الحق فى الرساله الجديده التى آمنوا بها و بصدقها و انها تتحدث عن الله.

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ وَ الْحَقُّ وَاضِحٌ، وَ قَدْ يَكُونُ شَخْصٌ غَيْرٌ مُقْتَنِعٍ بِهِ بِسَبَبِ نَقْصٍ فِيهِ، وَ لَيْسَ فِي دَلَائِلِ الْحَقِّ.

كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ وَ حَيْثُ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ طَبِيعَةَ الْحَقِّ، وَ أَنَّ عَاقِبَتَهُ خَيْرٌ وَ رِفَاهٌ، لِذَلِكَ لَا يَنْشَطُونَ فِي طَرِيقِهِ بَلْ يَعْتَبِرُونَ كُلَّ تَحَرُّكٍ نَحْوَهُ كَأَنَّهُ تَحَرُّكٌ نَحْوَ الْمَوْتِ الظَّاهِرِ.

[٧] و كان ينتظر المسلمون العير فجاءهم النفير، و لكن كانت فى ذلك حكمه بالغه حيث أراد الله تحطيم شوكة الكفار و اشاعه الرعب فى نفوسهم، و تحول المسلمون الى قوه عسكريه معترف بها فى الجزيره.

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ إِي انكم سوف تغلبون الأعداء بالتأكيد. فتحصلون اما على قافلتهم التجاربه التى كانت تمر قريبا منكم، أو تهزمون جيشهم الذى يأتى لمحاربتكم، و مع وعد الله لهم بالنصر فإنهم كانوا يحلمون بالعير و يخافون النفير.

وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ ذلك خوفا من مواجهه العدو عسكريا و الله يريد غير ما يريده الناس... الناس يريدون عاجل المكاسب و الله يريد تحقيق الاهداف البعيده للامه و ذلك بدعم جانب الرساله الحقه، و استئصال شأفه الكفار، حتى لا يبقى لهم كيان يعتمدون عليه.

وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ حيث ان أوامر الله بالخروج لا تهدف حصول المسلمين على بعض الغنائم، بل تهدف اقامه حكم الله فى الأرض و تصفيه الطواغيت.

وَ يَقَطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ [٨] و هناك حكمه اخرى لربنا هى كسر شوكة المجرمين حتى لا يقدروا على مقاومه الرساله.

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

إشاره

إِذْ تَسْتَعْثِفُونَ رَبَّكُمْ فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ (٩) وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّكُمُ الْتَعَامَسَ أَمَنَّهُ مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرًا بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيُرِيحَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكَمُ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)

اللغه

١٢[بنان]:البنان الأطراف من اليدين و الرجلين و الواحد بنانه و يقال للإصبع بنانه و أصله اللزوم.

١٣[شاقوا]:الشقاق العصيان و أصله الانفصال.

ص:٢١

هدى من الآيات:

المؤمنون يتوكلون على ربهم فيجتازون المشاكل بتأييد غيبي، و تقدير رشيد من الله لهم، و إليك مثلا- من معركة بدر كيف استغاث المسلمون بربهم بعد ان قرروا خوض المعركة صادقين، و عوضوا ضعفهم المادى بالتوجه الى ربهم لينصرهم فاستجاب الله لهم، و أمدهم بألف ملك شكلوا خلفيه الجيش الاسلامى و دعما له، و لم يكن الهدف من ارسالهم سوى تقويه نفسيات المسلمين، و ليكونوا مبعثا لاطمئنان قلوبهم، بينما لم يكن النصر النهائى الا من الله، و ربما من غير طريق الملائكة لان الله قوى قاهر و قادر على نصر من يشاء، و لكنه لا ينصر الا من يستحق النصر.

و بالرغم من هول المواجهه فان الايمان الذى ازداد بالمواجهه و التوكل برّد افئده المسلمين، فاستولى عليهم النعاس، و جاء ماء السماء يلطف الهواء، و يطهر الأجواء و الأبدان، و يبشر القلوب بالرحمة فيذهب عنها وساوس الشيطان، و يعقد المسلمون

العزم على الحرب، فثبتت اقدامهم فى المواجهه، و إذا بالملائكه يثبتون بوحي من ربهم الذين آمنوا، و إذا بربنا الحكيم يبعث فى قلوب الأعداء الخوف، و يتفوق المسلمون على أعدائهم نفسيا، فيضربون فوق الأعناق رؤوسهم و يضربون أيديهم، و لكن لماذا تحيز ربنا ضد الكفار أو ليسوا عبيده؟ نعم و لكنهم شاقوا الله و عارضوا رسوله، و الله شديد العقاب ليس فى الدنيا فحسب بل فى الآخره يعذبهم عذابا شديدا.

بينات من الآيات:

التوكل سر الانتصار:

[٩] لو تذكر الإنسان حالاته السابقه، و كيف احتاج الى رحمه ربه فدعاه بحقيقه الايمان، فاسعفه و أنقذه من المشاكل، و لو تبصر الإنسان أوضاع الآخرين، و كيف تدخلت قوه الغيب فى تأييد طائفه ضد اخرى إذا لعرف ان التوكل على الله سر التغلب على الصعاب. و يذكر القرآن الامه الاسلاميه بماضيها، و ابرز المعارك الحاسمه فيه، و التى تتكرر مثيلاتها أبدا. مثلا فى معركة بدر حيث استغاث المسلمون فأمدهم ربهم بألف من الملائكه.

إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ و الاستغاثه - كأي دعاء آخر - تكشف عن اراده النجاة التى لا تقهرها حتى المشاكل الماديه الظاهره، كما انها تكشف عن ايمان قوى بوجود المواهب الكبيره عند الفرد.

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ اى يؤيدونكم من ورائكم.

[١٠] و لكن لا يعنى نزول الملائكه انهم سوف يحاربون بديلا عنكم، كما لا

يعنى وجود دعم غيبى للمؤمنين ان هذا الدعم يغنيهم عن العمل الجاد كالا..بل يعنى العكس و هو ضروره العمل الجدى حتى تحقيق الهدف بالاعتماد على الدعم السماوى.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَ لَتَطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ أَمَا النّصْرُ فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقْضِيهِ لِمَنْ تَتَوَفَّرُ فِيهِ شَرَايِطُ النّصْرِ وَ عَوَامِلُهُ وَ مِنْهَا بِالطَّبَعِ أَرَادَهُ النّصْرَ، وَ الْعَمَلُ مِنْ أَجْلِهِ، وَ تَذْوِيبُ الْإِنَانِيَّاتِ مِنْ أَجْلِهِ. ذَلِكَ لِأَنَّ رَبَّنَا إِلَى جَانِبِ قُوَّتِهِ وَ قَهْرِهِ فَهُوَ حَكِيمٌ لَا يَهْبِ النّصْرَ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [١١] وَ الْمَلَائِكَةُ أَحَدَى وَسَائِلِ النّصْرِ وَ هُنَاكَ وَسَائِلٌ أُخْرَى يُوْفِّرُهَا رَبُّنَا إِذَا شَاءَ، مِثْلًا- فِي حَرْبِ بَدْرٍ كَانَتْ الْأَعْصَابُ مَتَوَتِرَةً، وَ النُّفُوسُ مَلْتَهَبَةً هَلْعًا وَ الْأَجْسَامُ تَثْقَلُ بِالْأَوْسَاحِ، فَتَبْرُدُ الْإِيمَانُ وَ التَّوَكُّلُ أَفْتَدَهُ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى مَالَتْ إِلَى الرَّاحَةِ وَ النُّعَاسِ فَاسْتَرَاخَتِ الْأَعْصَابُ، وَ اسْتَعَدَّتْ لِمَعْرَكَةِ حَاسِمِهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ..

إِذْ يُعْشِيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَّهُ مِنْهُ حِينَ يَتَوَكَّلُ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّهِ يَسْتَرِيحُ فِي ظِلَالِ الثَّقَةِ بِهِ وَ بِتَقْدِيرِهِ فَلَا يَحْرَقُ أَعْصَابَهُ بَلْ يَعْيشُ فِي كَنْفِ أَمَانِ رَبِّهِ.

و المؤمنون حقا هم الذين يزدادون ايمانا فى ساعه العسره لان تلك الساعات تكشف جوهر البشر و طبيعته الكامنه.

وَ يُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَ بِهَذَا ذَلِكَ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْجَرَائِمِ الَّتِي يَتَلَوَّثُ بِهَا الْجَوُّ وَ تَنْقَلُ عَبْرَ الْهَوَاءِ وَ الْمَاءِ مِنْ

شخص لآخر تموت بعد المطر، فيرتاح منها الجيش الذي تكثر فيه احتمالات الخطر.

وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ حِينَ يَتَلَطَّفُ الْجَوُّ بِمَاءِ السَّمَاءِ يَسْعُدُ النَّاسَ بِبَرَكَاتِ اللَّهِ، فَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ وَ يَذْهَبُ عَنْهَا الْخَوْفُ وَ التَّرَدُّدُ، كَمَا يَذْهَبُ بِالْمَطْرِ النِّجَاسَةُ الْمَادِيَّةُ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ أَيْضًا وَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْوَضُوءِ وَ الْعَمَلِ.

وَ لِيُزَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ فَحِينَ يَرَى الْمُسْلِمُونَ السَّمَاءَ تَمَطَّرَ عَلَيْهِمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْمَطْرَ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ، فَاتَّئِدُوا بِإِيمَانِكُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَ أَنَّ بِيَدِهِ بَرَكَاتُ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ بِذَلِكَ تَطْمَئِنُّ نَفُوسُهُمْ، وَ يَنْعَكِسُ ذَلِكَ عَلَى مُمَارَسَاتِهِمُ الْحَيَاتِيَّةِ بِالِاسْتِقَامَةِ وَ الثَّبَاتِ.

ثَبِّتِ اللَّهُ تَعَالَى

[١٢] في ساعات الشدة تكاد اراده المسلمين تنهار امام ضغوط الحياه لو لا الايمان الذي يمدّه الله عن طريق الملائكه المتواجدين في الافئده بالثبات والاستقامه.

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَ يُؤَيِّدُ الْمَلَائِكَةَ بِقُوَّتِهِ الَّتِي لَا تَقْهَرُ فَإِنَّهُمْ أَقْوَى مِنْ قُوَى الْكُفْرِ الْمَادِيَّةِ.

فَجَبَّتْ أَعْيُنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ وَ بِمَا أَنَّ الرُّعْبَ يَسْبَبُ فِي تَضَخِيمِ حُجْمِ الْأَشْيَاءِ، وَ حَسْبَمَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ الْمَرْوِيُّ:

للخوف عيون واسعة، فان الكفار أخذوا يرون قوه المؤمنين أكبر من حجمها أضعافا،

بينما كان الثبات الذى أعطاه الله بملائكته للمؤمنين سببا فى الاستهانه بقوه الكفار، و الاندفاع نحو تحطيمها. كذلك تفوق المسلمون على أعدائهم فى ساحة القلوب، و كان ذلك طريقا لانتصارهم فى ساحة الحرب.

فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ فجاءت الضربات مسدده فى الأماكن الحساسه فى الرؤوس و الايدى فلم تذهب سدى، بينما ذهبت ضربات العدو هباء فى الأطراف لان قلوبهم كانت مشتته و غير ثابتة، و هكذا يؤثر الثبات النفسى فى الانتصار.

[١٣] لماذا شتت الله قلوب الكفار، فألحق بهم الهزيمة؟ لأنهم تمردوا على الله، و انحرفوا عن خطه المستقيم فى الحياه. ذلك الخط الذى سيفرض نفسه بالتالى على البشر طوعا أو كرها، و انما يملك الناس فرصه محدده من الحريره و أجلا محدودا.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حتى المؤمنون الذين نصرهم الله اليوم لو انحرفوا عن طريق ربهم، فإن عقاب الله شديد عليهم أيضا.

[١٤] و لا يكتفى الله فقط بعذاب الدنيا بل فى الاخره أيضا.

ذَلِكَمُ فَدُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

إشاره

إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسِينًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَلِكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)

اللغه

١٥[زحفا]:الزحف الدنو قليلا قليلا و التراحف التدانى.

هدى من الآيات:

انتصار الله سبحانه للمؤمنين كما ذكر به الدرس السابق لا يعنى أبدا تحللهم عن مسئوليتهم القتاليه الخطيره التي يعددها الله في هذا الدرس و هي:

اولا: الثبات فى المواجهه و عدم الفرار تحت أى ضغط كان، اللهم الا- تراجعا تكتيكيا للعوده الى الحرب فى وضع أفضل و مع جماعه أكبر، و فى غير هذه الصوره فان غضب الله فى الدنيا قد يتمثل فى الهزيمه، و غضبه فى الآخره سيكون جزاء عادلا.

ثانيا: الاتكال على الله و الاعتقاد بان النصر من عنده، و انه حتى الرمى الذى يرميه الشخص انما هو من عند الله، و ان المعركه ما هى الا- ابتلاء من الله للمؤمنين ليرفع درجاتهم و ينمى مواهبهم، و الله سميع عليم، يعلم من ينجح فى الامتحان، و لمن يعطى الدرجات الرفيعه.

ثالثا: ان الله يكشف خطط العدو، و يوهن كيدهم، و يبعث فى استراتيجيه

العدو الثغرات، ولا تغنى كثره العدو عنهم شيئاً، وان الله تعالى مع المؤمنين.

بينات من الآيات:

الثبات فى المواجهه:

[١٥] ايدى المؤمنين القويه هى الاداه الطيعه.هى اراده السماء،فالله قد يجعل المؤمنين سيفه الصارم لذلك يأمرهم بالثبات عند مواجهه العدو،و عدم الفرار أبدا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ [١٦] و هناك استثناء واحد لترك المعركه هو ان يكون للعوده إليها بقوه أكبر اما عن طريق اختيار موقع أفضل مثل ترك السهل الى الجبل و ترك الساحه الى الخندق، أو عن طريق اختيار جماعه يتعاون معهم ضد العدو.

وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَدَاةِ يُقَالُ سَبْعُ مِائَةٍ وَالْغَدَاةُ غَدَاةٌ وَاحِدَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [١٧] و يبدو ان القرآن يذكرنا بأهميه اختيار الموقع المناسب و الجماعه المناسبه لمتابعه القتال،و عدم الاعتماد على نصر الله فقط.

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ غَضَبَ اللَّهُ قَدْ يَتَمَثَّلُ فِي مَضَاعِفِهِ الْخَسَائِرُ، أَوْ حَتَّى الْهَزِيمَةِ غَيْرِ الْمُنْتَظَرَةِ. ذَلِكَ أَنَّ الْأَقْدَامَ يَعْجَلُ النَّصْرُ وَ يَقْلِلُ الْخَسَائِرُ.

وَمَا أَوَاهُ جَهَنَّمَ وَ بئس المصيرُ

الاتكال على الله تعالى:

[١٧] الرمى من المؤمن و لكن الذى يسدد الرميهِ و يعطيها أثرها فى القلوب هو

اللّٰه، لذلك كان علينا القيام بعملنا و هو الرمي و القتال، و بذل كل جهد ممكن في ساحه الحرب دون ان نكتفى بذلك أو نغتر به أو نعمتد عليه، بل نكتفى باللّٰه و نتوكل عليه.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَ يَبْقَى السُّؤَالُ: إِذَا كَانَ رَبَّنَا هُوَ الَّذِي يَرْمِي فَلِمَاذَا يَتَعَبُ عِبَادَهُ وَ يَأْمُرُهُم بِالْجِهَادِ؟ انما ذلك لكي يفجر مواهب المؤمنين، و يستخرج كنوز شخصياتهم الكامنه، و ينمي كفاءه كل واحد منهم لان المواجهه تدفع الفرد نحو بذل قصارى جهده لتجنب الفشل و الهزيمه، و الطاقه التي يكتشفها المؤمنون في أنفسهم في ساحات المعارك يتنفعون بها أيضا في سائر حقول الحياه.

وَ لِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَسْمَعُ عَنْ قَرَبٍ مَا يَجْرِي فِي السَّاحَةِ مِنَ الْحَوَادِثِ، وَ يَعْلَمُ خَلْفِيَاتِهَا. لذلك حين يختبر المؤمنون بالحرب ثم يحكم عليهم لا يحكم غيايا أو عبثا-سبحانه-بل بسمع و علم، و بإحاطه واسع و مباشره للحوادث.

الوهن و الانتصار

[١٨] كما يسدد ربنا رمية المؤمنين فإنه يوهن كيد الكافرين، و ذلك بإلقاء الرعب في نفوسهم حتى لا ينفذ كل واحد كل المهام الموكله به، فتفشل الخطه الموضوعه عندهم لمحاربه المسلمين، و تنهار إرادتهم و تنهزم نفوسهم.

ذِكْرُكُمْ

ص: ٣٠

أى ان هذه الحقيقه التى يجب ان تؤمن بها و نعترف بها.

وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۖ مَنْ هُنَا كَانَ عَلَيْنَا أَلَّا نَخْشَىٰ خَطَطَ الْعَدُوِّ، وَلَا نَسْتَهِينُ بِقُدْرَاتِنَا، نَتَّقِي بِهَا وَ بِأَنَّ اللَّهَ يَسُدُّهَا، وَ لَكِنْ دُونَ أَنْ نَدْخِرَ قَدْرَهُ كَامِنَةً فِي أَنْفُسِنَا إِلَّا وَ نَفَجْرَهَا وَ نَوْجَهَا لِلْمَعْرَكَةِ.

[١٩] و يخاطب ربنا الكفار و يذكرهم بالفتح الذى أعطاه للمؤمنين عليهم و يقول: هذا الفتح كان بسبب اختيار الكفار للحرب و مبادرتهم للقتال و كأنهم هم الذين طلبوه.

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَ قِيلَ إِنْ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ إِنْ يَنْصُرُ مِنْ كَانَ دِينَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَاسْتَجَابَ دَعَاءَهُمْ وَ نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ.

وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِيَّانَ تَرَكُوا الْقِتَالَ لِأَنَّ الْحَرْبَ الَّتِي سَوْفَ تَنْتَهَى بِهَزِيمَتِكُمْ لَا خَيْرَ فِيهَا.

وَ إِنْ تَعُودُوا لِلْحَرْبِ وَ الْقِتَالِ.

نَعُدُّ وَ لَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمِعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمِعُونَ
(٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ (٢٢) وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسَبَّحَهُمْ وَ لَوْ أَسَمِعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ
مُعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ (٢٤)

اللغه

٢٢[الدواب]: جمع دابه و هى ما دب على وجه الأرض الا انه تختص فى العرف بالخيل.

هدى من الآيات:

استمرارا لحديث الآيات السابقه التى بينت ضروره العمل و التوكل .يبين لنا هذا الدرس أهم شروط الانتصار و هو الطاعه الواعيه للقياده الرشيده، فأمر القرآن بضروره الطاعه لله و للرسول و عدم ترك الرسول بوعى و صدق و سبق تصميم، و الوعى من عمل الإنسان فعلى المؤمنين ان ينتفعوا بعقولهم فيسمعوا حقيقه كلام الرسول، و لا يكونوا كالمنافقين الذين يسمعون فى الظاهر فقط ذلك لان شر الأحياء التى تمشى على الأرض هم البشر الذين لا ينتفعون بأدوات العلم التى وهبها الله لهم، و لأنهم لم يكن فيهم خير لذلك تركهم الله و فى هذه الحاله لو هداهم الله لم يستجيبوا لهداه.

و الرسول يدعو الناس الى الحياه و عليهم الاستجابه له ظاهرا و واقعا لان الله يحول بين المرء و قلبه، فيعلم ما ينويه حتى قبل ان يستقر رأيه عليه، ثم يحشر الناس جميعا إليه فيجازيهم بما عملوا.

طاعة القيادة:

[٢٠] مخالفة القيادة الرسالية بوعى و إصرار من كبائر الذنوب، و من ابرز عوامل الهزيمة، و الطاعة الواعية للرسول هي قمة الايمان و التسليم لله و للرساله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ أَي فِي حَالِهِ سَمَاعِ الْآيَاتِ وَ مَعْرِفِهِ صَدَقَ الرَّسَالَةَ وَ بَلَاغِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لِلْإِنْسَانِ فَانْ مَخَالَفَةُ الرَّسُولِ مِنْ أَشَدِّ الْمَحْرَمَاتِ، بَلْ هُوَ فَسُوقٌ وَ كُفْرٌ.

[٢١] و لكن هل يقدر أحد تبرير مخالفته للرسول بعدم السماع الواعى؟ كلا.

لان الله تعالى قد زود البشر بأدوات الوعى، فعليه ان يستفيد منها و يستخدمها فى توعيه ذاته و تثقيف نفسه.

وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ أَي لَا تَكُونُوا مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ تَكْتَفُونَ بِظَاهِرِ الْإِسْتِمَاعِ دُونَ التَّعَمُّقِ فِي وَاقِعِ الْوَعَى.

شر الدواب عند الله:

[٢٢] و السماع الحقيقى هو التفكير و الانتفاع بالعقل، و ان شر الدواب التى تتحرك على الأرض هم الذين زودهم الله بنور العقل فلم يستفيدوا منه، فأصبحوا أشر من الانعام التى لا تملك عقلا.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

انهم يملكون السمع و الالسنه و لكنهم لا ينتفعون بهما فى الخير، فهم شر عملا و أضل سبيلا من الدابه التى لم ينعم عليها البارئ بالسمع و اللسان.

[٢٣] حين تكون الفطره البشريه سليمه تنفعها دعوه الحق، لأنها كماء المطر يهبط على أرض صالحه مباركه. أما إذا مسخت الفطره، و حجبت الشهوات و الأحقاد و هج البصيره فان الدعوه ليست لا تنفع فقط، بل تزيد الفرد كفرا و جحودا.

لذلك يقول ربنا سبحانه:

□
وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ الْخَيْرَ هُوَ ذَلِكَ الاستعداد الفطرى الذى و هبه الله للبشر حين زوّده بالسمع و البصر و الفؤاد، و ألهمه فجوره و تقواه و لكن لم يبق فى هؤلاء الذين غدوا أضل من الدواب ذلك الخير بسوء أعمالهم. لذلك لا يسمعهم الله، و لا- يوفر لهم فرص الهدايه. إذ انه لو أسمعهم الآن و فى وقت افتقادهم حاله الاستعداد للاستجابه إذا لتولوا عن رساله ظاهرا و باطنا.

وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ

رساله الله دعوه الى الحياه:

[٢٤] ما هى الحياه التى نعشقها و نسعى وراء استمرارها أو ليست هى القدره و النشاط و تسخير الطبيعه فلما ذا- إذا- نختر الموت فى بعض الأحيان على الحياه..

نختار الضلاله على الهدايه، و الجهل على العلم، و التخلف و الكسل على التقدم و العمل.. أو ليست الهدايه و العلم يجعلانا نحيط بالأشياء و نسخرها.. أو ليس العمل و الحركه أبرز مظاهر الحياه و فوائدها؟!

ان رساله الله هى دعوه صادقه الى الحياه بما فيها من علم و عمل، من هدى و حركه، و من تسخير الطبيعه لصالح البشر و القرآن يذكرنا بان الاستجابه لهذه الرساله تتناسب و فطره البشر و اعلمق مشاعر المحبه للحياه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ لَيْسَ الْمَهْمُ أَنْ تَعِيشَ سَبْعِينَ عَامًا بَلْ أَنْ تَعِيشَ حَيًّا بِالْعِلْمِ وَ الْحَرِيهِ وَ النِّشَاطِ. ان المؤمن المتحرر من قيود الشهوات و الثائر ضد أغلال المجتمع و الذى يسخر الطبيعه لصالحه و صالح الناس بالعلم و قدره انه يعيش كل يوم عامًا، اما الكافر الذى يصبح جزء من الطبيعه و من النظام الحاكم عليها، و يستسلم للآخرين فهو ميت، و لو نبض قلبه بالدم.

و الله يدعوننا الى الحياه الحقيقيه فى الدنيا التى تستمر الى الحيوان فى الآخره حيث تكون الحياه فيها للشهداء و الصديقين.

و قلب البشر يبقى يعشق الحياه و يحب الاستجابه لدعوه الحياه برغم كل الحجب و العقد النفسيه. ذلك لان الله يحول بين المرء و قلبه فلا يدع شعله الهدايه تنطفئ فى قلب البشر حتى يرى الحق باطلا- و الباطل حقا. كلاً.. انه يبقى يميز بين الحق و الباطل و على أساس هذا التمييز يحاسبه الله غدا حين يحشر الناس جميعا اليه.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

و جاء فى الحديث المأثور عن الصادق عليه السلام :

«لا يستيقن القلب ان الحق باطل أبدا و لا يستيقن ان الباطل حق أبدا» (١)

ص: ٣٤

إشارة

وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبُنْيَرِهِ وَ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)

هدى من الآيات:

طاعه الرسول صلى الله عليه و آله و التسليم القلبي لأوامره القيادية تعطى الامه حياه جديده..

اما التفرق عنه و الاختلاف فانه فتنه تعم نارها كل أبناء المجتمع و ان عقاب الله شديد. و علينا ان نتذكر أبدا مدى اهميه قياده الرساليه حتى لا يدب الى قلوبنا الوهن فى اتباعها.

ان كل مكاسب الامه كانت بالقياده فحين كنا قليلا مستضعفين نخشى الناس ان يأخذونا مثل أيام مكه الم تكن طاعتنا للرسول هى التى وفرت لنا الأمن و النصر و الرفاه أو ليس من الواجب الآن ان نشكر النعمه بالمزيد من الطاعه، و الطريق الوحيد للخروج من الخلافات المداخلية هو تقوى الله، و اتباع مناهجه حيث يعطى الفرد هدى و نورا و قدره على معرفه الحق و أهله و الباطل و اهله، كما يسبب غفران الله و المزيد من فضله.

ان تعاليم هذا الدرس تتصل بما سبق و يأتى الحديث فى الدروس الاخرى حول

تكريس واقع القيادة الرساليه فى الامه.

بينات من الآيات:

مسئوليه الامه عند الخلافات:

[٢٥] الخلافات الاجتماعيه هى من الذنوب التى يلقى كل فريق مسئوليتها على الآخرين، لان كل جانب يرى ان عمله انما هو رد فعل للآخرين، لذلك يكون على الجميع تجنب هذه الذنوب دون انتظار ترك الجانب الآخر لها. ذلك لان بليتها إذا جاءت عمت.. و عموما المعاصى لا يمكن حصر آثارها السلبيه فى أولئك الذين يرتكبونها، وهى كالنار إذا اشتعلت فى الهشيم تنتشر الى كل مكان و لذلك يقول تعالى:

وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً اى لا تصيب الذين هم فى الجبهه المباشره للظلم، بل تعم الجميع هم و الساكتين عن الظلم، و كذلك الذين قابلوا الظلم برد فعل غير مناسب، فمثلا: إذا تجاوز فريق من المجتمع على فريق آخر فان واجب الفريق المظلوم هو انتظار امر القياده دون المبادره بالاعتداء عليهم قصاصا لان ذلك يضعف القياده، و ينشر الفوضى، و يعم أثرها السلبي بالنتيجه كلا الفريقين، و ربما تدل الفتنه على الخلافات الاجتماعيه أكثر من الامتحانات الفرديه لذلك جاء فى الحديث المروى عن الزبير بن العوام:

«لقد قرأنا هذه الآيه زمانا و ما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها نخالفها حتى أصابتنا خاصه» (١)

ص: ٣٩

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَ أَنه يعاقب بشده أولئك الذين ينفذون الفتنة، أو الذين يقفون ضد انتشارها في الحياه الدنيا بالتخلف و الهزيمه و الفوضى و الاقتتال و فى الآخره يجرى الساكت الذى لم يأمر بالمعروف و لم ينه عن المنكر و الذى تمرد على القياده الرشيده.

العبره بالماضى ضمان للمستقبل:

[٢٦] من المهم جدا ان يتذكر الإنسان بعد الانتصار أيام ضعفه لكي لا ينسى عوامل النصر، فيتعهدا و يحافظ عليها ليبقى النصر و مكاسبه، و لينتقل من نصر الى نصر، و لا يقف فى مسيره الزمان الصاعده.

وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّاحِيَةِ الْكَمِيَّةِ. مستضعفين من الناحيه الاجتماعيه و ليست هناك قوه تحميهم من الناحيه الامنيه حتى انهم كانوا يخشون من أخذهم بسرعه، و لكن الله بدل كل هذه النواحي.

فَأَوْاكُمْ وَ مَنَحَ لَكُمْ مَحَلًّا آمِنًا.. و هو ابرز شروط الرفاه.

وَ أَيْدِيَكُمْ بِنَصْرِهِ فَبَدَلَ الضَّعْفِ قُوَّةً.

وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

فبدّل الفقر و الاستضعاف الى غنى و رفاه.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ربكم على هذه النعم، و معنى الشكر هو المحافظه على تلك العوامل التى غيرت واقعكم الفاسد و من أبرزها الوحده و تجنب الفتنه عن طريق طاعه القياده الرساليه التى تدعوكم أبدا الى ما فيه حياتكم، كما ذكرت فى الآيه السابقه.

التجسس لصالح العدو خيانه:

[٢٧] ان التهاون فى طاعه الرسول صلى الله عليه و آله يعتبر خيانه بعهدهم مع الرسول و بأمانه البيعه التى فى أعناقهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ و من ابرز مظاهر الخيانه التجسس لصالح العدو، و نقل المعلومات الهامه الى مناهضى الرساله كما فعل أبو لبابه فى عصر الرسول حيث بعثه الرسول الى يهود بنى قريظه و قد كانوا خانوا عهدهم مع رسول الله، فأمرهم الرسول بالنزول على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابه و كان مناصحا لهم لان عياله و ماله و ولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله فأتاهم فقالوا له: يا أبا لبابه أ تنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابه الى حلقة (انه الذبح فلا- تفعلوا)، فأتاه جبرئيل يعنى رسول الله فأخبره بذلك. قال أبو لبابه فو الله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت الله و رسوله، فنزلت الآيه فيه. فلما نزلت شد نفسه على ساريه من سواري المسجد و قال و الله لا أذوق طعاما و لا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ، و هكذا بقى على ذلك سبعة أيام حتى تاب الله عليه فحلله رسول الله. (١)

ص: ٤١

[٢٨] ان ابرز أسباب الخيانه بالدوله الاسلاميه و بالقياده الرشيد هو حب المال و الولد كما حدث لابي لبابه في القصة الانفه الذكر، و لذلك يحذر ربنا من عاملى الفساد عند البشر المال و البنون و يقول:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَ الْفِتْنَةُ هِيَ كُلُّ ظَاهِرِهِ يَمْتَحِنُ بِهَا الْبَشَرَ، وَ لَكِنْ إِذَا تَجَاوَزَ الْفَرْدُ عَقِبَهُ الْفِتْنَةَ، فَانَ اللَّهُ يَعْوِضُهُ عَمَّا خَسَرَهُ فِي لِحْظَاتِ الْفِتْنَةِ وَ يَزِيدُهُ عَلَيْهِ كَثِيرًا.

ص: ٤٢

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَىٰ آثَانَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)

اللغه

٣٠ [ليثبوك]: الإثبات الحبس يقال رماه فأثبته أى حبسه مكانه و اثبته فى الحرب إذا جرحه جراحه مثقله.

و الكفر ضلال و عذاب

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن ضروره الاستجابه للرسول و الاعتصام بحبله من أجل الوحده و تجنب الفتنة،بين لنا القرآن ان التقوى تعطى البصيره الاجتماعيه التى يفرق بها المؤمن بين الحق و الباطل،و الصالح عن الطالح. كما يكفر الله بالتقوى السيئات، و يزيل رواسبها،و يزيد من نعمه على المتقين.

و مثل ظاهر لمنافع التقوى.ان الذين كفروا مكروا بالرسول ليخرجوه أو ليقتلوه و لكن الله دفع مكرهم و كان من مكرهم الاشاعات الباطله التى أذاعوها بين الناس لكى يمنعوا الناس عن الاستجابه للرسول،أو التحريض الكاذب لكلام الرسول، و استعجالهم العذاب لو كان الرسول محقا.بينما العذاب يأتى حين يتوغل البشر فى الكفر،و لا يشعر بالندم و التوبه،و لا يستغفر ربه منها،و لكن العذاب بالتالى سيصيبهم بسبب صدهم عن المسجد الحرام،و اعتبار أنفسهم أصحابه بينما أصحابه هم المتقون فقط.

آثار التقوى:

[٢٩] بين العقل و الهوى يعيش قلب البشر، بين الظلمات و الجهل و الفوضى، و بين النور و الهدى و الالتزام، و بقدر ما يحجب الهوى العقل فان مقاومه الهوى تزيد القلب نورا و هدى. انك حين تتحكم فى علاقاتك و عواطفك و حساسياتك فهل تستطيع ان تميز الفرد الصالح عن الطالح؟ او اذا كانت الشهوات و الحالات النفسيه المتناقضه كالنشاط و الكسل و الأمل و اليأس تحكم فيك أيضا، فهل تتمكن من معرفه العمل الصالح؟ بلى حين تتعهد بتطبيق برامج الله، و مقاومه ضغوط العواطف و الشهوات و الحالات النفسيه فان عقلك يكمل، و تصبح قادرا على تمييز الحق عن الباطل، و يحصل لديك فرقان و ميزان.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا تَقْوَى هِيَ الْإِتْرَامُ بِرِسَالِهِ اللَّهُ، وَ تَحَسُّسُ الْمَسْئُولِيَةِ تَجَاهَهَا وَ هِيَ تَعْطِينَا الْفَرْقَانَ الَّذِي يَمِيزُ لَنَا الصَّوَابَ عَنِ الْخَطَا، وَ الصَّالِحَ عَنِ الْمَفْسَدِ، وَ الْهَدَى عَنِ الشَّبَهَاتِ، وَ الْجَادَةَ عَنِ الْمَزَالِقِ.

كما و ان للتقوى أثرا رجعيا فيما مضى من عمل البشر حيث يكفر الله السيئات، و يسترها حتى لا تظهر آثارها السلبيه، بل و يغفر الذنوب و يمحو آثارها عن النفس، ذلك لان للذنوب أثرا سلبيا على الحياه، و أثرا سلبيا على نفسه مرتكبه فى شكل عاده سيئه و موقف خاطئ.

وَ يُكْفِرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يَغْفِرُ لَكُمْ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

و بفضلله العظیم یسیغ النعم الکبیره و الآلاء العظیمه علی المتقین فی الحیاه الدنیا و فی الآخره.

السبیل الی تأیید الله:

[۳۰] ان تقوی الله، و الاستجابه للرسول، و تجنب الفتن الاجتماعیه کل ذلك شروط تمهیدیه للنصر علی الأعداء، و ان ربنا یتفضل علی المؤمنین بالتأیید بعد ان یوجدوا فی واقعهم هذه الشروط، و دلیل تأیید الله نصره المؤمنین فی بدر الذی سبق الحدیث عنه، و هذا دلیل آخر ینبیه الله حین خطط الكفار لإلقاء القبض علی الرسول صلی الله علیه و آله أو اعدامه أو لا أقل نفيه، و لكن مکر الله و خططه الحکیمه سبقتهم و أفضل خططهم الماکره، حین امر الله و رسوله بالهجره الی المدینة. فلما جاء الكفار وجدوا علیا علیه السلام قد افتداه بنفسه و بات مکان قائده الرسول صلی الله علیه و آله .

وَ إِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذَا نَفَذَ الْمُؤْمِنُونَ خَطَطَ رَبِّهِمُ الرِّشِيدَةَ فَهَمَّ الْأَعْلُونَ لِأَنَّهُمْ بَنُوهُ الخطة الرشیده فی الصراعات الاجتماعیه هو النشاط و التعاون و الاستعداد للتضحیه، و الذوبان فی بوتقه الخطة بعيدا عن الذاتیات و المحاور الخلافيه. و كل هذه البنود توفرها التریبه الايمانیه، كما ان الايمان یعطیک الفرقان و الرؤیه الصافیه الی الاحداث، و یزکی قلبک عن الأهواء و الشهوات و ردود الفعل التی تغشى رؤیه المرء و تدفعه الی اتّخاذ مواقف خاطئه و هكذا، و بفضل الله یصبح مکر المؤمنین أنفذ من مکر أعدائهم.

[۳۱] و كان من مکر الكفار الفاشل و خطتهم الغیبه، انهم بثوا اشاعات ساذجه فقالوا: ان آیات القرآن لیست بتلك الدرجه من البلاغه و العلم، فلقد سمعناها و عیناها و لو شئنا لقلنا مثلها. و لكننا أناس تقدمیون، و هذه أفكار رجعیه یتشبث

بها الأولون المعتقدون بالخرافات.

وَ إِذِ تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَشَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [٣٢] و كان من خطط حربهم الاعلاميه
تظاهرهم بالتحدى و المباهله فقالوا:

يا رب لو كان كلام الرسول حقا فعجل بالعذاب علينا كأن تمطر السماء حجاره.

وَ إِذِ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

موعد العذاب:

[٣٣] و لكن هل الله يبعث العذاب حسب طلب الناس، أم وفق الحكمة البالغه التي عنده؟ انه لا يعذب قوما حتى يستنفذوا كل فرص الهدايه عندهم، و حتى لا يبقى فيهم اثر من الايمان. و دليل ذلك انه ما دام الفرد يشعر بالندامه بعد الذنب و يستغفر الله، فانه لا يعذب حتى و لو طلبه من ربه. و عدم نزول العذاب عليه ليس دليلا على صحه كل اعماله أو مجمل طريقته كلا بل هو دليل على وجود جوانب ايمانيه فى واقعه، هى التي تمنع العذاب عنه.

وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى وَ رَبَّمَا يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ، و وجود نبي الرحمه و سيد الخلق كما وجود الصالحين فى الامه سوف يمنع عنها العذاب لحين خروج أولئك عنهم.

وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَ فى آيات قرآنيه اخرى دلالة على ان عذاب الله انما يهبط من السماء بعد فراغ

قلوب المجتمع تماما عن الايمان، و بعد خروج أو انعدام الصالحين فيه تماما.

لقد كان هذا جانبا من مكر الكفار الذى انتهى الى انتشار رساله أكثر فأكثر و الحمد لله رب العالمين.

ص: ٤٨

وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
(٣٤) وَمَا كَانَ صِلَاؤُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَضِيءُ يَدِيهِ فَمُدُّوهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
لِيُصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث القرآنى حول مكر الكفار و اشاعاتهم الباطله التى بينها الدرس السابق. يذكرنا الله ببعض اعمال الكفار التى تكشف من جهه عن زيف ادعاءاتهم، و تبين من جهه ثانيه فلسفه النضال ضدهم. ان عذاب الله قد يأتى بطريق غيبى كصاعقه عاد و ثمود أو على ايدى المؤمنين، و القرآن يبين ان الله سوف يعذب الكفار لأنهم يمنعون الناس عن المسجد الحرام دون ان يكون لهم الحق لان المسجد الحرام انما هو مقام عباده، و يجب ان يكون المشرف عليه أكثر الناس عباده و عبوديه و تقوى لله، و ليس هؤلاء الجهله الذين اتخذوا صلاتهم عند البيت هزوا.

فبدل الصلاه و الضراعه أخذوا يصفرون و يصفقون كفرا بالله و برسالاته، اما أموالهم فإنهم ينفقونها ليس فى سبيل الإصلاح و نصره المظلومين و اغاثة المحرومين، بل للصد عن سبيل الله، و سوف يكون هذا الإنفاق حسره عليهم حين يحشرون الى جهنم، و فلسفه هذا الصراع القائم بين الناس و الذى يجسده إنفاق المشركين أموالهم

للصد عن سبيل الله انها امتحان الناس، و تمييز صفوف الطيبين عن الخبيثاء. ليجعل الله جزاء الخبيثاء جهنم و ساءت مستقرا.

بينات من الآيات:

سنه العذاب:

[٣٤] ربنا الحكيم لا يعذب أحدا حين يشتهي العذاب أو يتحدى قدره الله أو رسالته، بل عند ما يستوجب العقاب بعمل قبيح مثل صد الناس عن المسجد الحرام.

و ما هو المسجد الحرام؟ انه بقعه خصها الله لنفسه لتكون دار سلام و أمن و حريه، يقيم الناس فيها شعائرهم الدينيه، و يعبرون عن مشاعرهم الحقيقيه و لكن حين يأتى فريق من المتجبرين و يفرضون قيادتهم على المسجد الحرام و يمنعون المؤمنين عن إقامه الشعائر فيه فسوف يستحقون العذاب لأنهم ليسوا بقياده المسجد و ولاته.. ان أولياء المسجد هم أولياء الله. لان المساجد لله و لا يجوز ان يرفع عليها الا رايه الله و الحق، و الذين بيدهم رايه الحق هم المتقون، و حين تطهر مساجد الله عن الدعوه لغير الله و عن الأصنام الحجرية و عن تبليغ رساله الشيطان و الدعايه لسلطان متجبر أو حزب ملحد أو سلطه قاهره، فان الناس سيجدون مصاييح يهتدون بها، و محاور قوه يلتفون حولها، و بالتالى مراكز قدره يلتجئون إليها فى مقاومه شياطين الجن و الانس.

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ مَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَ لَا يَعْرِفُونَ فَلَسَفَهُ الْمَسَاجِدِ وَ دَوْرَهَا الْحَاسِمِ فِي هِدَايَةِ الْجَمَاهِيرِ وَ تَأْيِيدِهِمْ ضِدَّ الظَّالِمِينَ.

[٣٥] اما هؤلاء الذين اتخذوا من المساجد مراكز لهو و استهزاء بالقيم فكانت صلاتهم عند البيت الحرام (و هو اقدس مكان على وجه الأرض) التصفير

و التصفيق.

وَمَا كَانَ صِيَ لَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَ تَصِيدِيَهُ اى صفيرا و تصفيقا و عذاب الله الذى أنزل عليهم بيد المؤمنين كان بهذا السب.

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ و جاء فى الحديث عن ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت عراه يصفرون و يصفقون،

و روى ان النبى صلى الله عليه و آله كان إذا صلى فى المسجد الحرام قام رجلان من بنى عبد الدار عن يمينه فيصفران و رجلان عن يساره يصفقان بأيديهم فيخلطان عليه صلواته، فقتلهم الله جميعا بيدى. و لهم يقول و لبقية بنى عبد الدار «فَذُوقُوا الْعَذَابَ» .

و كلمه اخيره: ان هذه الآيه و التى قبلها تدلان بوضوح أن على السلطات التى تصد عن المساجد، و تعتدى على حريه الناس فيها، و تتجاوز على حرمتها، و تريد تحويل المساجد الى مراكز للفساد و المنكر يقام فيها الشعائر دون لبابها انها سلطات جائره يجب مقاومتها حتى يعذبها الله بأيدي المؤمنين .

[٣٦] كان ذلك صورته عن الممارسه السياسيه لهذه الفئه. اما الممارسه الاقتصاديه فانها خاطئه أيضا، إذ انها تخدم اهداف الطغاه و تصد عن سبيل الله، و عن اقامه العدل و اشاعه الرفاه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِيدُوا عَيْنَ سَبِيلِ اللَّهِ يَنْفِقُونَهَا مِنْ أَجْلِ طَبْعِ الْكُتُبِ الضَّالَّةِ، و تمويل الصحف المسيحه للطاغوت، و أشياح ادعياء العلم و الدين من خدم السلطات المتجبره، أو ينفقونها لتمويل

ص: ٥٢

الحروب و تدعيم كيان اجهزه المخابرات.

بيد ان هذا الإنفاق سيكون حسرہ عليهم إذ لا ينفعهم شيئاً، بل يضرهم كثيراً و سينتهون الى جهنم جميعاً.

فَسَيُؤْنَفِقُونَ[□] ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [٣٧] و لكن كيف يسبب إنفاق هؤلاء للصد عن سبيل الله غلبه المؤمنين عليهم؟ يجيب القرآن على هذا السؤال:

أولاً: لأن هذا المال يفصل الطيب عن الخبيث في واقع المجتمع، فالطيب لا تخذعه الثروه فيزداد طيباً. بينما الخبيث الذي كان يتظاهر بالايمان يظهر امره و يكتشف عند المجتمع.

ثانياً: ان العناصر الخبيثه يجد بعضها بعضها فيتكتلون، فحين تثور الجماهير ضدهم لا ينقذون أنفسهم منهم جميعاً.

لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[□]

ص: ٥٣

اشاره

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْطَوْا لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَّةً لِلَّهِ فَإِنْ ابْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ (٤٠)

هدى من الآيات:

لقد ابلغنا الدرس السابق عن ممارسات الكفار السياسيه الاقتصاديه الخاطئه، و التي تدل على كذب أقوالهم التبريريه التي تشبثوا بها لكفرهم، ثم يأتي هذا الدرس ليبين لنا الموقف منهم المتمثل فى تهديدهم اولاً: بان سنه الله مضت فى الأولين، على ان الكفر لا يدوم، و عليهم المبادره الى التوبه، و وضع حد لممارساتهم الخاطئه حتى يغفر الله ما قد سلف منهم، و بعد هذا التهديد يأتي التهديد بالقتال تجنباً للفتنه و الفساد فى الأرض و لإقامه حكم الله فقط، فاذا استسلموا بالقتال فسوف يعلم الله هل هم يحسنون صنعا أم ينافقون، اما إذا استمروا فان المسلمين يستمرون بدورهم فى الحرب اعتماداً على مولاهم الله نعم المولى و نعم النصير.

بينات من الآيات:

سنه الانتصار

[٣٨] ليس من العقل ان يختم على القديم بطابع الرجعيه و الاسطوره و الخرافه،

كما قال الجاهليون آنفا، ففي القديم دروس و عبر و قوانين اجتماعيه، علينا الانتفاع بها لحاضرنا و منها سنه الله في الانتصار للحق و سحق الكفر و الضلال، و على الكفار ان يراجعوا التاريخ ليفهموا هذه السنه.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُئْتُ الْأَوَّلِينَ وَ سَنَهُ اللَّهِ لَا تَحُولُ «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» (٣ فاطر).

الحكمه من القتال:

[٣٩] و الحرب الاسلاميه لا- تهدف تسلط فريق مكان فريق آخر، بل اقامه حكم الله و منع الفتنه..فما هي الفتنه؟ هل هي الشرك بالله، أم هي الفساد في الأرض و ظلم الناس بعضهم لبعض؟ أم هي تسلط فريق من الناس باسم أو بآخر على رقاب الناس، و استعبادهم و استثمارهم و فرض ثقافه معينه عليهم؟ يبدو ان الفتنه في لغه القرآن هي التسلط اللامشروع، كما ان الدين هو السلطه الشرعيه المستمده من الايمان بالله و بالحق، و بحريه الإنسان، و ابرز معاني الشرك هذا التسلط اللامشروع أو الخضوع لمثل هذا التسلط.

وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يعلم هل هم صادقون أم منافقون، و لا يجوز الاستمرار في قتالهم بحجه انهم لا يزالون كفارا في الواقع برغم ايمانهم أو استسلامهم الظاهر.

[٤٠] اما إذا تولوا، واستمروا فى القتال و اشاعه الفساد، فعليكم بالاستمرار أيضا من دون حزن أو وهن. لأنكم بالتالى منتصرون عليهم، و لان الله مولاكم و قائدكم، و أوامره و مناهجه و تعاليمه خير لكم، كما انه ينصركم بقوته التى لا تقهر.

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ

ص: ٥٧

وَإِغْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّيُوبِ وَ هُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَ الرِّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَ لَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يُحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ وَ إِنْ اللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَ تَتَّزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَ إِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)

هدى من الآيات:

الاعداد للحرب أهم من القتال فى الساحه،و المال يقوم بدور فعال فى الاعداد، و تعرّض أحد الدروس السابقه الى دور المال السلبي حين ينفقه الذين كفروا للصد عن سبيل الله،اما فى هذا الدرس يفرض علينا القرآن قدرا مقدورا من المال من أجل القضيّه و ذلك هو خمس ما يغنمه و يستفيده المرء،و لأهميه الإنفاق و للعصوبات التى أنزلت يوم التقى الجمعان،حين نصر الله المؤمنين بفضل تلك الرساله،بالرغم من بعض المفارقات مثل:انكم كنتم فى أسفل الوادى و هم فى أعلاه..وانكم مختلفون فى مواعيدكم،و لكن الله قدّر ان يتم حجته على خلقه،يبعث برسالاته إليهم بينه و حجه،و لو لا تقدير الله ذلك الذى أراد ان يحطم السد الذى صنعه الكفار امام انتشار الرساله،إذا لما وقعت الحرب إذ أن ربنا قلل كل فريق فى عين الفريق الثانى حتى استهان كل بصاحبه فتحاربا فانتصرت الرساله.

الكيان المالى للإسلام:

[٤١] من دون وجود كيان مالى للمجتمع الاسلامى يفقد المجتمع توازنه و قدرته على الاستقامه و التصدى للأعداء، و الخمس واحد من المصادر المالىه، و حين نقول المجتمع المسلم نقصد بذلك الكيان الذى يقوم فى حاله غياب الدوله، أو ذلك الكيان الذى يفرض نفسه على الدوله فيحدد شكلها و مسيرتها، كما تفرض الأحزاب السياسيه و جماعات الضغط فى الديمقراطيات الغربيه شكلا معيناً على الدول، و كما تفرض التيارات على الدول، بالرغم من عدم الاعتراف بها رسمياً.

و هكذا فالمجتمع المسلم يمتلك كيانا مستقلاً قائماً بذاته أقوى من الدوله. حتى و إن كانت اسلاميه، هذا الكيان المستقبل يعتمد على الشعائر الدينيه كالجماعه و الجمععه و الحج فى تقويه صلات افرادها مع بعضهم، و يعتمد على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الدعوه و إرشاد الجاهل فى تحصنه امام التيارات الدخيله، و يعتمد فريضة العلم و ضروره نشره، و انفصال علماء الدين عن تبعيه السلطات فى الحقل الثقافى، و يعتمد على الخمس و الزكاه و الصدقات فى الجانب الاقتصادى.

و بالرغم من ان الخمس يدفع للإمام الذى ينوب مناب الرسول صلى الله عليه و آله فى قياده الامه، و لكن لا يعنى ذلك أبداً انه يدفع للدوله الا إذا كان رئيس الدوله هو الامام ذاته. هنالك يدفع اليه بدافع الايمان به، و انه يمثل الكيان الاجتماعى لا بصفته رئيس الدوله كالذى يحدث الآن-مثلاً فى الدوله الاسلاميه القائمه فى إيران حيث يعتبر القائد الأعلى لها هو امام الامه السيد الخمينى (دام ظله) بيد انه لا يستلم الحقوق الشرعيه كالخمس و الزكاه و الصدقات و النذور بصفته رئيساً للدوله، بل بصفته قائداً للامه.. و انما يدفع الخمس من يشعر بإيمان واقعى بضرورته و وجوبه.

فى اى شىء يفرض الخمس؟

ظاهر الآيه ان الخمس مفروض على الغنائم، وبالرغم من ان الكلمه تطلق اليوم على غنائهم دار الحرب بيد ان المعنى اللغوى لكلمه الغنيمه لا يختص بما يحصل عليه المحاربون فى ساحه القتال. و فى عصر نزول القرآن لم تكن هذه الكلمه قد أصبحت خاصه بهذا المعنى بالذات لذلك قال الراغب: الغنم (بفتحيتين) معروف قال:

«وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَ نَآ عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا» و الغنم (بالضم فالسكون) إصابته و الظفر به، ثم استعمل فى كل مظفور به من جهه الأعداء و غيرهم، قال: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ» «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا» المغنم ما يغنم، و جمعه مغانم قال: «فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ» (١).

من هنا وجب الخمس على كل ما يكتسبه و يغنمه الفرد، و هو ضروره دفاعيه، و بهذه المناسبه ذكر القرآن هذه الفريضه ضمن آيات القتال، كما ذكر ربنا الإنفاق فى سبيل الله و الجهاد بالمال ضمن الحديث عن الحرب و الجهاد بالنفس.

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَ لِاتِّمَامٍ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ

وجوه صرف الخمس:

حينما ينسب شىء الى الله فان معناه تحرره عن امتلاك الناس. اما امتلاك الرسول و ذوى قربه فلا يعنى امتلاكهم للمال بصفتهم اشخاصا. بل لأنهم يمثلون

ص: ٦١

قياده المجتمع، اما اليتيم فهو الذى مات أبوه و لم يبلغ الحلم، و المسكين المحتاج الذى أسكنه الفقر عن ضرورات حياته، اما ابن السبيل فهو عابر السبيل الذى انقطعت به الطريق فلا بد من توفير ما يبلغه محله.

و جاء فى الحديث المأثور عن العبد الصالح عليه السلام انه قال:

(الخمس فى خمسة أشياء: من الغنائم) يعنى غنائم دار الحرب حسب المصطلح فى ذلك العصر المتأخر) و الغوص و من الكنوز و من المعادن و الملاحة يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمسه فيجعل لمن جعل الله له، و يقسم اربعة أخماس بين من قاتل عليه و لى ذلك.

و يقسم بينهم الخمس الخامس على ستة أسهم. سهم لله تعالى، و سهم لرسوله صلى الله عليه و آله و سهم لذى القربى، و سهم لليتامى، و سهم للمساكين، و سهم لأبناء السبيل، فسهم الله تعالى و رسوله لاولى الأمر من بعد رسول الله وراثه فله ثلاثه أسهم. سهمان وراثه، و سهم مقسوم له من الله، فله نصف الخمس كلاً، و نصف الخمس الثانى يقسم بينهم على الكتاب و السنه ما يستغنون به فى سنتهم. فان فضل منه شىء فهو للوالى، و ان عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالى ان ينفق عنهم ما عنده ما يستغنون به، و انما صار عليه ان يموئهم لان له ما فضل عنهم، و انما جعل الله هذا الخمس خاصه لهم دون مساكين الناس و أبناء السبيل عوضاً لهم عن صدقات الناس تنزيهاً من الله لقربائهم من رسول الله، و كرامه من الله لهم عن أوساخ الناس، فجعل لهم خاصه من عنده و ما ينقيهم به ان يعيدهم فى موضع الذل و المسكنه، و لا بأس بصدقه بعضهم على بعض.

جاء فى كتاب الدر المنثور عن ابن المنذر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال سألت علياً عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين اخبرنى كيف صنع ابو بكر و عمر (رض) فى الخمس نصيبكم؟ فقال عليه السلام:

اما ابو بكر(رض) فلم يكن فى ولايته أخماس و اما عمر(رض) فلم يزل يدفعه اليّ فى كل خمس السوس و جند نيسابور، فقال و انا عنده: هذا نصيبكم أهل البيت من الخمس، و قد أهل ببعض المسلمين و اشتدت حاجتهم فقلت: نعم، فوثب العباس بن عبد المطلب فقال: لا تعرض فى الذى لنا، فقلت: السننا من ارفق المسلمين و شفع أمير المؤمنين، فقبضه، فوالله ما قبضناه و لا قدرت عليه فى ولايه عثمان(رض) (١).

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ إِيْ ادفعوا الخمس ان كنتم آمنتم بالله و برسالاته التى أنزلت على عبده و رسوله محمد صلى الله عليه و آله يوم تميز الطيب عن الخبيث بالحرب.

يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ جمع الايمان و جمع الكفر.

وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر لنصره المؤمنين برسالته على أعدائهم. و حين تنتصر الرسالة فذلك يكون دليلا واضحا على صدق برامجها و صوابها، و كل فكره يجب ان تقاس بالعقل و بالمكاسب الواقعيه التى تحققها.

القضاء و القدر

[٤٢] بالرغم من ان المؤمنين كانوا فى مواقع أسوأ من موقع أعدائهم إذ كانوا

ص: ٦٣

أسفل الوادى بينما أعداؤهم فى أعلاه.

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّيُومِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ العدوهِ شفير الوادى-و للوادى شفيران ادنى و أقصى.بينما العير الذى كان يحمل تجاره قريش كان أسفل من الجمعين،حيث كان على بعد ثلاثة أيام من ارض المعركه اى على شاطئ البحر الأحمر.

لقد كانت الحرب مفاجئه بالنسبه الى المسلمين فى بدر،حيث كان الهدف الاصلى للحمله فك الحصار الذى فرضه الكفار على المسلمين،و لو ان المسلمين كانوا يعلمون أنه بدل القافله المحمله بأنواع السلع الضروريه لمجتمع محاصر سوف يلقون الف محارب مَجْهَوز و هم زهاء ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا- لم يكتمل تجهيزهم للمعركه.لو كانوا يعلمون ذلك إذا تخلفوا عن المعركه.

وَ لَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّلّٰهِ هُوَ الَّذِى قَدَّرَ الْحَرْبَ لِحٰكِمِهِ بِالْغَيْبِ.

وَ لَكِن لِّيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا بَيْنَ الْقَضَاءِ وَ الْقَدْرِ فَرَقَ هُوَ اِن الْقَدْرِ:هو ما يسنه الله للكون من انظمه،بينما القضاء هو تنفيذ تلك السنن أو تدخل مباشر للغيب لتغيير مجرى الأقدار.و كانت هزيمه الكفار من قضاء الله فى تلك الفتره،بينما قدر الله كان يقضى بهذه الهزيمه بالتالى.

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِهِ وَ يَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِهِ بَعْدَ الْاِنْتِصَارِ السَّاحِقِ لَلَّامِهِ عَلَىٰ اَعْدَائِهَا فِى حَرْبِ بَدْرِ،تحقق انتشار الرساله

الأول: ان الرساله قد حققت صدق نبوءتها.

الثانى: ان عقبه الخوف و الدعايات الباطله و التسلط الجاهلى قد ارتفعت عن طريق الرساله، فالآن بإمكان الجميع ان يستجيب للرساله من دون عقبه. فاذا آمن فانما آمن بعقله، و إذا كفر فسوف يلقى حقه بعد وضوح الحجه عليه.

وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ

تدبير الله:

[٤٣] و كان من تدبير ربنا الحكيم انه ارى رسوله صلى الله عليه و آله العدو قليلا تشجيعا على محاربتة، بينما قلل المسلمين فى أعين العدو حتى استهانوا بقوه الايمان و سلامه البرامج العسكريه و حكمه القياده الرشيده التى يملكونها.

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَرَأَوْهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ أَي إِذَا ذَهَبَ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ عَزِيمِهِ وَ هُمَ عِنْدَئِذٍ يَشْتَدُّ الْخِلَافَ بَيْنَكُمْ شَأْنُهُ شَأْنُ كُلِّ مَجْتَمَعٍ يَفْقَدُ انْدِفَاعَهُ نَحْوَ هَدَفٍ مَشْتَرِكٍ وَ مُقَدَّسٍ.

وَ لَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ وَ اعْطَى لِلْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَةَ وَ الْأَمْنَ.

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ انه محيط بما لا يزال فى قلوب المؤمنين من عوامل الخوف و الهلع.

[٤٤] و حتى فى بدايه المعركه ارى الله المسلمين جمع الكفار قليلا بالرغم من

كثرتهم الظاهريه، فاستعد المسلمون للنزال بقلوب شجاعه. اما العدو فقد أراه الله المسلمين قله، و لم يستعد للمواجهه الحاسمه أو لم يستعد خوفا بل استهانوا بهم، كل ذلك لكي تتم المعركه بهزيمه العدو. فانتشار الرساله.

وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَغْنِيكُمْ قَلِيلاً بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْهُمْ زُهَاءُ الْفِ.

وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْنِيهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فَهُوَ الَّذِي يَقْضِي فِيهَا بِحُكْمِهِ الرَّشِيدِ بِالرَّغْمِ مِنَ السَّنَنِ وَ الْأَقْدَارِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا أَنْ هُنَاكَ عَوَامِلٌ خَفِيَّةٌ بَعْضُهَا نَفْسِيَّةٌ وَ بَعْضُهَا طَبِيعِيَّةٌ تَلْعَبُ دَوْرًا حَاسِمًا فِي اللَّحْظَاتِ الهَامَةِ. مثلاً في الحمله الامريكيه على إيران بعد انتصار المؤمنين كانت هناك زوبعه رمليه غير محتسبه في منطقته الحادث افشلت الحمله التي أعدت لها أكبر قوه عسكريه في العالم عدده أشهر، و زعمت انها غالبه اراده الله -حاشا لله- انه عامل طبيعي يتدخل بطريقه غير منتظره فيغير مجرى تاريخ كامل. لان نهايات الأمور بيد الله مصير الأمور و مرجعها هي الاراده الأسمى لربنا الحكيم.

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصِيءُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي لَجَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)

اللغه

٤٦] تذهب ريحكم]: تتلاشى قوتكم و دولتكم.

٤٧] بطرا]: البطر الخروج من موجب النعمه من شكرها و أصل البطر الشق.

٤٨] تراءت]: التقت.

[نكص على عقبه]: ولى مدبرا.

ص: ٦٧

هدى من الآيات:

اللّٰه ينصر المؤمنين و لكن اللّٰه حكيم لا ينصر الا من وفر في نفسه عوامل الانتصار الظاهريه و الخفيه..و في هذا الدرس يوصينا اللّٰه ببعض تلك العوامل.

اولا:الثبات و عقد العزم على الاستقامه.

ثانيا:ذكر اللّٰه كثيرا.

ثالثا:الطاعه التامه للّٰه و للقياده الرساليه.

رابعا:تجنب الخلافات الجانيه،لأنها تسبب فشل القلب و توانيه و ذهاب الهمه و التطلع عنه.

خامسا:الصبر و تحمل الصعاب لان اللّٰه مع الصابرين.

اما عوامل الهزيمه التي يذكرنا اللّٰه بها فهي:

اولا:الخروج الى المعركه بطرا مغرورين بالنعم،غير مفكرين بعواقب الأمور.

و كذلك الخروج رياء.

ثانيا:ان يكون هدف المعركه خبيثا مثل الصد عن سبيل الله،و التسلط على رقاب الناس،غفله عن ان الله محيط بهم.

ثالثا:الخداع الذاتى،و الزعم بان كل عمل يصدر منهم فهو صحيح.

رابعا:الغرور بالقوه التى لديهم.

خامسا:الاعتماد على الشيطان و اهوائه.

و هكذا اعتمد الكفار على خداع الشيطان فانهزموا،إذ ان الشيطان خدعهم و تركهم فى ساحه الحرب يواجهون السيوف و الحرب وحدهم و تبرأ منهم و قال: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

و فرق بين الغرور و بين التوكل على الله.و المنافقون لا يعرفون هذا الفرق فيزعمون ان الاعتماد على الدين الصحيح و على الله،كالاعتماد على الخرافات و أقوال الشيطان.كلا.. أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ،بعزته يكسر شوكة الكفار،و بحكمته ينصر المؤمنين عليهم.

بينات من الآيات:

شروط الانتصار:

[٤٥]أول شروط الانتصار،هو عقد العزم على الاستقامه و الثبات مهما كلف الأمر..كما

قال الامام على عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لما أعطاه الرايه يوم الجمل:

«تزلو الجبال و لا تزل.عضّ على ناجذك.أعر الله جمجتك.تد فى الأرض

ص:٧٠

قدمك. ارم بصرک أقصى القوم و غصّ بصرک، و اعلم ان النصر من عند الله سبحانه « (١).

و لكن العزم على الثبات بحاجه الى تنميه الاراده و شحذ العزم و ذلك عن طريق تحقيق الشرط الثانى للانتصار.. و هو ذكر الله ذكرا كثيرا. لان ذكر الله يوجه المرء الى أوامره الرشيده، و الى وعده و وعيده بالثواب أو بالعقاب، و الى الآلهه التى تشكر، و رضوانه الذى يرجى و حبه الذى يتطلع المؤمن الى الشهاده من اجله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الْفَلَاحِ يَأْتِي بِالنَّيْجَةِ بَعْدَ شَرْطِي الثَّبَاتِ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.

[٤٦] اما ثالث شروط النصر. فهو الطاعه لله بتنفيذ برامجه و الطاعه للرسول و للقياده الرساليه التى تحكم باسم الله من أجل تنفيذ أوامره اليوميه.

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ اِبْرَزَ فَوَائِدَ الطَّاعَةِ الْوَحِدَهُ، وَ نَبَذَ الْخِلَافَاتِ، وَ رَدَّ كُلَّ الْخِلَافَاتِ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ.

وَ لَا تَنَازَعُوا وَ لَكِنْ لِمَاذَا يَجِبُ تَجَنُّبُ النِّزَاعِ؟ اَوْلَا: لِأَنَّهُ يَضْعَفُ الْإِرَادَةَ وَ يَبْعَثُ الْوَهْنَ فِي النَّفْسِ.

ص: ٧١

ثانياً: لأنه يذهب بالكرامه و العزه و التطلع، و بالتالى يدمر كل فريق شخصيه الفريق الثانى، و من تحطمت شخصيته و هانت نفسه عليه فانه لا يحارب عدوه، و لا يرى نفسه كفؤاً للصراع مع منافسيه.

فَتَفَشَلُوا وَ تَذَهَبَ رِيحُكُمْ مِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ الْقِيَادَةَ الَّتِي يَعِيشُ الْمَجْتَمَعُ تَحْتَ ضَلَالِهَا الصَّرَاعَاتُ لَيْسَتْ بِقِيَادَةٍ حَقِيقِيَّةٍ كَمَا عَرَفْنَا أَنَّ مِنْ عَوَامِلِ النَّصْرِ غَيْرِ الْمَنْظُورَةِ هِيَ إِعْطَاءُ الثِّقَةِ وَ الْكِرَامَةِ لِلْمُحَارِبِينَ، وَ عَدَمُ الْإِسْتِهَانَةِ بِهِمْ أَبَدًا.

اما الشرط الآخر للنصر بعد الطاعه فهو الصبر، و تحمل الصعاب بانتظار المستقبل المشرق.

وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ يُؤَيِّدُ وَ يَسُدُّ خَطَايَاهُمْ. وَ حَيْثُ يَكُونُ الصَّبْرُ تَكُونُ الْإِسْتِرَاطِيَّةُ الطَّوِيلَةُ الْأَمْدَ، وَ الْإِسْتِمْرَارُ فِي تَنْفِيذِ الْخَطَّةِ، وَ تَحْمِلِ الْجِرَاحِ وَ الْجِدِّ وَ النَّشَاطِ فِي الْعَمَلِ، أَمَّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَ رُبَّمَا هَذِهِ الْمَنَافِعُ وَ غَيْرَهَا بَعْضُ مَا يَعْنِيهِ أَنَّ يَكُونُ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

[٤٧] حين يكون هدف القتال مقدساً، تخدم الطبيعه و الصدفه المحاربين و يسددهم الله خطاهم اما إذا فسدت نية المحارب فقاتل من أجل الفخر و الرغبه فى ذكر اسمه فى الانديه، أو حارب لأجل اعتقاده بأنه اسمى من غيره لما رزقه الله من نعم الحياه.

وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَ رِدَاءَ النَّاسِ حِينَ يَشْعُرُ الْفَرْدُ بِالْإِسْتِغْنَاءِ وَ اكْتِمَالِ حَيَاتِهِ الْمَادِيَّةِ، يَأْخُذُهُ الْغُرُورُ فَيُخْرِجُ مِنْ

بيته لاستغلال الآخرين و التسلط عليهم و إثبات قوته و سطوته.

«و جاء فى التفاسير عن ابن عباس: لما رأى أبو سفيان انه أحرز عيره أرسل الى قريش ان ارجعوا فقال ابو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا(و كانت بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام) فنقيم بها ثلاثا و نفرق علينا القيان و تسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا و ناحت عليهم النوائح.

ان هذه الواقعة التاريخيه واحده من مصاديق الحرب التى تشعلها نزوه شخص واحد يريد ان يصبح من ورائها بطلا معروفا كما أراد هتلر ذلك، و كما سعى وراءها صدام فى العراق فمن أجل ان يصبح بطل القادسيه الجديده، أشعل نار الحرب فكان هو و نظامه أول المحترقين فيها.

و هناك حرب قدره اخرى تشعلها مجموعه منظمه تهدف إيقاف توسع الرساله كالحرب الامبرياليه ضد الثورات التحريره. و كما الحروب المنظمه التى قادتها الجاهليه ضد رساله الإسلام.

وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

دوافع القتال عند الكفار:

[٤٨] ثلاثة عوامل نفسيه تدفع الكفار الى خوض غمار الحروب الطاحنه لهم:

الاول: بسبب سليات أعمالهم. فمع كل عمل سىء تنمو شاذه فى النفس، فالظلم البسيط يبسط ضبابا قاتما على القلب و كلما يكبر الظلم يتكثف الضباب فيصبح سحابا، فسحابا داكنا فمتراكما فحجابا من الظلمات، يرين على القلب، و هكذا تتكرس عاده الظلم عند مرتكبه حتى يرى الظلم أصلا ثابتا من الحياه بينما

العدالة شذوذا و جريمه.ان العنصريين و الرأسماليين و الشوفيين يرون المتمردين و الثوار عليهم،يرونهم خارجين عن العرف و العقل و الصواب،ذلك لان تراكم سليات العمل السىء على قلبهم جعلت الأعمال حسنه فى أعينهم.

وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمُ الثَّانِي:الغرور،و الاعتقاد بان قوتهم أكبر من القوى الاخرى،و ربما تنشأ هذه الحاله النفسيه من الاعتقاد المضخم بالذات..لذلك حكى ربنا سبحانه عنهم و قال:

وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ الثَّلَاثِ:يخيل الى قلب الكافر ان هناك بعض الناس يؤيدونهم و ذلك بسبب بعض المواعيد الفارغه لذلك قال الشيطان:

وَ إِنِّي لَجَارٌّ لَكُمْ

ساعه المواجهه!

اما هذه الدوافع النفسيه ما هى الا سراب سرعان ما تتكشف حقيقته.

فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ فى ساعه المواجهه الحقيقيه يعرف الكفار أن أعمالهم خبيثه و باطله،و ان كيدهم ضعيف،و ان أنصارهم المزعومين قد تبخروا و تلاشوا.

الشيطان تولى يوم المواجهه،و تبرأ حتى من أقواله و مزاعمه السابقه،و خشى من الله،و خاف العاقبه السوء التى تنتظر فريقه.

و إذا حدث هذا فى بدر بصورة مجسده كما جاء فى حديث مأثور، فان ذلك انما هو مثل ظاهر لواقع الكفار مع من يخدعهم من شياطين الجن و الانس، و النكوص على العقب هو العوده قهقرى.

وقد يكون الشيطان الغاوى أولئك الضعفاء المنهزمون نفسيا، الذين يتزلفون الى قاده العدو للحصول على المكاسب، و عاده ما يكون هؤلاء أشد تطرفا من غيرهم فى طرح الشعارات و التهديدات، و لكنهم أول المنهزمين الذين يبررون هزيمتهم بمعرفتهم بأمر لا يراها الآخرون.

[٤٩] فى الجانب الاسلامى توجد أيضا عناصر ضعيفه مثل المنافقين الذين يرون مبادره المؤمنين بالقتال نوعا من الغرور الذى يدفعهم اليه دينهم الجديد، و ايمانهم بفكره الرساله.

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَالْمَرِضُ قَدْ يَكُونُ النِّفَاقَ وَ قَدْ يَكُونُ الْخَوْفَ وَ الرِّهْبَةَ مِنَ الْعَدُوِّ.

و نسى هؤلاء ان الكفار يفقدون قدره التوكل على الله و مدى ما فى التوكل من بعث الروح الرساليه المندفعه.

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَ
أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ
الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَي قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعْذِرُوا مَا بَنَفَسُوا بِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَذَّابِ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرِفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ
عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)

هدى من الآيات:

بعد ان أوضحت آيات الدرس السابق عوامل النصر و الهزيمة،تشجعنا آيات هذا الدرس على الحرب ضد الكفار..دون لين أو هواده،لأنهم منبوذون عند الله بكفرهم،و تعاملهم ملائكة العذاب بقوه،يضربون وجوههم و ادبارهم،و يقولون لهم بشماته ذوقوا عذاب الحريق..فهل غضب الله عليهم عبثاً؟أم بسبب استحقاقهم للعذاب لما قدمت أيديهم و صنعته أفعالهم لان الله ليس بظلام للعبيد سبحانه؟مثلا قوم فرعون و الذين كفروا بآيات الله انما أخذهم الله بذنوبهم لكفرهم،لأنه لا يمر الكفر بدون عقاب لان الله قوى شديد العقاب.و عموما اراده البشر تصنع حياته و مستقبله و لا يغير الله نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طيب فى القلب و صلاح فى العمل،فتفسد نياتهم و تسوء أفعالهم.هذا قوم فرعون انما أخذهم الله بذنوبهم و أغرقهم حين كذبوا بآيات الله و كانوا ظالمين.ان الله لا يحب الكفار، و يعتبرهم شر الأحياء التى تدب و تتحرك فوق الأرض،فالكفار هم الذين ينقضون

عهدهم، ولا يتقون ربهم لذلك يمقتهم الله و يأمر بقتالهم كما يأتي فى الدرس القادم.

بينات من الآيات:

القيم فوق كل شىء:

[٥٠]المهم عند الله القيم التى يستهدفها المرء بعمله،فهى دون لون البشر و أسلوب التحدث و الطول و العرض.و الغنى و الفقر،فهى المقياس لذلك فان الله لا يعبأ بالبشر الذين كفروا بآياته،وانها ظاهره غريبه!ان الله الذى أسبغ نعمه ظاهره و باطنه على الإنسان و لكنه يعامل الكفار بهذه الطريقه.

وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ خَلْفَهُمْ وَ هُمْ يَقُولُونَ اذراء بهم.

وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ [٥١]فلما ذا يأخذ الله الكفار بهذه الشده؟يجيب ربنا و يقول:

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ الْيَدِ ابْرَزْ عَضُو فِي جَسَدِ الْبَشْرِ.و حين يقول ربنا قدمت أيديكم يتبين ان اراده البشر و أقرب أعضائه اليه يده التى صنعت هذا الواقع مقدما و لو لم يكن ذلك لكان ينسب الى ربنا انه ظلام للعبيد،كثير الظلم لهم بينما الصفه المعروفه لنا عن ربنا انه رحيم و دود بسبب مزيد نعمه التى لا تحصى.إذا فعلنا و ليس شىء آخر هو سبب العذاب.

وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فَهَمَّ عبيده فلما ذا يظلمهم؟ هل يتلذذ بظلمهم (حاشاه) و هو الغنى الحميد، أم يخشى منهم سبحانه و هو القوى العزيز.

[٥٢] و كمثل ظاهر من واقع التاريخ هذا، قوم فرعون هل ظلمهم الله أم أخذهم الواقع الفاسد الذى صنعته أيديهم؟ ان ذنوبهم التى أحاطت بهم فاخذهم الله بها اى جعلها تلف حول أعناقهم.

كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ اى كالعاده التى جرت فى آل فرعون.

وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ فلا يتهاون فى معاقبه من يستحق العقاب ضعفا ماديا أو معنويا سبحانه.

[٥٣] ذلك فيما يتصل بسنه الله فى الآخرة، اما سنته الأظهر لنا فيما نراها من تطور المجتمعات فما دام الناس مستقيمين على القيم السماويه و العمل الصالح، فان نعم الله تشملهم و بركاته تترى عليهم، و إذا غيروا قيمهم و سلوكهم غير الله عاداه الإحسان الى النكبه و الدمار.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ذَلِكَ الْعَوَامِلَ الَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ الْحَكِيمُ بِسَبَبِهَا تِلْكَ النِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ، لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى مَجْتَمَعٍ مَا نِعْمَهُ الْحَرِيهَ بِسَبَبِ تَوْحِيدِهِمْ وَ رَفْضِهِمْ لِلْإِسْتِسْلَامِ اِذَا ضُغُوطٌ

الجبت و الطاغوت، و أنعم عليهم الصحه بسبب استقامتهم على الفطره الاوليه التى خلقهم بها، و أنعم عليهم بنعمه الراحة النفسيه بسبب مكارم الأخلاق و سلامه السلوك و التريبه.

حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ أَى يبدلوا صفات الخير المتعلقه بأنفسهم الى صفات السوء.

وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع ما فى ظاهر المجتمعات، و يعلم ما فى صدورهم.

[٥٤]مثلا: سنه الله فى آل فرعون كيف ان ربنا أنعم عليهم بالأمن و الرفاه و جنات تجرى من تحتها الأنهار، حتى طغوا و بدلوا صفه و علاقه التعاون بينهم الى علاقه الاستغلال، و صفه النشاط فى عمل الصالح الى صفه التوانى أو المبادره فى عمل الفساد و هكذا فبدل الله نعمه و أرسل عليهم الطوفان فدمر مدنيتهم، و أرسل عليهم القمل و الدم و الضفادع، بدل الثمرات و الأرزاق و أرسل عليهم رياح الثوره فاقتلعت جذورهم و رماهم ربهم فى البحر.

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ أَى بحجج الله و بيناته و رسالاته البليغه التى وضحت لهم برنامج الحياه السعيده.

فَأَهْلَكْنَا أَمْمَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلِّ كَانُوا ظَالِمِينَ و من دون الظلم الذاتى و قيامهم بما يستوجب العقاب إذا لم يكن ربنا الودود يأخذهم بهذه العقوبه الشديده، يبدو من كلمه (كل) ان جميع المغرقين كانوا ظالمين

[٥٥] ويستخلص السياق القرآني الفكره الاصيله لهذا الدرس و هي: ان مقياس الصلاح و الفساد عند الله في البشر هو الايمان و الكفر، و ليس أي شيء آخر، و انه أسوأ الناس بل شر الأحياء الكافر.

□ □
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ □ □
الأرض، بل الذي بقي مستمرا على كفره و ضلاله برغم وجود نور في قلبه يهديه الى الحق.

[٥٦] و لكن يبقى سؤال: لماذا يهبط الكافر الى هذا الحضيض الأسفل عند الله؟ الجواب:

اولا: لان الكافر لا عهد له، فهو لا يحترم نفسه و لا الآخرين، و يلغى بذلك دوره في الحياه و يصبح كأنه لا وجود له و لا حضور في المجتمع، فتراه يعاهدك ثم ينقض عهده معك، ثم يعود يعاهدك فيخالف عهده مره اخرى.

ثانيا: انه لا يلتزم ببرنامج الرساله، بل لا يتعهد بمسؤوليه.

□ □
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لَا يَتَّقُونَ □ □

إشاره

فَمَا تَتَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْزُونَ (٥٩) وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ (٦٠) وَ إِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَ بَيْتِكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

اللغه

٥٧[تتفنفهم]:الثقف الظفر و الإدراك بسرعه.

[فشرد بهم]:التشريد التفريق على اضطراب.

٥٨[خيانه]:الخيانه نقض العهد فيما أو تمن عليه.

[فانبذ]:النبذ إلقاء الخبر الى من لا يعلمه.

[سواء]:السواء العدل.

اشاره

الردع.السلام الشريف.الاعداد

هدى من الآيات:

بعد ان بين المدرس السابق طبيعه الكفار و ضروره قتالهم،امر الله في هذا المدرس بالحرب الرادعه التي تلقى الرعب في افئده الأعداء خلف المعركه عن طريق إنزال الضربات القويه بمن هم في الجبهه،و إذا خشى المسلمون خيانه من العدو فعليهم ان يندروهم و يهددوهم بالغاء المعاهده.

و ليعلم المسلمون ان الكفار ليسوا بسابقين،و انهم لا يستطيعون تعجيز المسلمين و لكن على المسلمين ان يعدّوا كل قوه ممكنه لردعهم و ردع القوى الحليفه لهم من المنافقين الذين لا يعلم بهم سوى الله.و فى سبيل دعم القوى المسلحه لا بد من بذل المال الذى لا يذهب هدرا و لا يؤخذ زياده.

و إذا مال العدو الى الصلح فعلى المسلمين الا يخشوا من الصلح بل يتوكلوا على الله،و يقبلوا بالصلح،و الله سميع عليم.ذلك لان العدو لا يستطيع تحقيق احلامه، و علينا ان نعتمد على نصر الله الذى ايدّ رسوله و المؤمنين بنصره،و من آيات نصره انه

سبحانه ألف بين قلوبهم و أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

بينات من الآيات:

الاجراءات الهجوميه فى العسكريه الاسلاميه:

[٥٧] ما هو الهدف القريب للعسكريه الاسلاميه؟ الهدف هو الهجوم الصاعق و الماحق على العدو بغيه تحطيمه عسكريا و الحاق الهزيمه بمعنويات حلفائه من أجل ان يتركوا طغيانهم و يعودوا الى العقل.

فَمَا تَتَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ أَي إِذَا أَدْرَكْتَهُمْ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ.

فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ أَي الْعَدُو الَّذِي يَدْعُهُمْ مِنْ خَلْفٍ.

لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ أَي يَعُودُوا إِلَى رَشْدِهِمْ.

الخيانة و نقض العهد:

[٥٨] و حين تخاف من قوم خيانه بالعهد و الموائيق، فلا بد ان تعلمهم بخيانتهم و تهددهم بالحرب، و إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ .

وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ أَي عاملهم فى قضيه العهد كما هم يعاملونك دون ان تتجاوز ذلك و يدعوك

نقضهم للعهد الى الاعتداء عليهم لان الله تعالى لا يحب الخائنين. و اما هم فان خيانتهم سوف تسبب لهم ضررا و لان الله لا يُحِبُّ الخائنين .

[٥٩] و الذين كفروا يزعمون انهم أقوى و أحق بالحكم، لأنهم السابقون، و ان بإمكانهم-بسبب هذا السبق و التقدم الزمنى-ان يقضوا على قوه المسلمين و يعجزوهم و لكن كلا.

وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ان السبق الزمنى مع الكفر لا- يعنى شيئا فالكفر يعمى البصر و يغلق القلب و يشوش الرؤيه.

[٦٠] و لكن متى لا ينفع السبق؟ حين يكون هناك سعى دائب من أجل الحصول على القوه الذاتيه. و هذا السعى يعنى عده أمور:
الاول: الاستعداد للمستقبل، و الا يكون العمل فى لحظه الحاجه فقط.

الثانى: ان يكون هذا الاستعداد بالنشاط المكثف الذى لا يدع امكانيه و لا مقدره و لا جهدا و لا فرصه الا و تستغل من أجل بناء القوه الذاتيه.

الثالث: ان يكون الهدف هو التغلب على كل نقاط الضعف و كل الثغرات الامنيه و الاجتماعيه.

وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ هَكَذَا يَأْمُرنا رَبنا بتقويه أنفسنا بما نملك من استطاعه اى تحويل طاقاتنا

الكامنه فى أنفشنا الى كيان واقعى..يجب ان يتحول الفكر و العقل الى علم و خبره، و الخبره الى ابيه و عمارات و فنادق،و كذلك المقدره الجسديه يجب ان تتحول الى اسلحه و أدوات و صناعات مختلفه.

كما ان البرامج الفكرية الاسلاميه يجب ان تتحول الى قوه اجتماعيه متماسكه،اما المعادن و الذخائر فيجب ان تتحول الى قوه اقتصاديه و ثروه ماليه.

و لكن القوه يجب الا تكون فقط فى تعبئه القوى البشرية و الماديه فى صناعه الاسلحه،بل يجب ان يبلغ حد الاستعداد لخوض القتال مباشره لذلك أكد ربنا سبحانه على هذه الجبهه قائلا:

وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ اِذَا الْهَدَفَ اِلَّا بَعْدَ لَلِاسْتِعْدَادِ فَلَيسَ مَجْرَدَ الْقَدْرَةِ عَلَى الدِّفَاعِ، بل القدره على الهجوم فيما لو اختار العدو الاعتداء على المسلمين حتى يلقى فى افئدته الرعب.

تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ كَمَا اِنْ بِنَاءِ الْقُوَّةِ الذَّاتِيَةِ الرَّادِعَةِ تَمْتَنُ الْجَبْهَةُ الدَّاخِلِيَّةُ وَ لَا تَدْعُ ضِعَافُ النُّفُوسِ يَرْتَبِطُونَ بِالْأَجْنَبِيِّ اِبْتِغَاءَ الْعِزَّةِ وَ الْقُوَّةِ.

وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ بِنَاءِ الْقُوَّةِ الذَّاتِيَةِ بِحَاجَةِ اِلَى الْعَطَاءِ، وَ هَذَا الْعَطَاءُ سَوْفَ لَا يَذْهَبُ عَبَثًا بَلْ يَعُودُ اِلَى الْمَجْتَمَعِ وَ زِيَادِهِ.

وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ اِلَيْكُمْ

ای يعود إليكم وافيًا غير منقوص.

وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ [٦١] والاستعداد للقتال لا يعنى انبعث روح البطش و الاعتداء فى الامه، بل من الضرورى ان يكون انضباط الامه بمستوى قوتها، و ان يهتموا بالسلام أكثر من اهتمامهم بالحرب.

وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَ قَرَارِ السَّلْمِ يَجِبُ أَنْ تَتَّخِذَهُ الْقِيَادَةُ، وَ يَجِبُ أَيْدِىَ الْخَوْفِ مِنْ اعْتِدَاءِ الْعَدُوِّ عَلَيْنَا، لَا يَدْفَعُنَا نَحْوَ الْمَبَادِرِ بِالْهَجُومِ بَلْ لِمَقَاوِمِهِ هَذَا الضَّعْفِ النَّفْسِيِّ وَ هَذَا الْخَوْفِ يَجِبُ أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

أسباب الحروب:

[٦٢] ان الدافع الاساسى لكثير من الحروب الداميه، هو الخوف المتبادل من هجوم الطرف الاخر. و إذا كان عند أحد الطرفين اطمئنان كاف بالقدره، فانه لا يهاجم خوفا من الطرف الاخر و لا يستجيب لاستفزازاته.. لذلك يؤكد ربنا سبحانه على ضروره التوكل على الله تعالى و الثقه بنصره، و عدم الاستجابه لهاجس الخوف من العدو للقيام بحرب وقائيه.

وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ [٦٣] و كان من ابرز آيات نصره لك هو توحيد جهتك الداخليه، حيث ان الله هو الذى الف بين قلوب المؤمنين.

وَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ يَبْدُو فِي الظَّاهِرِ عَمَلِيهِ بِسَيْطِهِ بَيْنَمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ مِنْ دُونِ تَأْيِيدِ اللَّهِ.

لَوْ أَنْفَقْتَ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ حِينَ هَدَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَ زَكَاهُمْ عَنِ الذَّاتِيَّاتِ، وَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ كِتَاباً وَ رَسُولاً يَعْتَصِمُونَ بِحَبْلِهِ عَنِ طَرِيقِ تَطْبِيقِ بَرَامِجِ كِتَابِ الْوَحْدَةِ وَ تَنْفِيزِ أَوْامِرِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ .

إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

ص: ٨٩

إشارة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَشِيرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)

اللغة

٦٢ [يخدعوك]: الخدع و الخديعه إظهار المحبوب فى الأمر مع المكروه.

٦٦ [خفف]: التخفيف رفع المشقة بالخفه.

٦٧ [عرض الدنيا]: متاع الدنيا.

اشاره

الثقه، التحريض، اقتحام الصعاب

هدى من الآيات:

و لا يزال السياق يحرض على القتال، و يبين بعض الجوانب الاساسيه من الحرب و أبرزها: الاعتماد على الجيش الاسلامى المسلح بالايمان، ذلك لأنه مع عشرين مؤمنا صابرا ينتصر الجيش الاسلامى على مائتين، اى عشره أضعافهم، و مع مائه ينتصرون على الف جندى كافر، ذلك لأنهم لا يفقهون.

و الرأى السديد يكسب الحرب قبل اليد الشجاعه، و إذا ضعف المسلمون- كما حدث بعدئذ- فان جيشهم يغلب ضعف عدوه فالمائه الصابره تغلب مائتين، و الالف الصابره تغلب ألفين لاهميه الصبر، و إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ .

و مره اخرى يذكرنا القرآن بأمرين:

الاول: ان تأييد الله لا يعنى ان يتوقف المسلمون عن التضحيه، فمن دون وجود مقاومه مسلحه لا يكون للرسول اسرى.

الثانى: يجب الا يكون هدف الحرب الحصول على مغنم ماديه، و لو لا ان تقدير الله كان انتصاركم على العدو بالرغم من وجود ثغرات فى أنفسكم، مثل الرغبه فى عرض الدنيا إذا مسكم عذاب عظيم بسبب اخذكم المغنم.
ثم جاء الأمر القرآنى بحلته المغنم، و لكنه امر بالتقوى و عدم تجاوز الحد فى أخذ أو صرف المغنم.

بينات من الآيات:

دور القائد فى الحرب:

[٦٤] ان يثق القائد بجيشه و لا يستضعفه: انه شرط اساسى للنصر، لذلك امر الله نبيه الاكتفاء بما يملكه من الجيش.
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [٦٥] و لكن على القائد ان يرفع أبدا معنويات جيشه. فان النقص المادى فى الجيش الرسالى سوف يعوض بالمعنويات المرتفعه.
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ اى ادفعهم نحو القتال.

مظاهر فوه المؤمنين:

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ اى عشره أضعاف العدو، و القرآن لم يقل ان يكن واحد يغلب عشره، أو كل فرد يساوى عشره افراد، ربما لان العشرين بما لديهم من انسجام و تعاون و تلاحم

يقابل المائتين بما فيهم من اختلاف و تناقض.

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۗ لَا يَعْرِفُونَ أَهْمِيَةَ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، وَالتَّضَحِّيَةِ ابْتِغَاءَ الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ وَ سَائِرِ الْقَوَى الْمَعْنَوِيَةِ.

ان المعرفة تشبه كيانا متكاملًا، فاذا أنهار ركن اساسى منه فتحت ثغرات واسعه فى كيان المعرفة.. و الايمان بالله و بالقيم ركن شديد فى بناء العلم أو ليست القيم و المعنويات جزء هام من العالم، و الذى يكفر بها لا يعرف العلم على حقيقته. أرايت الأطفال الذين لا يحسنون التلفظ ببعض الأحرف كالدال و اللام و الراء و السين أنهم يشتبهون فى أكثر الكلمات، لان كثيرا من الكلمات تحتوى على هذه الأحرف فالذى يكفر بالله لا يفقه حقيقه العلم لان جزء من حقيقه العلم لا أقل هو العبوديه و الخضوع لله.

[٦٦] حين تكون الامه فى بدايه انطلاقها يكون أبنائها صفوه المجتمع الذين بادروا الى الرساله الجديده بوعى كاف، و ياراده حديديه تتحدى الضغوط المحتمل، بل الواقعيه من قبل الاباء و الأقارب و المجتمع و السلطه. لذلك فقدرتهم على الدفاع كبيره، بالاضافه الى ان التوجيه مركز بالنسبه إليهم و الاراده منضبطه. لذلك فان العشرين منهم يعادلون مائتين، اما بعدئذ فالوضع مختلف إذ يكون الواحد يعادل اثنين فقط و ذلك بسبب الضعف.

الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ۗ لَمْ يَكْلِفْكُمْ بِالْهَجُومِ مَا دَامَ عِدْدُكُمْ أَقْلَ مِنْ نِصْفِ الْعَدُوِّ.

وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا

فَمَا يُكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ □ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ □ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ □ يَأْذِنُ اللَّهُ □ فَاِنْ انتصاركم انشد ليس حتميا، بل انما هو بإذن الله، و مع تطبيق واجبات الشريعة.

وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ □ [٦٧] □ ولا يمكن ان ننتظر الغنائم و المكاسب من دون تقديم تضحيات، فلا نبي يحصل على اسرى حتى ينقل الأرض بالقتلى و المجروحين.

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى □ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ □ وَالْغُلْظِ □ وَالْكَثَافَةِ □ بِمَعْنَى □ وَاحِدٍ.

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا □ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ □ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ □ اى انكم تريدون المكاسب السريعه بينما الله يريد الاخره.

[٦٨] □ و لو لا كتاب ربنا سبق بنصر المؤمنين، إذا كانوا يستوجبون عذابا شديدا بسبب تهافتهم على المغانم، بينما المفروض عليهم و هم امه رساليه ان يكفروا فى تبليغ الرساله، لا فى المكاسب الماديه، و ربما المراد من العذاب العظيم هو الهزيمه.

لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ [٦٩] □ و لكن حرمه التفكير فى المكاسب الماديه من وراء الحرب لا تتعارض مع عداله التشريع الاسلامى فيما يخص غنائم الحرب إذ يجوز الاكل مما غنمه المسلمون

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَ الْاِكْلِ غَيْرِ الْاِمْتِلَاكِ.

□
وَ اتَّقُوا اللَّهَ فَلَا تَتَجَاوَزُوا حُدُودَ الْعُرْفِ.

□
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ص: ٩٤

إشارة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْرِيِّ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ مِمَّا هَاجَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ هَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فَعَلَيْكُمْ النَّصِيرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ إِلَّا تَفَعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَالْفَسَادَ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)

اللغة

[٧٢] آووا: الإيواء ضم الإنسان غيره إليه بانزاله عنده و تقريبه له.

[ولايتهم]: الولاية عقد النصرة للموافق في الديانة.

هدى من الآيات:

بمناسبه الحديث عن الحرب، يوجه القرآن الكريم خطابه الى الأسرى و يسليهم بشرط ان تكون نيتهم حسنه، و يحذرهم إذا كانوا خونه، و يأمر الرسول بألا يخشاهم.

و يعود القرآن الى المقاتلين فى سبيل الله و يقول: ان الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا هم و الذين اووا هؤلاء و نصرؤهم يشكلون امه واحده، بعضهم أولياء بعض، اما الذين لم يهاجروا و لم يلتحقوا بدار الإسلام فإنهم لا ولايه لهم.. اللهم الآ فى حاله واحده و هى حاله استنصاركم فى تلك الحاله يجب عليكم نصرتهم إلا إذا كان حربهم مع جماعه تربطكم بهم معاهده.

و كما ان المؤمنين امه واحده، فالكفار أيضا امه واحده، بعضهم أولياء بعض، و من دون القبول بهذه الفكره فان الأرض تعمها فتنه و فساد كبير.

المؤمنون حقا هم الذين هاجروا و الذين نصرؤا، اما الذين هاجروا من بعد قوه

الإسلام فإنهم يحسبون أيضا منكم، و كل هذه العلاقات و الروابط الجهاديه و الرساليه لا تمنع من وجود علاقات اخرى هي علاقات الرحم التي يجب ان تلاحظ هي الاخرى لان الله بكل شىء عليم.

بينات من الآيات:

كيف يوصى الإسلام بالأسرى؟

[٧٠] من أجل اعاده الشخصيه المفقوده لدى الأسير الكافر عند المسلمين و يعطيه أملا فى المستقبل، و لكى يصلح ضميره دون ظاهره يخاطب ربنا نبيه قائلا:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ فَقَدْ اخذ منكم عرض الدنيا بينما يعطيكم الحياه الحقيقيه فى الآخره ثم ان الايمان الصادق و العمل الصالح فى ظل الإسلام سوف يوفر لهم تقدما ماديا و معنويا كاملا.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و لذلك فخير لكم إصلاح نفوسكم، و عدم الاكتفاء بالتظاهر بالايمان.

[٧١] اما إذا لم تصلحوا أنفسكم و تنافقون، فان الله عليم حكيم، اما الرسول فعليه الا يضيق عليهم خشيه الخيانه لان الله أوسع علما و حكمه منهم، و هو ينصرک عليهم و على خياناتهم.

وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فلا يجوز الهلع من الأسرى لان الله الذى أمكن الرسول صلى الله عليه و آله منهم و اخضعهم

لرساله،انه سبحانه قادر على ان يمكنك منهم فى المستقبل أيضا.

صفات المجتمع الواحد:

[٧٢]المسلمون امه واحده لا فرق بين قريتهم و بعيدهم مواطنهم و غريبتهم.

فالمهاجرون و الأنصار اخوه متحابين.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ كَانَ اِبْرَز مَصَادِقِ هَؤُلَاءِ أَوْلِيكَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا
من مكه الى المدينه.

و يصدق أيضا على أبناء حركات التحرر الاسلاميه و سائر الرساليين الذين يهاجرون من بلادهم التى يسود عليها الطاغوت
ليجاهدوا فى سبيل الله و ينقذوا عباد الله من شر الطاغوت.

وَ الَّذِينَ آوُوا وَ نَصَرُوا مِثْلَ الْاَنْصَارِ مِنْ اَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُونَ الْمُجَاهِدِينَ وَ يَبْذُلُونَ لَهُمْ كُلَّمَا يَمْلِكُونَ مِنْ
مال و جاه.

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ تَرْبِطُهُمْ صِلَةُ الْاِيْمَانِ وَ تَجْمَعُهُمْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَ تَجْعَلُ مِنْهُمْ اِمَةً و احده من دون تأثير الفوارق
أبدا،فلهؤلاء المهاجرين الحق فى توجيه سياسه البلد المضيف، و لأولئك الحق فى توجيه سياسه الحركه الرساليه..اما أولئك
الذين لا- يزالون فى وطنهم المحتل أو المحكوم بنظام الطاغوت فليس لهم الحق فى عضويه الامه الرساليه،و لكن هذه الامه
تسعى من أجل إنقاذهم من براثن الطاغوت.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَ اِنْ

اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ أَى فِي تَحْقِيقِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَ قِيمِهِ مِنْ أَقَامَةِ الشُّعَائِرِ وَ التَّحَرُّرِ وَ الرِّفَاهِ.

فَعَلَيْكُمْ النَّصِيرُ لَهُمْ، لِأَنَّ نَصْرَهُ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَضْعَفِ هِيَ مِنْ أَبْرَزِ وَاجِبَاتِ الْأَمَّةِ أَوْ الْحَرَكَةِ الرَّسَالِيَّةِ، وَ هُنَا يَبْرُزُ سَأَلُ عَرِيضٍ وَ مَلْحٍ: كَيْفَ إِذَا تَعَارَضَتْ مَصْلَحَةُ الدَّوْلَةِ الرَّسَالِيَّةِ النَّاشِئَةِ وَ مَصْلَحَةُ الْجَمَاعَاتِ الْمُسْلِمَةِ غَيْرِ الْمُهَاجِرَةِ وَ الْمَجَاهِدَةِ؟ وَ تَعْرُضُ كَيْانَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْخَطَرِ إِذَا هَبَّتْ لِمُسَاعَدَةِ أَوْلِيَّكَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلًا: مَصْلَحَةُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَرِحَلَةِ صِلْحِ الْحَدِيثِيِّ الْإِثْتِيرِ عِدَاوَةِ قَرِيشٍ وَ تَحْتَفِظُ بِمُعَاهَدَةِ السَّلْمِ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهَا، بَيْنَمَا مَصْلَحَةُ مُسْلِمِي مَكَّةِ غَيْرِ الْمُهَاجِرِينَ نَقُضُ هَذِهِ الْمُعَاهَدَةِ كَيْفَ الْحَكْمِ فِي ذَلِكَ؟ يَقُولُ الْقُرْآنُ:

إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ذَلِكَ لِأَنَّ كِرَامَةَ الدَّوْلَةِ وَ الْجَمَاعَةِ النَّاشِئَةِ أَعْظَمُ وَ أَهْمُ مِنْ سَلَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَوَاجِدِينَ فِي الْبِلَادِ الْآخَرَى.

وَ قَدْ يَسْتَنْبِطُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ مَصْلَحَةَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أخطرُ مِنْ مَصْلَحَةِ الثَّوْرَةِ الْعَالَمِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، إِذِ الْمِيثَاقُ الَّذِي تَبْرَمُهُ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَجْسُدُ مَصَالِحَهَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَ عَقْلِيًّا مِنْ دُونِ وَجُودِ رَكِيزِهِ لِلثَّوْرَةِ الْعَالَمِيَّةِ وَ هِيَ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِمْتِدَادُ هُنَا وَ هُنَاكَ وَ صَنَعَ الثَّوْرَةَ الْعَالَمِيَّةَ؟! وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَعَلَيْكُمْ تَقْيِيمُ الْأُمُورِ بِدَقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ.

ص: ١٠٢

[٧٣] كما ان المؤمنين امه واحده بالرغم من اختلاف اقاليمهم و لغاتهم و طموحاتهم، كذلك الكفار يجب النظر إليهم كأمة واحده، و عدم التلاحم و التعاون مع جهه منها ضد جهه اخرى، لان حبال الارتباط بين هذه الجهه و تلك امتن من الصله بيننا و بين أحد الطرفين، و فى ساعه المواجهه يتفق الجميع ضدنا.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَإِذَا اخْتَلَطتِ الْأُورَاقُ وَتعاون المسلمون مع طائفه من الكفار باعتبارهم أهون عداء من طائفه اخرى، فتحالفا مع الشرق ضد الغرب، أو أوروبا دون امريكا أو ما أشبه فان ذلك يسبب فتنه و فسادا.

إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ الفتنة هنا-حسبما يبدو لى-النفاق و الضلاله، و تشويش الرؤيه و افتقاد البصيره الرساليه، مثل تبدل الثقافه الاصيله و النقيه بثقافات متناقضه مختلطه ذات أصول اجنبيه، تماما مثل ثقافه الأحزاب السياسيه فى بلادنا الذين يأخذون افكارا من الغرب و الشرق، و افكارا من الدين و التقاليد و يمزجونها ببعضها ليصنعوا منها ثقافه غريبه غير متجانسه. و بسبب الصلات الوثيقه التى تربط أبناء الامه الاسلاميه بهذا الجانب الكافر أو ذاك بهذا السبب تنتشر بينها مثل هذه الثقافه الباطله، التى تبعد عن الله و عن الحق، و التى يسميها القرآن ب(الفتنه).

و هذه الفتنة تنعكس على الواقع الخارجى للامه فتسبب الخلافات الحاده بين أبناء الامه المحتفظين بخط الدين الأصيل و بين أولئك الذين تأثروا بالغرب أو

سوره التوبه

اشاره

ص: ۱۰۵

فضل السوره

قال رسول الله محمد صلى الله عليه و آله :

«ما نزل على القرآن إلا آية آية و حرفا حرفا خلا= سوره البراءه و قل هو الله أحد فإنهما نزلتا على و معهما سبعون صف من الملائكه كل يقول يا محمد استوص بنسبه الله خيرا» (مجمع البيان ص ٢ ج ٦٥) لماذا تركت التسميه فى أولها قراءه و كتابه؟ للعلماء و المفسرين فى ذلك أقوال:

١- أنها ضمت الى الأنفال بالمقاربه فصارتا كسوره واحده إذ الاولى فى ذكر العهود و الثانيه فى رفع العهود(عن أبى بن كعب).

٢- انه لم ينزل بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ على رأس سورة البراءه لأن بسم اللّٰه للأمان و الرحمه و نزلت براءه لرفع الامان بالسيف.

-٣

ما روى عن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم الى براءه و هى من المثين و الى الأنفال و هى من المثانى فجعلتموهما فى السبع الطوال و لم تكتبوا بينهما (بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ) فقال: ان النبى صلى الله عليه و آله عند ما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له هذه الآيات فى السوره التى يذكر فيها كذا و كذا، و كانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينه و كانت براءه من آخر ما نزل من القرآن و كانت قصتها شبيهه بقصتها فظننا أنها منها رسول الله صلى الله عليه و آله و لم يبين انها منها فوضعناهما فى السبع الطوال و لم نكتب بينهما سطر بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ و كانتا تدعيان القرينتين.

ص: ١٠٨

- بالرغم من ان الطابع العام للسوره هو الإنذار الصاعق للمشركين، فان وجود آيات التوبه خصوصا فى بدايه السوره تفتح بابا عريضا للرحمه فى جو الغضب الرهيب. لذلك سميت بسوره التوبه.. اشاره الى ان المخرج من الوضع الحرج هو الذى يجب ان يركز الضوء عليه، و قد تسمى هذه السوره بالبراءه اشاره الى الجو العام لها.

- لا- يختلف كثيرا عن اطار سوره الأنفال. حتى ان بعضهم رأى ان التوبه امتداد لسوره الأنفال، ذلك ان السياق يتحدث عن ضروره هدم كيان الشرك من الأساس، و بناء الكيان التوحيدي، و استخدام العنف كآخر وسيله لحسم المواقف. و لكى يتقبل المجتمع الجهاد بما فيه من عنف و توضيحات فإنه بحاجة..

أولاً: إلى انفصال نفسى بينه وبين العدو.

ثانياً: إلى الاستعداد للتضحية، وجعل التضحية والشهادة فى سبيل الهدف القيمة الأعلى.

ثالثاً: تهيئه الوسائل المساعده للجهاد.. وهذه بعض الموضوعات التى يتحدث عنها السياق، بالاضافه الى بيان اهداف الجهاد الانسانيه حتى لا يتحول الى حاله عدوانيه شاذه.

و يتحدث السياق فى الآيات (٤٨/٦٠) عن الصدقات لعلاقتها بالجهاد، ثم يتحدث عن المنافقين و دورهم التخريبي فى الصراع.. الآيات (٦١/٤٨) و عن المؤمنين و وحدتهم و صفاتهم المثلئ.. الآيات (٧١/٧٢) ثم عن قتال المنافقين و الكفار، و عن النفاق بعد الايمان الذى يتعرض له بعض الناس.. الآيات (٧٥/٧٨) و عن الذين يمنعون الصدقات من المنافقين.. الآيات (٧٩/٨٠) أو التقاعس عن الجهاد أو سائر صفاتهم الشاذه.. الآيات (٨١/٨٧) و يتحدث السياق عن أعذار المنافقين فى الجهاد و عن استثناءات الجهاد (٩٠/٩٤) و عن الاعراب المنافقين منهم و المؤمنين.. الآيات (٩٧/٩٩) و عن أهل المدينة.. و فى الاعراب منافقون غير معروفين.. الآيات (١٠١).

و ان هناك طائفه اعترفوا بذنوبهم و يجب ان تؤخذ من أموالهم صدقات.. زكاه، و طهاره لهم، و قبولاً لتوبتهم.. الآيات (١٠٢/١٠٤) و بعد الحثّ على العمل يحدثنا السياق عن الذين اتخذوا مسجد الضرار إرصاداً لمن حارب الله و رسوله، و ضروره مقاطعه هذا المسجد، و الاستبدال عنه بمسجد التقوى.. الآيات (١٠٥/١١٠) و لقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم و أموالهم.. الآيات (١١١/١١٢) و ليس بين الكفار و المؤمنين ولاء حتى بالاستغفار، و ان الله يتم حجته على عباده، و ان الله يتوب على

من ختم امره بالجهاد أو بالتوبه..الآيات(١١٨/١١٣)من هنا يجب على المؤمنين القتال و ليعرفوا ان أعمالهم الصالحه جميعا محسوبه و مجزيه خيرا..الآيات (١٢١/١١٩)و لا- بدّ أن ينفر طائفه للتفقه و الإنذار الآيه(١٢٢)و يجب القتال ابتداء بأقرب الكفار..الآيه(١٢٣) و حين تنزل سوره يستهزئ بها المنافقون الذين فى قلوبهم مرض..الآيات(١٢٧/١٢٤)و الرسول يحب خيركم و لكن إذا تولى عنه أحد فحسبه الله..الآيات(١٢٩/١٢٨)،و هكذا تختتم السوره بذكر قياده الاسلاميه التى تنفذ تعاليم السماء بشأن الأعداء، كما تكرر اسم الكريم فى بدايه السوره.

اشاره

بِإِذْنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسَيُحْوَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ بَأْسٌ كَبِيرٌ (٣) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوَدَّاءٌ فَاتَّبِعُوا أَلْفَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأُخْضِرُوا أَعْيُنَهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

اللغه

١[براءة]:البراءه انقطاع العصمه.

٢[فسيحوا]:السيح هو السير على مهل.

٣[و أذان]:الاعلام و قيل أن أصله من النداء الذي يسمع بالاذن.

٤[و لم يظاهروا]:أى لم ينضموا الى أعدائكم حتى يكونوا ظهرا(عوننا)لهم عليكم.

٥[انسلك]:الانسلاخ خروج الشىء مما لابسه و أصله من سلخ الشاه و هو نزع الجلد عنها.

هدى من الآيات:

لكى يبنى الإسلام سورا عاليا حول المجتمع المسلم يحصنه من الشرك و الكفر، و من آثار الضلالة نفسيا و ثقافيا و اجتماعيا، تأتي آيات الدرس الاول فى هذه السوره صاعقه حاسمه، براءه من الله و رسوله الى الذين سكت الإسلام عنهم سابقا بسبب معاهده سابقه. أما الآن، فعليهم الاختيار بين الحرب و الإسلام بعد أربعة أشهر و ليعلموا ان قوتهم الماديه لا تقف أمام قوه الله و ان الخزى يلاحقهم بكفرهم.

و إعلان عام يصدر فى موسم الحج الأكبر حيث يتوافد الى بيت الله الناس من كل مكان ان الله برىء من المشركين، و كذلك رسوله إلا أن يتوبوا.

و الذين عاهدهم المسلمون من المشركين عهدا مؤقتا بمده فان الإسلام يفى بعهدة ما داموا و افين به.

أما بعد الأشهر الحرم التى تنتهى بشهر صفر فان الأرض ستطهر منهم إلا ان

يتوبوا و يؤمنوا و يسلموا لواجبات الدين، فان الله غفور رحيم.

بينات من الآيات:

لماذا ألغيت المعاهدات:

[١] بعد ان هيمن الإسلام على شبه الجزيرة بفتح عاصمتها مكة، و الانتصار على كبرى القبائل فيها كالهوازن. بقيت القبائل الصغيره التى أمنها الإسلام و لكنها بطبيعته كفرها و شركها كانت تشكل جيوب المقاومة، و تعرقل وحده الجزيرة الاداريه، و كان من الواجب إنهاء الصراع معها استعدادا للانتقال الى العالم، (خارج الجزيرة) لذلك جاءت البراءه، و الغاء المعاهدات بين المسلمين و المشركين، و لكن أعطيت لهم مهله اربعه أشهر يستعدون خلالها أما للتسليم أو للحرب- إن شاءوا- و لكن القرآن حذرهم، ان المقاومة لا تجديهم نفعاً.

بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [٢] فَسَيُحْوَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ فَلَا تَسْتَطِيعُونَ تَعْجِيزَ اللَّهِ وَ سَلْبَهُ قُدْرَتَهُ الْمَطْلُوقَهُ سُبْحَانَهُ، وَ لَكُمْ الْحَقُّ فِي التَّجَوُّلِ الْحَرِّ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ لِمُدَّةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.
وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ يَفْشَلُ خَطَطَهُمْ، وَ يَسْلُبُ مِنْهُمْ إِرَادَتَهُمْ، وَ لَا يَبْلُغُهُمْ أَهْدَافَهُمْ.

جاء فى الحديث المأثور عن أبى جعفر(عليه السلام)قال :خطب على(عليه السلام)فى الناس و اخترط سيفه فقال:

«لا يطوفن بالبيت عربان، و لا يحجن البيت مشرك، و من كانت له مده فهو

الى مدته، و من لم يكن له مده فمدته أربعة أشهر » و كان خطب يوم النحر، و كانت عشرون من ذى الحجه و محرم و صفر و شهر ربيع الأول و عشر من شهر ربيع الآخر،

و قال :

«يوم النصر يوم الحج الأكبر» و يبدو من هذا الحديث: ان القرآن انما ألغى العهود التي كانت مطلقة و قابله للالغاء و كانت تلك شريعه المتعاهدين من العرب. أما العهود التي كانت لها مده معينه، فانها لم تلغ بهذا القرار.

و من جهه اخرى.. في تلك السنه جرت بدعه النسيء و تأخير أشهر الحرم عن موعدها المحدد، و التي يتحدث عنها القرآن في آيه اخرى و لذلك حدد القرآن العهود الى أربعة أشهر و في آيه قادمه ربط الموضوع بانتهاء الأشهر الحرم.. بينما كان الإعلان في موسم الحج الأكبر و الذي كان في أيام الاجتماع الكبير بمنى.

[٣] و كثر القرآن إعلانة العام لكل المشركين الذين تربطهم أولا تربطهم مع الجبهه الاسلاميه معاهده.

وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ يكرر كلمه الرسول هنا لأنه منفذ تعاليم الله، و للاشاره الى ان القضييه ليست وصيه دينيه فقط، بل هي أيضا حقيقه سياسيه جديده.

إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يوم الاجتماع العظيم في مكه، بمناسبه الحج في ذى الحجه الحرام. و قد كانت هناك مواسم اخرى أقل اجتماعا من الحج الأكبر، و قيل أن المراد بالحج الأكبر هو

ص: ١١٤

الموسم الذى اجتمع فيه المؤمنون و المشركون معا، لأنه بعد تلك السنه لم يحج المشركون أبدا.

□
أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَمَاِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَاَعَلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ □ وَمَقَاومتكم لا تجدكم شيئا.

□
وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فِي الْآخِرَةِ، كما فى الدنيا.

[٤]إلغاء العهود و الاحلاف التى كانت بين المسلمين و المشركين كان محددًا بما يلى:

ألف: اما الغائها بسبب نقض المشركين لروح المعاهده أو لبنودها.

باء: و اما لانتهاؤ مده المعاهده.

جيم: و اما لان المعاهده كانت أساسا مطلقه و يجوز لأحد الطرفين الغاؤها بشرط إعطاء مهله كافيه للطرف الثانى.. و يبدو ان أكثر المعاهدات التى كانت تعقد بين العرب كانت من هذا النوع، و لذلك جاء فى هذه الآيه تأكيد على الوفاء بالمعاهدات المحدده بمدته معينه، و التى لم ينقضها الطرف الآخر و لم يخالف روحها.

□
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا أَى لَمْ يَخَالَفُوا بنودها.

□
وَ لَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا

ص: ١١٧

فلم يخالفوا روح المعاهده.

فَأْتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ أَىٰ إِلَىٰ انْتِهَاءِ مَدَّتِهِمْ كَمَا فَعَلَ الرَّسُولُ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَبَنِي ضَمْرَةَ.

كان قد بقى من أجلهم تسعة أشهر فأمر بإتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين و لم ينقضوا عهد رسول الله.

و كما فعل مع أهل هجر و أهل البحرين و ايله و دومه الجندل، حيث و فى بعهدة معهم الى نهايه حياته [صلى الله عليه و آله].

□
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَلْتَمُونَ بِالْعَهْدِ وَالْمَوَاقِفِ مَعَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

لا تجديد العهود:

[٥] بعد أشهر الحرم التى يحترمها الإسلام إذا احترمها الأعداء. بعدئذ يجب قتل المشركين أينما وجدوا.

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَالْأَشْهُرُ هِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَ ذُو الْحِجَّةِ وَ مُحْرَمٌ، وَ بَعْدَهَا يَأْتِي شَهْرُ صَفَرِ الَّذِي كَانَ آخِرَ مَهَلِهِ لِلْكَفَّارِ.

وَ خُذُوهُمْ أَسْرَى.

وَ اخْضُرُّوهُمْ

ص: ١١٨

أى ضعوهم فى محاصره قواتكم لكسر شوكتهم و هزيمتهم معنويا،للتقليل من نسبه القتلى.

وَ أَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ أى انشروا حول مواقعهم مراكز الرصد و الرقابه حتى تعرفوا تحركاتهم.

فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ دُونَ أَنْ تَحْقُقُوا فِي مَدَى صَحْهِ ادْعَائِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِسْلَامِيُونَ.

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مع شدة الأمر و عظم المصيبة التى امر الله سبحانه بانزالها بالمشركين..يوضح السياق أنّ بابا عريضا قد فتح امامهم و هو باب التوبه. و ان الله غفور رحيم بكل من يقبل بولايه الإسلام و يسلم تسليما.

و ما ذلك البلاغ الصارم..إما الإسلام أو الحرب، ما هو إلاّ رحمه للناس أرادها الله لهم.

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا - وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)
اسْتَرَوْا بِالآيَاتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا - فَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ لَشَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا - وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُكَذِبُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَاحِوْا نُكْمًا فِي الدِّينِ وَنَفَصِّلِ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)

وراء إلغاء المعاهدة

هدى من الآيات:

بالرغم من إعلان الحرب ضد الشرك، فإن ذلك لا- يعنى الغدر بهم بل إذا استجار بالرسول أحد منهم، فإن الإسلام يعطيه الأمان، لفته البحث عن صحة الإسلام، ثم إذا لم يقتنع يعاد الى مأمته سالما. و عموما الإسلام يفى بعهدته مع المشركين ما داموا ملتزمين به، و من دون عهد يشن عليهم حربا وقائيه لأنهم بمجرد قوتهم يقاومون الإسلام بكل جهدهم دون أن يردعهم قسم سابق أو عهد، يقولون كلاما حلوا و قلوبهم مليئه بالرفض و لا يلتزمون بقيمه.

أو ليسوا هم الذين باعوا دينهم بثمان بخس، و منعوا سبيل الخير، و عملوا كل عمل سوء، أو ليسوا هم الذين سحقوا حقوق المؤمنين دون أن يردعهم عهد أو حلف، و اعتدوا عليهم.

أجل لو انهم تابوا و أقاموا الصلاه و آتوا الزكاه فان الصراع ليس شخصا معهم و لا عنصريا فلذلك سوف يصبحون إخوانا للمؤمنين.

ان هذا الدرس و الذى يأتى يرسم خريطه التعامل مع المشركين كما يكشف خلفيات أنفسهم و سلوكهم.

بينات من الآيات:

إبلاغ الرساله:

[٦]الهدف الاساسى للصراع مع المشركين هو إبلاغ الرساله إليهم،و الطلب الوحيد منهم هو استماعهم لها من دون حجاب أو عقده مسبقه.لذلك لو طلب أحد من المشركين الامان حتى يأتى الى الديار الاسلاميه و يستمع من قرب الى تعاليم الرساله،فان الإسلام يؤمن له طلبه،لان كثيرا منهم يحارب الإسلام من دون وعى و لا يعلم بحقيقه الرساله،ثم ان لم يقتنع لا يغدر به بل يبلغه مأمنه بكل اعتزاز.

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ أَى طلب الحمايه،و كانت تلك عاده عريبه عريقه،ان الواحد منهم يطلب من رئيس القبيله المنيعه الجانب الحمايه،فتعطى له و يحفظ خلال فتره الاستجاره.

فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ لماذا يعطى للمشرك الحمايه بالرغم من حربه مع الإسلام؟لان المشركين لا يعلمون الحقيقه.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ و هكذا ترى الإسلام لا ينسى رسالته فى زحمه الصراع السياسى،كما يؤكد على دور الاعلام الأمين فى الصراع.ان علينا الا نعتبر الأعداء كتله صخريه لا تتفتت.

بل هم بشر و جهله، يؤثر فيهم الحديث و يبلغ قلوبهم الهدى المبين و يقلل الاعلام من حجم خساره.

[٧] ما هي خلفيه سلوك المشركين عموماً؟ انهم لا يلتزمون بقيمه ساميه لذلك لا عهد لهم و لا ذمه، إلا أولئك الذين عاهدهم المسلمون فيلتزمون بذلك العهد، ما دام المشركون يلتزمون بشروطهم.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ وَ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ يَبِينُ الْقُرْآنُ سَبَبَ هَذَا الْحُكْمِ، وَ هُوَ إِسْقَاطُ احْتِرَامِ الْمُشْرِكِينَ، أَمَا هُنَا فَهُوَ يَسْتَشْنِي الْمَعَاهِدِينَ.

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ أَي الَّذِينَ يَلْتَزِمُونَ بِمَوَاقِفِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ مَعَ النَّاسِ، حَتَّى وَ لَوْ لَمْ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ.

و تدل الآيه على ان من شروط التقوى الوفاء بالعهد مع المسلم و الكافر.

المشركون المعاهدون:

[٨] إذا امتلك المشركون القوه، و غلبوا المسلمين فهل سيراعون لهم عهداً أو حلفاً، و هل يحترمون دماءهم و أموالهم؟ كلا..

كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَ لَا ذِمَّةً أَي حلفاً و لا عهداً.

أما الآن فهم يتظاهرون بالتمسك بحسن المعامله و احترام حقوق الآخرين.

يُرْضُونَكَ بِأَفْوَاهِهِمْ بِكَلِمَاتِهِمُ الْفَارِغَةَ الَّتِي لَا تَتَعَدَى اللِّسَانَ.

وَ تَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَ تَرَفُضُ نَفُوسُهُمُ الْإِلْتِزَامَ بِمَا وَرَاءَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ.

وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ غَيْرَ مُلْتَزِمِينَ أُسَاسًا بِعَهْدٍ أَوْ قِيمَةٍ.

[٩] وَ هَلْ يَتَمَسَّكُ بِالْقِيمَةِ مِنْ يَبِيعُ دِينَهُ بِثَمَنِ بِخَسٍ.

إِشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنًّا قَلِيلًا وَ مَهْمَا يَكُنِ الثَّمَنُ الَّذِي يُعْطَى فِي مَقَابِلِ الْإِلْتِزَامِ بِالْقِيمَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ فَانْه قَلِيلٌ. إِذْ إِنْ شَخْصِيَّةَ الْإِنْسَانِ وَ كِرَامَتِهِ وَ حَتَّى مَدَنِيَّتِهِ أَمَّا هِيَ بِمَعْنَوِيَّاتِهِ، وَ بِمُدَى التَّزَامِ بِقِيمَةٍ فِي الْحَيَاةِ. أَنْظِرْ كَيْفَ أَنْهَمُ حِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ أَخَذُوا يَصَدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَ يَمْنَعُونَ كُلَّ عَمَلٍ الْخَيْرِ!! فَصَيِّدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٠] أَنْهَمُ لَا يَعْتَنُونَ بِحَقُوقِ النَّاسِ وَ خُصُوصًا الْمُؤْمِنِينَ.

لَا- يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَ لَا ذِمَّةً وَ أَوْلِيكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ أَوْلَا، وَ أَمَّا مَعَامِلَةُ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ فَهِيَ رَدُّ الْإِعْتِدَاءِ. كَمَا هُوَ الْحَالُ الْيَوْمَ بَيْنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَطَالِبَةِ بِحَقُوقِهَا الْمَهْتَمَّةِ، وَ بَيْنَ الطَّوَاغِيتِ فِي الْأَرْضِ، الَّذِينَ

يطالبون أبدا باحترام القوانين الجائزه المفروضه علينا.بينما هم لا يعتنون بأبسط حقوقنا و يعتدون علينا،و لذلك فنحن لا ننظر الى كل واقعه..واقعه مجردة عن التسلسل التاريخي للاحداث،بل علينا أن نحدد سياستنا معهم على ضوء مجمل معاملتهم معنا،و نوع العلاقه القائمه التي تحكمننا و إياهم.

التوبه باب الرحمه الالهيه:

- [١١]أمام هؤلاء المشركين باب عريض من التوبه و إصلاح أنفسهم،و آتئذ يصبحون اخوه لنا.

فَمَنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ لَا فَرْقَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أَبَدًا.لان الإسلام يرفض الفوارق العرقيه و العشائريه أو الاقليميه،و كذلك لا يعترف بالاسبقيه الايمانيه.بمعنى سيطره السابقين من المؤمنين قديما على اللاحقين جديدي الايمان.بل يعترف بالاسبقيه في حدود ضيقه يعطيهم اولويه الثقه و الاحترام فقط..و فيما وراء ذلك فهم اخوه متساوون أمام الله و الشريعه.

وَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَ يفهمون الفرق بين الأحكام التي شرعت للموضوعات المختلفه.

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّهَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا تَقَاتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْ تَخْشَوْهُمْ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)

هدى من الآيات:

ما هو الموقف الاسلامى من المشركين الذين نقضوا العهد، و خانوا أيمانهم؟ الموقف هو القتال الموجه ضد قياداتهم التى لا تلتزم بعهد و لا يمين و ذلك بهدف إيقافهم عند حدهم، و أسباب القتال هى:

أولاً: نكث اليمين، و عدم الالتزام به.

ثانياً: محاوله إخراج الرسول.

ثالثاً: انهم البادون بالاعتداء، و علينا ألا نخشى بطشهم. بل نخاف الله و نخشى عقابه ما دمنا مؤمنين به.

و الله يعذب الكفار، و لكن بأيدي المسلمين، و حين يكافح المسلمون أعداءهم فالله ينصرهم و يخزى الكافرين، و يزكى قلوب المؤمنين، و يدخل فيها الفرح

والبشاشه، وقد كانت سابقا مليئه بالغضب و الغيظ، و الذين اكتسبوا إثمًا أو ذنبًا، تكون الحرب مطهره لهم، لان الله يتوب على من يشاء من عباده.

و تدخل هذه الآيات ضمن اطار السوره فى التحريض على قتال المشركين و بيان سبب القتال و أهدافه.

بينات من الآيات:

﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾

[١٢]الناكثه هى الفرقه الضاله،التي تقاوم الرساله بعد التعهد بالتسليم لها، و عدم الاعتداء عليها،و قد تكون هذه الفرقه من المشركين أو من المسلمين ظاهرا، و القرآن يأمرنا بقتالهم بصراحه بالغه.

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ يَمِينِ الَّذِي يُعْطِيهِمْ فَرِيْقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَفَرِيْقٍ آخِرٍ يَعْتَبِرُ نَوْعًا مِنَ الْعَهْدِ الْجَمَاعِيِّ، أَوْ بِالْأُخْرَى يُعْتَبَرُ تَأْكِيدًا دِينِيًّا عَلَى عَهْدِ الْجَمَاعِيِّ لِذَلِكَ نَجِدُ الْقُرْآنَ يَمْزِجُ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالْعَهْدِ.

وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ لِكَيْ يَبْرِرَ هَذَا الْفَرِيْقُ نَقْضَهُمْ لِلْعَهْدِ يَطْعَنُونَ فِي الدِّينِ وَتَعَالِيمِهِ وَبُنُوْدِهِ، وَيَعْتَبِرُونَ تِلْكَ التَّعَالِيمَ مُخَالَفَهُ لِمَصَالِحِهِمْ أَوْ لِحُرِيَّتِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ.

﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ عَادَهُ يَكُونُ الْفَرِيْقُ النَّكَثُ مَلْتَمًا حَوْلَ قِيَادِهِ شَيْطَانِيَّةٍ.ذَاتِ خَطَطٍ مَا كَرِهَ. لَا تَكْشِفُ عَنْ نَفْسِهَا. لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْبَحْثُ عَنْ تِلْكَ الْقِيَادَاتِ وَمَحَارِبَتِهَا وَإِلَّا

فان إراقه دماء اتباعهم تزيد تلك القيادات قوه اجتماعيه، و يكرس سيطرتهم الباطله على أتباعهم المضللين.

و الواقع ان تلك القيادات لا- يمكن انتظار الوفاء منها لأنها بنت حركتها على ضرب القيم السائده و مقاومه المقاييس الاجتماعيه، و لذلك تجدها تكثر من الحلف و إعطاء العهد مع عزم مسبق على مخالفتها.

إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ و لكن يجب ألا- يتحول قتال الناكثين من أجل إشباع شهوه الانتقام، فيصبح اعتداء محرما على كرامتهم البشريه. بل يكون فقط بهدف إيقافهم عند حدهم، و اعادتهم الى شرعيه القيم الاسلاميه حتى يصبحوا كما غيرهم من الناس لهم حريتهم و كرامتهم و حقوقهم. لذلك أكد ربنا سبحانه على هذه الحقيقه قائلا:

لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَى يمسكون أيديهم عن نقض العهد و الطعن فى الدين.

[١٣] و اما العوامل التى تدفعنا الى قتال الناكثين فتتجسد فى:

أولا: نكثهم لليمين، و نقضهم لعهدهم السياسى مع المجتمع المسلم، و بالتالى مخالفتهم للنظام الاجتماعى، ذلك العهد الذى يقدمه المواطن المسلم عن طريق البيعه و يقدمه الذمى (كاليهود فى المدينه) فى صيغه معاهدات ثنائيه بينهم و بين قياده، و إذا نكث فريق عهدهم فان المجتمع المسلم يفقد حصانته، و بالتالى يخشى ان يتحلل الآخرون من عهودهم و التزاماتهم فينهار المجتمع تماما لذلك قال ربنا:

أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ

ص: ١٢٩

ثانيا:مقاوتهم للنظام السياسى و محاولتهم إسقاط حكومه الإسلام عن طريق محاربتهم للقياده الشرعيه المتمثله فى الرسول أو الامام.

وَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ثَالِثًا: انهم المعتدون أولا،و البادى بالظلم أظلم.

وَ هُمْ بَدُّوكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ عَادَهُ يَتَوَجَّسُ النَّاسُ الْخَوْفَ مِنَ النَّاكِثِينَ،و لكن الله يحرض عليهم و يقول:

□
أَتَخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ مَبَادِئَهُ وَ قِيمَهُ،و تساهل فى عهوده مع الناس،فأى شىء يبقى له بعدئذ حتى يحسب مؤمنا؟! [١٤]ان نتيجه القتال معروفه عند الله سلفا،و هى:

أولا:ان الله سوف يعذب الكفار بايدى المؤمنين.

□
□
قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ هَذَا يَعْنَى ان بعضا من أقدار الله يجريها عن طريق المسلمين،فعليهم ان يسعوا،و الله يسدد خطاهم و يوفقهم،و لا يجوز لهم التواكل و الكسل باسم التوكل على الله.

ثانيا:ان عزتهم بالإثم و غرورهم و كبرياءهم سوف تتحطم على صخره الاستقامه الاسلاميه.

وَيُخْزِهِمْ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِينَ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ حَبْرًا بِمِثْرِ حَبَّةٍ رِيحٍ وَ يُخْزِهِمْ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِينَ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ حَبْرًا بِمِثْرِ حَبَّةٍ رِيحٍ وَ يُخْزِهِمْ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِينَ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ حَبْرًا بِمِثْرِ حَبَّةٍ رِيحٍ

ثالثا: ان الله ينصر المؤمنين عليهم و يثلج قلوبهم بالنصر.

وَ يُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَ هُمُ الْأَكْثَرُ حِمَاسًا لِلْقِيَمِ، أَوْ الْأَكْثَرُ تَضَرُّرًا مِنْ خُرُوجِ الْكَافِرِينَ عَلَى الدَّوْلَةِ.

[١٥] رابعا: ان القتال يحل العقد النفسية التي تتراكم في قلوب المؤمنين بسبب خروج الكافرين على الدولة.

وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ فَيَسْتَعِدُّونَ لِلْبِنَاءِ وَ التَّقْدِمِ الْحَضَارِيِّ، وَ مُحَارَبَةِ أَعْدَائِهِمُ التَّقْلِيدِيِّينَ.

خامسا: ان بعض المسلمين يتأثرون بدعايات الكافرين، أو يتكاسلون في البدء عن مقاومتهم، فيصلحون بالقتال و النصر، كما ان البعض منهم قد احتملوا ذنوبا كبيرة و صغيرة و بسبب الجهاد في سبيل الله يغفر الله لهم ذنوبهم.

وَ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ لِذَلِكَ لَا يَمُكِّنُ أَنْ يَتَّكِلَ أَحَدٌ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَطْ وَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ إِنِّي أَذْنِبُ ثُمَّ أَجَاهِدُ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لِي، كَلَّا فَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لَا يَغْفِرُ لِكُلِّ مَذْنِبٍ إِنَّمَا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الذَّنْبَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ.

ص: ١٣١

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَهِّهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث القرآنى حول الجهاد المقدس من أجل تحقيق القيم الساميه يبين هذا المدرس جوانب من خلفيه الجهاد النفسيه:

فأولاً:الجهاد مدرسه لتربيته المسلم،و تمييز المؤمن الصادق عن الضعيف و المنافق.

ثانياً:المظاهر الدينيه التى يتوسل بها الكفار مثل عماره المساجد غير مقبوله عند الله و هى تحبط و لا- تنفعهم شيئاً فى الآخره.حيث يخلدون فى النار،و ان العماره الحقيقيه للمساجد،انما هى بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه،و خشيه الله،و ليس سواء القيام ببعض الأعمال الظاهريه،و التى قد يداخلها الرياء أو طلب السمعه مثل عماره المسجد الحرام،و سقايه الحاج،ليس سواء ذلك و الايمان الحقيقى بالله و برسالاته،و عند الله الايمان و الجهاد فى سبيله بالمال و النفس أعظم ثواباً من بناء المساجد،و الله يبشر المؤمنين الصادقين برحمه منه فى الدنيا و رضوان فى الآخره،

و جنات فيها نعيم مقيم.

بينات من الآيات:

الايان الصادق:

[١٦]الايان ليس بالتمنى،و لكنه بصدق العمل و تحدى الصعاب فى سبيل الحق،و الذى يجعل الايمان ذا مصداق واقعى هو الجهاد،و بذل منتهى الوسع فى سبيل تحقيق أهداف الايمان.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ سَوْفَ يَبْتَلِي الْمُؤْمِنِينَ بِصُعُوبَاتٍ وَيَأْمُرُهُمْ بِتَحَدِّيهِ بِالْجِهَادِ، وَهَنَّاكَ شَرْطَ آخِرٍ لَصَدَقَ الْإِيمَانُ يَتَحَقَّقُ بِالْوَلَاءِ الْخَالِصِ لَجِبْهَةِ الْحَقِّ، وَعَدَمِ السَّقُوطِ فِي وِلَاءَاتٍ بَاطِلَةٍ وَتَدَاخُلِهِ.

وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَهِّ أَيِّ وَسِيلَةٍ وَدَخِيلَةٍ، وَبِالتَّالِيِ انْتِمَاءِ.

وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

العمل الصالح جوهر لا مظهر:

[١٧]و لان الهويه الاسلاميه لا تتحقق إلا بإخلاص الولاء لله و للقياده الرساليه و للمجتمع المسلم،فان هذا هو المعيار الذى يحدد المؤمن و الكافر أما الأعمال الظاهريه مثل عماره المساجد،فانها ليس لا تنفعهم فقط بل و تضرهم أيضا. إذ تصبح شاهده عليهم.

ص: ١٣٥

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ لَإِنَّ الْمَسْجِدَ هُوَ مَحْرَابُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَحْدُدُ هَوِيَهُ
المجتمع المسلم و قيادته المتمثلة في الرسول و أوليائه. لا أولياء الشيطان من أنصار الطاغوت، و عبده الأصنام الحجرية و البشرية.
أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ لَانَ الْعَمَلِ الَّذِي لَا يَسْتَنْدِ إِلَى قَاعِدِهِ صَلْبِهِ مِنَ الرَّؤْيَةِ السَّلِيمَةِ وَ الْإِيمَانِ الْمَهِيمِ.

انه يسقط كما شجره بلا جذور، و كما بناء بلا أساس.

وَ فِي الدَّارِ هُمْ خَالِدُونَ [١٨] عماره المسجد لا تتم بوضع حجر فوق حجر، بل بتنفيذ كل الواجبات الدينيه التي تجعل المسجد
المبنى معمورا حقيقه، و ذلك بالايمان بالله و اليوم الآخر، و بالصلاه لله و إيتاء الزكاه، و بمقاومه الضغوط التي تأتي من القوى
السياسيه و الاجتماعيه و تحاول تركيع البشر و دفعه باتجاه التسليم للطاغوت.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَالْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ تَدْفَعُ الْبَشَرَ
نحو التسليم له عمليا و هو الشرك.

و إذا توفرت هذه الشروط كامله فان جوهر الصلاح و الفلاح و هو الوصول الى الحقيقه يتحقق.

فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ

و ربما كان تعبير القرآن ب(عسى) هنا أو ب(لعل) في موضع آخر، للدلالة على عدم الركون الى مظاهر الأمور، و السكون عند حد معين من العمل، أو من تحقيق شروط الهدايه بل يجب العمل بجد و مثابره و الخشيه من الأ يكون مقدار العمل كافيا لتحقيق الهدف المنشود كما الإنسان الذى يخشى موت ابنه من المرض. كيف يوفر كل الوسائل، و لكنه يظل يبحث عن المزيد من وسائل العلاج خشيه الا يكون ما هياه كافيا.

و العمل الصالح يزيد الهدى و العكس صحيح، إذ ان الظلم يحجب العقل، و يمنع البشر من الهدايه كما يأتى فى الآيه القادمه.

[١٩] الأعمال الظاهريه ليست كالأعمال الجذريه.. فليست سقايه الحاج و تعمير المسجد الحرام كالايمان بالله و اليوم الآخر، و الجهاد فى سبيل الله لأن الكافر و المنافق و الفاجر قد يقوم بمثل هذه الأعمال الظاهريه التى قد يتستر وراءها للقيام بالأعمال الشاذه.

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ

و قد جاء فى الحديث: قيل: ان عليا قال للعباس «يا عمم ألا تهاجر. ألا تلحق برسول الله؟!» فقال: أ لست فى أعظم من الهجره. اعمر المسجد الحرام، و اسقى حاج بيت الله فنزل: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (١) وَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَشْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ

ص: ١٣٧

ان الجهاد هو ذلك المقياس الذى لا يخطأ إذا كان فى اطار الايمان لأنه تحد للشهوات و الأهواء و مقاومه للطاغوت، و بلوره للاراده. و كثير أولئك الذين يبررون تقاعسهم عن الايمان و الجهاد و عما يتطلبه الجهاد من مساع و تضحيات. يبرونه ببعض الأعمال الظاهريه ذات اللافته العريضه، و الخواء الواقعى مثل طبع نسخ القرآن و تفاسيره و كتب التراث، و اجراء الحدود الامنيه على المستضعفين مثلما السلطات الطاغوتيه التى كلما تخالف نصوص الدين فى منح الحريه و الرفاه و المساواه تزيد من ترديد الشعارات البراقه، و تسميه الشوارع و المدارس باسم الحريه و الرفاه و المساواه، أو تزيد من رواتب علماء الدين و بناء المعاهد الدينيه، و كلما تخالف تعاليم الإسلام فى التحرر و الاستقلال و الديمقراطيه تزيد من تنفيذ تعاليم الدين فى جلد الزانى و اعتقال شارب الخمر، و مكافحه ما يسمى فى عرفهم بالارهاب و الجريمة.

و كما يصنعه الطاغوت، يفعله التجار الكبار الذين يتحالفون مع الحكام الظلمه، و يمتصون دماء المحرومين، و لكن يقدمون فتات موائدهم للفقراء، و يبنون مستشفى أو مستوصف أو يعبدون طريقا، أو ما أشبهه، فى الوقت الذى يتركون الشعب وحده فى مواجهه السلطات الطاغوتيه، أو المستعمر الغاشم.

و هكذا نجد العباس بن عبد المطلب عم الرسول بعد ان أسرف فى حرب بدر، و اقبل عليه أناس من المهاجرين و الأنصار و عثروه بالكفر و قطيعه الرحم نجده يبرر عمله قائلا: ما لكم تذكرون مساوءنا، و تكتمون محاسننا قالوا: و هل لكم من محاسن قال: نعم، و الله لنعمر المسجد الحرام، و نحجب الكعبه و نفك العانى (أى الأسير) فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا...﴾ .

و كلمه أخيره: ان كل واحد منا يمكن ان يصبح طاغوتا أو متحالفا مع الطاغوت، و يبتلى بخداع ذاتى لا يقدره الله و لا الضمير و لا التاريخ، فعلينا ان

نتمسك بمقياس دقيق لكي نمنع عن أنفسنا مرض الخداع الذاتى، ذلك المقياس هو الجهاد ففى اللحظه التى تشعر انك تسترخى و تترك مقاومه الانحراف فقد استسلمت و خارت أرادتك، و يمكن ان تنتهى واقعا و دون ان تشعر بذلك لأن الهدايه تتأثر بعمل الإنسان و تصميمه و مشيئته، فالظالم لا يهتدى، لذلك أكد القرآن فى نهايه الآيه:

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ □ □ □
و الله لا يهتدى القوم الظالمون قد تورطوا فى الضلاله و هم يحسبون انهم مهتدون، و الله يدعهم لأنفسهم و يتركهم لشأنهم.

[٢٠] فى المقياس الاسلامى يعطى الجهاد الأولويه، ثم تترتب سائر الأعمال الخيرييه مثل: عماره المساجد، و بناء المدن، لان أهم شىء عند الإنسان هو تحرره عن التسلط السياسى و الاستغلال الاقتصادى، و بناء المؤسسه الاجتماعيه الصالحه، و بعدئذ يأتى دور الاعمار.

□ □ □
الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَجْلِ إِقَامَةِ حُكُومِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. حُكُومِهِ الْحَرِيهِ وَ الْعَدَالَهُ وَ الْإِسْتِقْلَالَ.

هؤلاء:

□
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سَائِرِ مَنْ يَقُومُونَ بِالْخِدْمَاتِ الْجَمَاعِيهِ، أَعْظَمُ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي الْمَخْتَبِرَاتِ، وَ الْإِسَاتِذِهِ فِي الْجَامِعَاتِ وَ الْعَمَالِ فِي الْمَصَانِعِ وَ الْفَلَاحِينَ فِي الْحَقُولِ، وَ الْوَعَاظِ فِي الْمَسَاجِدِ لَانِ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ وَ الْاِقْتِصَادِيِّ الْفَاسِدِ يَذْهَبُ بِخَيْرَاتِ كُلِّ أَوْلِيكَ، وَ رِيْمَا يَسْتَعْمَلُ كُلُّ تِلْكَ الْمَكَاسِبِ مِنْ أَجْلِ تَدْعِيمِ سُلْطَةِ الطَّاعُوتِ، وَ تَكْرِيسِ ظُلْمِهِ وَ فِسَادِهِ

ص: ١٣٩

فمثلا: فقد تجد كل جامعات الولايات المتحدة تبحث لتقدم اطروحه علميه فى الفيزياء أو الكيمياء، و يقوم العمال الخبراء فى كثير من المصانع بتحويل الاطروحه الى واقع و تصنع سلاحا فتاكا يهدم حقول و مصانع الشعب الفيتنامى، و حتى الوعاظ فى كنائس امريكا قد يتحولون فى ظل نظام التسلط الرأسمالى الى خدم بسطاء لاستراتيجيات البنتاغون، فيدعمون سياسه التجنيد من أجل الحرب ضد الشعب الفيتنامى.

إذا أولئك المجاهدون الذين يهدفون تغيير النظام الفاسد، و تحرير الإنسان من عبوديه الرأسمال أو التسلط، أولئك أعظم درجه عند الله من سائر الناس.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ [٢١] و لاهميه هذا العمل، و لخطورته البالغه على حياتهم و لتضحياتهم الكبيره فى هذا السبيل فانه لا يقدم عليه الا المخلصون حقا الذين لا يحسبون لأنفسهم حسابا و انما يهدفون فقط خدمه الناس، و ابتغاء مرضاه ربهم لذلك كان جزاؤهم عظيما.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ إِسْقَاطُ الطَّاعُوتِ وَ اسْتِخْلَافُهُ، وَ الْوَصُولُ إِلَى سَدَةِ الْحَكْمِ مِنْ أَجْلِ الْقِيَامِ بِخِدْمَاتِ أَكْبَرِ مِمَّا سَبَقَ.

أما الرضوان فهو تيسير أمورهم من عند الله، و بلوغ حاله الطمأنينه و السكينه، هذا فى الدنيا.

وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ دَائِمٌ وَ لَا يَخْشَى زَوَالَهُ.

[٢٢] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْهَالٌ مُّقْتَرَفَةٌ مُّوَاهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْكِتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلَّكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)

اللغه

٢٤[اقترفتموها]:الافتراق اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره من قرفت القرحة إذا قشرتها و القرف هو القشر.

[فتربصوا]:التربص التشبه في الشيء حتى يجيء وقته.

٢٥[رحبت]:الرحب السعه في المكان.

هدى من الآيات:

لكى تستعد الأمة للصراع، لا بدّ ان يخلص انتماء أبنائها إليها باعتبارها تجمعا مبدئيا، وإلا يتخذوا أقاربهم أولياء إن فضلوا الكفر على الايمان. ذلك لان أى خلل فى الانتماء يبعث خللا فى الايمان، فلو كان الأب أو الأخ أو الزوج أو العشيره أو المال و التجاره أو المسكن أحب الى الفرد من إيمانه بالله و رسوله، و من جهاده فى سبيل الله، فلا بدّ أن ينتظر أمر الله الذى لا يحمل بالتأكيد فى طيه الهدايه و الفلاح للظالمين و الفاسقين.

و كمثل على هذا الخلل و اثره السلبي على الصراع ما جرى فى يوم حنين. إذ كان اعتماد الجيش على كثرتهم التى غرتهم لا على الايمان، فلم تغنى عنهم من الله شيئا. إذ انهزم الجيش و ضاقت عليهم الأرض على سعتها، و لكنّ الله أنزل سكينته على الرسول و المؤمنين فطمأنت قلوبهم، و انزل جنودا من عنده فهزموا الكفار و عذبوا عذابا شديدا.

يد ان الهزيمة كانت تجربه صاغت نفسه المسلمين فتاب بعضهم، فتاب الله عليهم، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

ان هذا الدرس يحدد بعض الشروط الاجتماعيه للجهاد بينما حدد الدرس السابق بعضا من شروطه النفسيه و الثقافيه.

بينات من الآيات:

المجاهد يتحدى الضغوط الاجتماعيه:

[٢٣]الولاء فى المجتمع المسلم يجب أن يكون للعقيده قبل أى شىء آخر،فحتى الولاء العائلى الذى يحبه الإسلام و يعتبر الأسره الوحده الاجتماعيه الضروريه، يجب أن يكون فى اطار الولاء الايمانى لا منافسا له.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَقَدْ كَانَ هَذَا الِاتِّمَاءُ الرِّسَالَى الْخَالِصِ سَبِيًّا فِي انْتِصَارِ الرِّسَالَةِ فِي عَصْرِ الرِّسُولِ،

يقول الامام على(عليه السلام) :

«و لقد كُنَّا مع رسول الله نقتل آباءنا..و أبناءنا..و إخواننا..و أعمامنا..ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً و تسليماً،و مضياً على اللقم،و صبراً على مفضض الألم،و جدّاً على جهاد العدو..فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت و أنزل علينا النصر.» (١)و إذا عرفنا مدى أهميه الاسره فى الحياه العربيه قبل الإسلام،نعرف مدى

ص:١٤٤

الخلوص الرسالى الذى بلغه المسلمون ذلك اليوم حتى حققوا الانتصار الكبير.

و قد عبّر الامام أبو جعفر (عليه السلام)، عن هذا الخلو ص الرسالى، بقوله:

«لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَهِّهِ فَلَا تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ فَإِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَ نَسَبٍ وَ قَرَابَةٍ وَ وَلِيَجْهٍ بِدَعْوَةٍ وَ شَبْهَةٍ مُنْقَطِعٍ إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ. « (١) ان كل ولاء يجب أن يكون فى إطار قيم الإسلام، وإلا فإن الانتماء الاسلامى يكون ضعيفا أو مرفوضا.

وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [٢٤] ليس الولا ء الاسرى فقط حاجزا دون الولا ء الرسالى، بل كل صله تقف حاجزا أمام العلاقة الاسلاميه يجب فكها و جعلها صله ثانويه.

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَى مِنَ الولا ء الخالص لله و للقيادة الرساليه المتمثله بالرسول فى عهدته، و بخلفائه من بعده، و هذا الولا ء يتجسد عمليا فى الجهاد و هو بذل كلما يستطيعه المرء فى سبيل تحقيق أهداف الرساله، لذلك خصصه القرآن بالذكر قائلا:

وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا وَ انظُرُوا فَإِنَّ هَذَا المَجْتَمِعَ الرَّاعِي للضغوط ليس أبدا مجتمعا رساليا، بل و لا

ص: ١٤٥

مجتمع مسلم حقا، و لذلك لا بدّ من انتظار الكارثه.

حَيْتَى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ قَدْ تَكُونُ الْكَارِثَةُ الْمَثْمَلَةُ فِي الْخِلَافَاتِ الدَّاخِلِيَةِ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَى الصَّرَاعَاتِ الْجَانِبِيَةِ الْمُنْتَطَلِقَةِ مِنَ الْمَحَوْرِيَّاتِ الذَّاتِيَةِ الَّتِي تَمْنَعُ تَكُونُ الْمَجْتَمَعِ الْمَوْحَّدِ، وَ مِنَ الْحَزْبِيَّاتِ الضَّيْقَةِ الَّتِي تَفْتَتِ الْوَحْدَةَ السِّيَاسِيَةَ الرَّصِينَةَ، وَ مِنَ الْوَطْنِيَّاتِ الزَّائِفَةِ الَّتِي تَحْطَمُ كِيَانُ الْإِمَّةِ، الْوَاحِدَةِ، ذَاتِ الْقِيَادَةِ الرَّسَالِيَةِ.

وَ كَلِمَا ضَعُفَتِ الْإِمَّةُ كَلِمَا خَسِرَتْ مَعَارِكَهَا الْحَضَارِيَّةَ مَعَ التَّخَلُّفِ أَوْ مَعَ الْأُمَمِ الْمُنَافِسَةِ كَمَا نَرَى الْيَوْمَ فِي الْإِمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَدِ ابْنَائِهَا الْبَالِغِ الْآلِفِ مَلْيُونِ، فَانِ الْمَحَوْرِيَّاتِ الذَّاتِيَةِ تَمْنَعُ مِنْ تَكُونِ الْوَحْدَةِ التَّنْظِيمِيَّةِ الرَّسَالِيَّةِ، وَ بِالتَّالِيِ مِنْ تَكُونِ الْوَحْدَاتِ السِّيَاسِيَةِ الْفَعَّالَةِ، فَعِنْدَنَا لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُسَمَّى بِالْحَزْبِ حَقِيقَةً إِلَّا قَلِيلًا، بَلْ كَلِمَا عِنْدَنَا وَ لَاءَاتٌ هَشَّةٌ غَيْرُ مُتَفَاعِلَةٍ مَعَ الرَّسَالَةِ بِقَدْرِ تَفَاعُلِهَا مَعَ الْمَصَالِحِ وَ الْأَهْوَاءِ وَ الْقَرَابَةِ، لِذَلِكَ تَجِدُ الْعَسْكَرَ وَ هُوَ الْأَفْضَلُ تَمَاسُكًا فِي عَالَمِنَا الثَّلَاثِ هُوَ الْمَسِيطِرُ أَبْدًا لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ إِمَامَهُ كِيَانُ سِيَاسِيٍّ مُتَمَاسِكٍ.

وَ إِذَا وَجَدَ التَّمَاسُكَ الْحَزْبِيَّ - وَ هُوَ قَلِيلٌ - فَانَهُ لَا يَنْتَهِي إِلَى التَّمَاسِكِ الْاجْتِمَاعِيِّ. إِذْ سَرَعَانَ مَا يَتَّصِلُ هَذَا الْحَزْبُ بِالْغَرْبِ وَ ذَاكَ بِالشَّرْقِ، وَ بَدَلَ أَنْ يَتَّفَقَا تَرَاهُمَا يَتَّصِرَانِ لِمَصْلَحَةِ أَحَدِي الْجِهَتَيْنِ، وَ ضِدَّ الْمَصْلَحَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ.

الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ لَمْ يَعُدِ الْإِطَارَ الْمَوْحَّدَ لِفَاعِلِيَّةِ أَحْزَابِنَا حَتَّى يُوْحِدَ جِهَوْدَهُمَا، وَ مَا نَرَاهُ فِي لُبْنَانَ أَوْ فِي شَمَالِ الْعِرَاقِ أَوْ فِي غَرْبِ إِيرَانَ، وَ مَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ انْتِمَاءَ الْأَحْزَابِ إِلَى مَجْتَمَعِهِمْ أَقْلٌ فَانِ الْوَطْنِيَّاتِ الزَّائِفَةُ تَفْتَتِ الْوَحْدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَ الْوَحْدَةَ الْقَوْمِيَّةَ، فَذَاذَا بَكَ تَجِدُ عَلَى كُلِّ قِطْعَةٍ أَرْضٍ رَايَهُ وَ نِظَامًا يَتَّحَارِبُونَ بِالرَّغْمِ مِنْ وَحْدَةِ مَصَالِحِهِمْ فِي الْإِطَارِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَوْحَّدِ.

و الآن نجد الامه الاسلاميه موزعه فى أكثر من خمسه و سبعين دوله أو دويله، و كل بينى جيشه و ثقافته على أساس تعميق التجزئه، و تكريس الانفصال، لذلك يسهل على الاجنبى أن يتلعهها لقمه لقمه، و يسهل على غول التخلف الاقتصادى ان يلتهم سعادتهم و رفاههم.

ان مصادر الطاقه و المعادن و الاراضى الزراعيه، و الموقع الاستراتيجى فى وسط العالم، و التراث الحضارى و الالف مليون إنسان كل هذه القوى لم تكن قادره على بناء حضارتنا فى القرن العشرين، و نخشى أن يبقى الوضع هكذا فى القرن الواحد و العشرين. لماذا؟ لأن الانتماء الى الذات أشد من الانتماء الى رساله و حين يكون الانتماء الى الرساله ضعيفا فان الرؤيه تكون محدوده و مسجونه فى جدران الذاتيه المغلقه، و لذلك أكدت الآيه الكريمه على أن الانتماء الى الذات و الى المصالح الذاتيه سيكون سببا للضلاله لأنه فسق.

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ وَ حين يكون انتماء الفرد الى ذاته و مصالح ذاته، فان ممارسته ستكون أيضا خاطئه و يكون فاسقا، و حينئذ يرى العالم بنظاره ذاته فلا يراه على حقيقته فتزل عليه الكارثه.

دروس من حنين:

[٢٥] و كمثل على هذه الحاله الشاذه يقصّ علينا ربنا قصه المسلمين فى حنين، حيث توكل المسلمون على كثره عددهم لا على ربهم و تضحياتهم فانهزموا.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ

ص: ١٤٧

مثلا في يوم بدر، حيث كان المسلم يقتل أباه و ابنه لان التجمع الرسالي كان أمتن من الولاءات الاسريه أو الذاتيه،

و جاء في الحديث :«ان المواطن الكثيره كانت ثمانين معركه انتصر فيها المسلمون في عهد الرسول صلى الله عليه و آله » وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً لَإِنْ كَثُرَ غَيْرَ الْمَتَمَّاسِكَةِ لِأَنَّ تَغْنِي شَيْئاً. إذ كل فرد يفقد إرادته و عزيمته و خلوصه،اعتمادا على الكثره، و كل فرد أو فئه أو حزب أو طائفه أو عشيره تفكر في مصالحها. تفكر في أن تكون التضحيات من غيرها و تكون المكاسب لها.

و هكذا كانت الكثره العدديه للمسلمين اليوم غير نافعه لأنها كثره كميه فقط، و فاقده للوحده الحقيقيه، و هكذا تجد الأرض المقدسه في فلسطين بيد الأعداء برغم اهتمام الجميع بتحريرها.

وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ فَبالرغم من الكثره العدديه تجد الجميع مغلولين مكبلين لاین فاعليه كل جهه موجهه ضد فاعليه الجهه الثانيه، و كأنهم مجموعه سيارات متشابهه في المرور، كل واحده منها تمنع غيرها من التحرك، و لو توحدت لوجد الجميع متسعا من الأرض.

ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُيَدَّبِرِينَ وَ انهزموا بفعل اختلافهم امام عدوهم الأكثر تماسكا منهم، كما انهزم المسلمون اليوم امام الصهاينه. و هكذا تخسر الامه المفتته معاركها الحضاريه مع اعدائها.

[٢٦] و لكن بقيت مجموعه متماسكه ذات قياده رساليه، بقيت صامده في اطار هذه الكثره المنهزمه فأنزل الله سكينته عليهم.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فَسَكَتَ نَفُوسَهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَاطْمَأْنَتَ إِلَىٰ نَصْرِهِ، وَهَكَذَا كَانَتِ الرَّسَالَةُ هِيَ خَشْبَةُ الْخِلَاصِ فِي زَحْمَةِ أَمْوَاجِ الْهَزِيمَةِ.

وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ مِنْ أُبْرَزِ وَاجِبَاتِ هَوْلَاءِ الْجُنُودِ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ..تَثْبِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاعَادَةِ الثَّقَةِ وَ الْبَشَارَةِ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ كَمَا فِي حَرْبِ بَدْرٍ.

جاء في حديث مأثور عن الامام الرضا(عليه السلام) أنه قال: «السكينة ريح من الجنة طيبة لها صورته كصوره وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء» (١). و قد تكون الملائكة المنزلين هي السكينة أو هم حملة السكينة.

وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَاللَّهُ لَا يَتَدَخَّلُ فِي الصَّرَاعَاتِ الْاجْتِمَاعِيَةِ عِبثًا، بَلْ إِنَّمَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَكْفُرُ جَانِبٌ وَ يُؤْمِنُ وَ يَصْمَدُ جَانِبٌ آخَرَ، فَيَجَازِي الْكَافِرَ بِكَفْرِهِ.

[٢٧] و لكن الهزيمة ليست نهائية أمه بل هي تجربه قد تصقل نفوسهم و تحدد أسباب ضعفهم، و يتوبون إلى الله من ذنوبهم فيتوب الله عليهم و ينتصرون.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ص: ١٤٩

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَ إِنْ حَفِظْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَ
رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)

اللغة

٣٠ [يضاهئون]: يشابهون.

بنجاسه المشركين

هدى من الآيات:

فى الدرر السابق بين القرآن بعض الشروط الضرورية للانتصار، و فى هذا الدرر يحرض المسلمين على قتال المشركين و الكفار، و على طردهم من المسجد الحرام دون خوف من فقر لان الله هو الرزاق، و أمر الله بقتال أولئك الكفار من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله و لا- باليوم الآخر إيماناً حقيقياً ينعكس على ثقافتهم و سلوكهم، كما انهم لا يلتزمون بشرائع الله و أوامر الرسول، و لا- يلتزمون بسياده الدين الحق و النظام الحق، هؤلاء يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية خضوعاً للحق (لا رشوه فيه) و هم صاغرون.

لقد قالت اليهود عزير ابن الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله. قالوا هذا الافك بلا حجه أو ايمان راسخ، و ذلك تشبها بقول الكفار و الله يعلن عليهم الحرب بسبب هذه الضلاله التى وقعوا فيها. ذلك لان هذه الضلاله و أمثالها جرتهم الى التسليم لأوامر الأجبارة و الرهبان و اتخاذهم أرباباً من دون الله. بينما أمرهم الله

بعباده اله واحد لا شريك له فسيحان الله عما يشركون.

بينات من الآيات:

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ :

[٢٨]المشركون نجس:بهذه الكلمه فصل القرآن بين الفريقين الرئيسيين الذين يقسم الإسلام البشريه على أساسه،فريق الهدى و فريق الضلاله..حزب الله و حزب الشيطان..المواطنون فى الدوله الاسلاميه و الأجانب،فما هى النجاسه التى جاءت فى الآيه؟ جاء فى بعض التفاسير:

اختلف فى نجاسه الكافر فقال قوم من الفقهاء:ان الكافر نجس العين و ظاهر الآيه يدل على ذلك،و روى عن عمر بن عبد العزيز،انه كتب:«امنعوا اليهود و النصارى من دخول مساجد المسلمين، و اتبع نهيه قول الله تعالى: **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**»

،(الآيه) و عن الامام الحسن (عليه السلام)قال:«لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ» و هذا يوافق ما ذهب اليه أصحابنا من ان من صافح الكافر يده رطبه و جب ان يغسل يده،و ان كانت أيديهما يابستين مسحهما بالحائط،و قال آخرون:انما سماهم الله نجسا لخبث اعتقادهم و أفعالهم و أقوالهم،و أجازوا للذمى دخول المساجد،قالوا:انما يمنعون من دخول مكه للحج.قال قتاده:سماهم نجسا لأنهم يجنبون و لا يغتسلون و يحدثون و لا يتوضئون،فمنعوا من دخول المساجد لان الجنب لا يجوز له دخول المسجد. (١)

و من الناحيه اللغويه النجس كل شىء مستقذر و يبدو ان للكلمه ثلاث أبعاد:

ص:١٥٢

الأول: ان الشرك عقيدته باطله، و الثقافه التى تبنى على أساس الشرك ثقافه فاسده، و على المسلمين أن ينفصلوا عن المشركين جسديا حتى لا يتأثروا سلبيا بأفكارهم الفاسده.

الثانى: ان المشركين لا يلتزمون بالنظام و الشرائع الاسلاميه خصوصا فى حقل النظافه الجسديه، و الوقايه الصحيه، فعليهم ألا يدخلوا البلاد الاسلاميه ذات الانظمه الخاصه فى الحياه، و بالذات فى حقل النظافه و الصحه و الخمر و الخنزير و البول و الدم أشياء نجسه تحمل معها الأمراض الخطيره و المعديه، و من يباشر هذه الأشياء يطرد من البلد الاسلامى ما دام لا يلتزم بالشروط الصحيه للبلد.

الثالث: البلد الاسلامى مستقل اقتصاديا و لذلك يجب ان يسعى نحو التكامل الاقتصادى و الاكتفاء الذاتى، فلا يتعامل مع الأجانب. خصوصا فى حقل الاطعمه.

و فى الآيه هذه اشاره الى هذه الابعاد دعنا نتدبر فيها:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْخَطَابُ دَلِيلٌ عَلَى الْهَدَفِ مِنَ الْحُكْمِ التَّالِيِ بِنَاءِ الْمَجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ لَا بَيَانَ الْحَقِيقَةَ الْعَلْمِيَةَ فَقَطْ.

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا فَبِاعْتِبَارِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَرَكِزِ التَّوْجِيهِ الْإِسْلَامِيِّ فَيَجِبُ تَنْظِيفُهُ مِنْ آثَارِ الْعَقِيدَةِ وَ الثَّقَافَةِ الْمُنْحَرِفَةِ الْفَاسِدَةِ.

وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَهُ

ص: ١٥٣

أى فقرا.

فَسَيُؤْفَ يُعِينِكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فباعتماد الاقتصاد الاسلامى يتعرض موقتا لمشاكل بسبب المقاطعه الاقتصاديه و الاعترال لذلك وعد الله سبحانه عباده المؤمنين بالتعويض و هكذا نجد ان المسلمين حين منعوا حجّ المشركين الذين كانوا يحملون معهم الى البيت الحرام الطعام و الملابس ليقايسوا به مع بعضهم أو مع سلع المسلمين. حيثئذ عوضهم الله سبحانه بإسلام أهل نجد و صنعاء و جرش من اليمن، و حملوا الطعام الى مكة على ظهور الإبل و الدواب و كفى الله تعالى المسلمين ما كانوا يتخوفون.

من هم المشركون، و ما واجبنا؟

[٢٩] و كما يجب محاربه المشركين عبده الأوثان كذلك يجب مقاتله أولئك الذين يتظاهرون بالدين و هم مشركون واقعا كبعض أهل الكتاب و هم الذين يتصفون بما يلى:- الأول: عدم الايمان الحقيقى.

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الثانى: عدم قبول الشريعة الاسلاميه كمظهر بارز من مظاهر الايمان الحقيقى.

وَ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فكيف يعتبر مؤمنا من لا يخضع لشرائع الله، و سيأتى فى آيه تاليه: ان التسليم لتشريعات الأحبار و الرهبان يسلبهم الايمان بالله و يجعلهم من عبده الأصنام البشريه.

ص: ١٥٤

الثالث: رفض التسليم للنظام الاسلامى و الدوله الاسلاميه.

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ الدِّينِ هُوَ التَّسْلِيمُ النَّفْسِيَّ وَ الْخُضُوعُ الْقَلْبِيَّ لِنِظَامٍ أَوْ شَرِيْعَةٍ، اِنْ هَذَا الْفَرِيقُ إِذَا كَانُوا مِنْ عِبْدِهِ الْأَوْثَانِ فَيَجِبُ قِتَالُهُمْ حَتَّى النِّهَايَةِ، وَ لَكِنْ إِذَا كَانُوا.

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَالْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ الْمَجُوسِ، فَإِنْ قَاتَلَهُمْ يَنْتَهَى إِذَا دَفَعُوا الْجَزِيَةَ.

حَتَّى يُعْطُوا الْجَزِيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ أَى حَتَّى يُعْطُوا الْجَزِيَةَ صَاغِرِينَ اسْتِسْلَامًا لِقُوَّةِ الْإِسْلَامِ وَ قَهْرِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِذَا اِنْ مَجْرَدَ إِعْطَاءِ الْمَالِ لِلْمُسْلِمِينَ لَا يَدُلُّ عَلَى سَيْطَرِهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى السَّاحَةِ كَمَا تَدْفَعُ -مَثَلًا- الدَّوْلَةُ الْغَنِيَّةُ الْيَوْمَ مَسَاعِدَاتٍ مَالِيَّةً لِلدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْفَقِيرَةِ بِهَدَفِ اسْتِمَالَتِهَا.

مظاهر الشرك:

[٣٠] عقائد اليهود و النصرارى فى الايمان كانت فاسده، و متأثره بوثنيات المشركين من قبلهم ذلك لان الفلسفه اليونانيه التى كانت متأثره بالشرك من الناحيه الثقافيه، و بالتبقيه و العنصريه من الناحيه الاجتماعيه، و بالسياسيه الطاغوتيه من ناحيه نظام الحكم، هذه الفلسفه وجدت طريقها الى الديانات بسبب ضعف العلماء و محاولتهم تبليغ الدين بكل وسيله ممكنه، حتى و لو عن طريق تقديم تنازلات للافكار و الأوضاع الفاسده، لذلك تجد آثار الافلاطونيه الحديثه عند علماء هذه الديانات المنحرفه.

ص: ١٥٥

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ رُبَمَا لَمْ يَكُنْ عَامَهُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَزْعُمُونَ هَذَا الزَّعْمُ الْبَاطِلُ .

ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ فَلَمْ تَكُنْ فِكْرُهُ مَنْسُجْمَهُ مَعَ سَائِرِ أَفْكَارِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، بَلْ كَانَتْ بِسَبَبِ تَأْثَرِهِمْ بِالثَّقَافَةِ الْغَرِيبَةِ عَنْهُمْ، وَتَسْلِيمِهِمْ لِلضَّغُوطِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ .

يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [٣١] تِلْكَ كَانَتْ فِي حَقْلِ الثَّقَافَةِ. أَمَا فِي حَقْلِ التَّشْرِيعِ وَالسِّيَاسَةِ فَانِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اسْتَسَلِمُوا لِلْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ وَقَبِلُوا تَشْرِيعَاتِهِمْ دُونَ أَنْ يَخْضَعُوا لِلَّهِ وَيَعْمَلُوا بِشَرَائِعِهِ .

اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمُ الْحَبْرَ: هُوَ الْعَالِمُ الَّذِي يَقُومُ بِبَيَانِ الْعِلْمِ وَهُوَ عَالِمُ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ .

وَرُهْبَانُهُمُ الرَّاهِبُ: هُوَ الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ، وَيَلْبَسُ مَسُوحَ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْمَتَفَرِّغُ لِلْعِبَادَةِ الزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا .

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَتَرَكُوا تَعَالِيمَ الدِّينِ وَنُصُوصَهُ الْوَاضِحَةَ، إِلَى اجْتِهَادَاتِ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ الَّتِي تَأَثَّرَتْ بِأَهْوَاءِهِمْ وَظُرُوفِهِمْ، كَمَا تَرَكُوا عَقْلَهُمْ وَفَطْرَتَهُمْ وَنُصُوصَ دِينِهِمْ إِلَى الْإِسْتِشْهَادِ بِسِيرَةِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ الَّتِي كَانَتْ مَنَاسِبَةً لِلظُّرُوفِ الْمَوْضُوعِيَّةِ السَّائِدَةِ

فى عصره.

وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِتَوْحِيدِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَ التَّشْرِيْعِ، وَ أَنْ يُعْتَبِرُوهُ وَحْدَهُ مُصَدِرَ النُّورِ وَ التَّشْرِيْعِ، وَ أَنْ يُتَّصِلُوا بِهِ مُبَاشِرَةً، وَ أَنْ أَخَذَ التَّعَالِيمَ مِنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ حَتَّى وَ لَوْ كَانَتْ مُتَنَاقِضَةً مَعَ الْهَامِ الْفِطْرِيَّةِ وَ الْعَقْلِ وَ النُّصُوصِ الصَّرِيْحَةِ مِنَ الدِّينِ يُعْتَبَرُ شَرْكَاً مُهْلِكاً يُبْعَدُ النَّاسَ عَنِ حَقِيْقَةِ الدِّينِ وَ جَوْهَرِهِ شَيْئاً فَشِيئاً، وَ يُجْعَلُ الدِّينَ دِينَ الْبَشَرِ أَيْ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ الْخَاطِئِينَ لِلْجَهْلِ وَ الْجَهَالَةِ، وَ ضُغُوطِ الظُّرُوفِ. بَيْنَمَا الْاِتِّصَالُ الْمُبَاشِرُ بِمُصَادِرِ الْوَحْيِ يَمْنَعُ هَذِهِ الْمَشْكَلَةَ إِذْ يُصْبِحُ الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعاً شَاهِدِينَ عَلَى الرِّسَالَةِ أَوْصِيَاءَ عَلَيْهَا. وَ أُعِينُ لِنُصُوصِهَا وَ مُتَّفَعِينَ مِنْ عَقُولِهِمْ وَ فِطْرَتِهِمْ فِي فَهْمِ تِلْكَ النُّصُوصِ.

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ اللَّهُ مِنْزَهُ عَمَّا يُشْرِكُ النَّاسَ بِهِ، فَوْحِيَّةً وَ رِسَالَتَهُ وَ شَرَائِعَهُ لَا تَخْضَعُ لِلظُّرُوفِ أَوْ لِلْأَهْوَاءِ بَلْ هِيَ كَاشِفَةٌ لِحَقَائِقِ الْحَيَاةِ، مُتَنَاسِبَةٌ مَعَ السَّنَنِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ، وَ لِذَلِكَ يُجِبُ عَلَى النَّاسِ الْاِسْتِلْهَامَ مُبَاشِرَةً مِنْهَا دُونَ الْاِسْتِسْلَامِ لِلْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ بِاسْمِ الدِّينِ وَ تَرْكُ حَبْلِ الرِّسَالَةِ عَلَى غَارِبِ رِجَالٍ مُعَيَّنِينَ.

وَ قَدْ جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَ فِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لِي: «يَا عَدِيٍّ اطْرَحْ هَذَا الْوِثْنَ مِنْ عُنُقِكَ»، قَالَ:

فَطَرَحْتَهُ ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَ هُوَ يَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ الْبَرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةَ: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا) حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ فَقَالَ: «أَلَيْسَ يَحْرَمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحْرَمُونَهُ وَ يَحْلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ» قَالَ فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».

ص: ١٥٧

و روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليهما السلام)، انهما قالا :

«أما و الله ما صاموا و لا صلوا و لكنهم أحلوا لهم حراما و حرموا عليهم حلالا، فاتبعوهم و عبدوهم من حيث لا يشعرون» (1) و اليوم نجد الكثير من أبناء أمتنا الاسلاميه تركوا نصوص الدين و الهام العقل و استسلموا كليا لبعض أدعياء العلم و الدين بالرغم من علمهم بان هؤلاء يحرمون و يحللون حسب أفكارهم و أهوائهم، و الضغوط الاجتماعيه التى يتعرضون لها، أو يتبعون أحزابا و منظمات اتبعا أعمى و لكن هل يعذرهم الله و هم يهملون أكبر نعمه أسبغها الله عليهم و هى نعمه العقل و التفكير و يحولون أنفسهم الى أنعام ضاله و قد خلقهم الله بشرا سويا. هل يعذر الله و الضمير رجلا- بصيرا يغمض عينيه و يمشى مكبا على وجهه، حتى يقع فى الحفره. إن أكبر المآسى البشريه فى حقل السياسه و التشريع آتية بسبب التقليد الأعمى لذوى السلطه و الشهره.

ص: ١٥٨

١- ١) المصدر ص ٢٣.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْيَارِ وَ الرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَ يُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ
يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٥)

إشارة

عن رسالات الله

هدى من الآيات:

لا- يزال السياق يبين الفساد الذى تسرب الى اليهود و النصارى من خلال تقليدهم الأعمى للأخبار و الرهبان. و مخالفه الرساله التى هى نور الله واحده من مظاهر الفساد، و لكن هذه المخالفه الضعيفه لا تستطيع ان توقف انتشار النور، و الله يتم نوره بالرغم منهم.

ان الله أرسل رسوله بكلمتين- الهدى- أى تكامل البشر عقليا و نفسيا - و دين الحق- أى سلطه الحق و العدل لا منطق القوه و فى النهايه سوف ينتصر الحق على كل سلطه بالرغم من المشركين.

و يبقى سؤال: لماذا لا يجوز تقليد الأخبار و الرهبان، فى تعاليم دينهم؟ و الجواب:

لأن كثيرا منهم خونه غير أمناء فى الأموال فكيف يؤمنون على الرساله؟ انهم

يأكلون أموال الناس بالباطل و مجمل سلوكهم ليس فى مصلحة المحرومين، بل بالعكس تراهم يصدون عن سبيل الله و يكتزون الذهب و الفضة، و لا ينفقونها فى سبيل الله.

فما هو جزاء من يكتز الذهب و الفضة؟ انه عذاب اليم فى يوم القيامة حيث يحمى عليها حتى تلتهب فى نار جهنم الحاميه الشديده التوقد ثم توضع على جباههم و جنوبهم و ظهورهم حتى تكوى بها، و يقال لهم: هذا عاقبه الأموال المكنوزه..

أصبحت ضررا عظيما عليكم، بينما أردتم ان تصبح خيرا، فذوقوا ما كنتم تكتزون.

بينات من الآيات:

المؤامرات على الرساله:

[٣٢] الأخبار و الرهبان و كل علماء السوء الذين اتخذوا الدين مطيه لشهواتهم.

ينصبون من أنفسهم حماه التقاليد الاصيله و الأفكار الرجعيه، و يقاومون كل حركه تقدميه، و كل رساله جديده، و هذه رساله الله التى أنزلت على خاتم الأنبياء لتكون مبعث ضياء عظيم فى العالم يقف حولها هؤلاء و ينفخون عليها كأنهم يريدون إطفاءها بأفواههم الحقيقه، فهل يقدرّون؟ يُريدونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ و حين يضىء الله نورا لا يستطيع البشر أن يوقف انتشاره، لان الله القوى العزيز ينشره و يبلغه آماده و أبعاده حتى يحقق أهدافه.

و يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ أَي يَمْنَعُ اللَّهُ كُلَّ عَقْبِهِ تَعْتَرِضُ طَرِيقَ انْتِشَارِ الرِّسَالَةِ حَتَّى تَتِمَّ الرِّسَالَةُ وَ تَبْلُغَ

ان هدف علماء سوء دائما هو إبقاء الناس فى الضلاله و تجهيلهم، و سلب ثقتهم بعقولهم حتى لا يفكروا و لا يعرفوا شيئا. و لكن الله الذى زود البشر بالعقل و بلور و أكمل العقول بالرساله لا يسمح لإنسان أن يفقد بشرا قدرته على الفهم بل ينبهه، و يوقظ عقله، و يذكره بشتى الوسائل حتى يتم حجه عليه، و آئذ تكون له الحريره فى أن يرفض الاستغلال و يتحدى التقليد الأعمى و لا يستسلم أو يخاف أو يرضى بالخنوع و الذل.

و لعل الآيه تشير الى هذه الحقيقه أيضا.

أهداف الرساله:

[٣٣] الله الذى أرسل الرساله على يد الرسول، هو الذى يؤيد الرساله فى تحقيق الهدفين الاساسيين لها و هما:

ألف: توفير فرصه الهدايه للناس حتى يتم الحججه عليهم، و الهدى هو الوصول الى الحقيقه و لا يصل البشر الى الحقيقه الا بالعلم بها و التسليم القلبي لها، ذلك لأن العلم الذى لا يشفعه الايمان لا يكفى إذ يبقى الجحود و الغفله حاجزا بين البشر و بين الحقيقه، انما عن طريق الايمان، أو بتعبير آخر تسليم القلب للعلم الذى يكتشفه الدماغ يهتدى البشر، و الرساله ليست علما فقط بل و قبل ذلك هى تزكيه للنفس و تنظيف للقلب عن الحواجز و الحجج حتى يتقبل العلم، فهى إذا هدى و هذا واحد من هدفى الرساله.

باء: أما الهدف الثانى فهو: إقامه سلطه الحق. سلطه العداله و القانون، سلطه القيم و المبادئ، و ذلك فى مقابل سلطه القوه التى هى شريعه الغاب، و منطق

الجبارين، و من الواضح ان المجتمع اما تسوده شريعه الغاب أو شريعه الله. شريعه الحق و...

و لأن الله الذى خلق الحياه منح قدرا من الحريه للناس الا ان العاقبه هى للحق.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أَي بالرغم من مخالفه المشركين.

الممارسات العمليه للأخبار و الرهبان:

[٣٤] لماذا يجوز للإنسان أن يسمع كلام الطبيب و المهندس و الخبير العسكري، و يتبع أوامرهم دون تحقيق أو بحث بينما لا يجوز له أن يتبع الخبر أو الراهب اتباعا مطلقا، أو ليس العالم بالدين يشبه الخبير فى سائر الحقول؟ للاجابه، على هذا السؤال الذى كان مطروحا عند اليهود و النصارى أيضا نستطيع أن نقول استلهاما من القرآن: ان مراجعه الخبير.. أى خبير بحاجه الى أمرين:

الأول:الثقه بأنه خبير فعلا، فانك لا تراجع طبيبا تشك فى معرفته بالطب.

الثانى:الثقه بأمانته و انه لا يخونك، فرئيس الدوله لا يستقدم طبيبا من الحزب المعادى و قائد الجيش لا يتبع نصيحه ضابط يشك فى ولائه.

و كلما كانت القضيه التى تراجع فيها أخطر كلما تحتاج الى ثقه أكبر فى علم الخبير و أمانته، و لكن قد يكون البشر غير عارف بأهميه قضيته فيراجع خبيرا من دون

ثقه كافيه كما كانت حاله عند اليهود حيث انهم لم يعطوا الرساله اهميه كافيه فاذا بهم يراجعون فيها الأحبار، و الرهبان من دون ثقه كافيه، بل مع علمهم بالمخالفات التي يحكم العقل و الفطره بأنها تتنافى و القبول بهم، لذلك يذكر القرآن هؤلاء بتلك المخالفات الدينيه التي تسقط الأحبار و الرهبان من صلاحيه الاتباع و التقليد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ إِنْ أَكَلَ مَالٌ أَحَدٌ بغير حق أبسط مخالفه يعرفها الجميع فطريا و دون حاجه الى معلومات دينيه مسبقه، و الأعظم من ذلك انهم كانوا يصدون عن سبيل الله، و سبيل الله هو كل خير، مثل الدفاع عن المظلومين و المستضعفين و إعانه الفقراء و المساكين، و العمل من أجل بناء الوطن، و هكذا... ان هؤلاء كانوا يصدون عن سبيل الله بدل العمل في هذا السبيل.

وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ أَيضاً تَراهم يَؤيدون التجار الذين يكتزون الذهب و الفضة، بل هم أيضا قد يصبحون تجارا من هذا النوع.

وَ الَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَ من يكون عند الله معذبا هل يمكن تقليده و اتباع أوامره؟ [٣٥] اما عذاب الله الذي ينتظر هذا الفريق من الناس فهو: ان ربنا سبحانه سوف يحمي هذه النقود حتى تلتهب، ثم يضعها على جوانبهم ليحرقوا بها.

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَبَدَلًا مِنْ تَحْقِيقِ هَدْفِهِمْ مِنَ الْكَنْزِ، وَهُوَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ أَضْرَهُمْ وَأَصْبَحَ نَارًا لَاهِبَةً تَكْوَىٰ أَطْرَافَهُمْ.

فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ

ما هو الكنز؟

سؤال: أى قدر من المال المخزون يعتبره الإسلام كنزاً. هل هو الزيادة على حاجة الفرد؟ أم هو أكثر من أربعة آلاف دينار، أم هو المال الذى لا ينفقه الفرد فى سبيل الله، ولا فى بناء المجتمع -صناعياً أو عمرانياً أو زراعياً أو تجارياً- ولا يدخره لحاجه شخصيه محتمله مثل مرض أو عاله. أم ماذا؟ قد يكون الكنز بالذات حراماً للفلسفه المالىه التى جاءت فى سوره (الأنفال) فان المال قيام للمجتمع فتخزينه من دون فائده إضاعه لجهود الناس، وتوقيف للحركه الاقتصاديه، أما من يعتبر تخزين المال كنزاً مضرًا بالمجتمع فان ذلك يحدده القانون حسب الظروف المتطوره، وربما كان اختلاف الظروف سبباً فى اختلاف الأحاديث المتأثره فى حرمه الكنز، مما نذكر طيئاً بعضها للاهميه البالغه لهذا الموضوع الحساس فى ظروف يتحالف فيها ادعاء الدين مع مستغلى الشعوب المحرومه و مصاصى دمائهم و ذلك تحت غطاء حق الملكيه الفرديه التى يقرها الإسلام، ولكن فى حدود المصلحه الاجتماعيه، اما الأحاديث فهى التاليه:

ألف:

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) :

«كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز و إن كان تحت سبع أرضين، و كل مال لا

ص: ١٦٥

تؤدى زكاته فهو كنز و ان كان فوق الأرض « باء:

روى عن على (عليه السلام) :

«ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز أدى زكاته أو لم يؤدها، و ما دونها فهي نفقه، فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ» جيم:

فى تفسير على بن إبراهيم، ضمن حديث مطول. ان عثمان بن عفان نظر الى كعب الأخبار فقال له: يا أبا اسحق ما تقول فى رجل أدى زكاه ماله المفروضه. هل يجب عليه فيما بعد ذلك شىء؟ فقال: لا و لو اتخذ لبنه من ذهب و لبنه من فضه ما وجب عليه شىء، فرفع أبو ذر رضى الله عنه عصاه فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا ابن اليهوديه الكافره ما أنت و النظر فى أحكام المسلمين. قول الله أصدق من قولك حيث يقول: (وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

دال:

و فى حديث عن الامام الباقر (عليه السلام) :

«ان الله حرم كنز الذهب و الفضة و أمر بإنفاقه فى سبيل الله « (1) ما دام القانون يحدد المصلحه العامه فان اختلاف الأحاديث يدل على الظروف المختلفه.

ص: ١٦٦

اشاره

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَايِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

اللغة

٣٧[ليواطوا]:المواطاه..الموافقه.

ص:١٤٧

اشاره

و الاستنفار ضروره جهاديه

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن الكفار من أهل الكتاب، عاد القرآن مره اخرى للحديث عن المشركين و ضرب لنا مثلا من انحراف الشرك و مسبقا بين حكم الأشهر الاثنى عشر التى يعتبر اربعة منها حرما، و بين ان الالتزام بهذه الأشهر هو الدين القيم، فيجب الا يظلموا أنفسهم فيها و بعدئذ امر المسلمين بقتالهم بلا استثناء، و وعدهم النصر إذا التزموا بالتقوى.

اما التلاعب بأحكام الله، و تغيير الأشهر -حسب الأهواء- فانه زياده فى الكفر، و ضلاله يقع فيها الكفار حيث يحلون الشهر ذاته فى عام بينما يحرمونه فى عام آخر، ليكون المجموع بقدر العدد الذى جعله الله و هكذا يخالفون تعاليم الله من دون وازع نفسى، بل زين لهم سوء عملهم لكفرهم المسبق و لان الكفر يحجب الضمير، وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .

و يخاطب القرآن المؤمنين: لماذا لا يخفون الى القتال حين يؤمرون به؟ هل من

أجل الاكتفاء بالدنيا و الرضا بها.بينما قيمه الدنيا فى حسابات الاخره قليل جدا؟

بينات من الآيات:

الأشهر الحرم و الأهواء الجاهليه:

[٣٦]الشهور فى السنه اثنا عشر شهرا،فالقمر يبدأ هلالا و ينتهى الى بدر،ثم يتناقص حتى يغيب قبل أن يظهر مره اخرى هلالا،كل ذلك خلال ثلاثين نهارا، و يتكرر هذا الأمر كل شهر اثنا عشر مره،و علينا-نحن البشر-ان نوافق أعمالنا حسب سنن الطبيعه لا سحب اهوائنا،و سنن الطبيعه هى الحق التى خلق الله السموات و الأرض عليها،و من مظاهر الجاهليه العمل حسب الأهواء العاجله دون تفكير فى ظروف الطبيعه أو حتى دون معرفه بها و القرآن خالف ذلك قائلا:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَفِي كِتَابِ الطَّبِيعَةِ كَمَا كَتَبَ التَّشْرِيعَ، وَ مِنْذُ أَنْ أَوْجَدَ اللَّهُ الْكَوْنَ جَعَلَهُ جَارِيًا عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ مَتِينٍ وَ عَلَيْنَا اكْتِشَافَ هَذَا النِّظَامِ فَنَسْعُدَ بِالتَّوْفِيقِ مَعَهُ، وَ الْإِفَانِ ذَلِكَ يَسَبِّبُ لَنَا مَتَاعَ كَثِيرٍ يَنْهَانَا اللَّهُ عَنْهَا وَ يَنْصَحُنَا بِعَدَمِ التَّوَرُّطِ فِيهَا.

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظَلُّمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسِكُمْ وَ الْمُشْرِكُونَ هُمُ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ الْكُونِيَّةَ، وَ عَلَيْنَا قِتَالَهُمْ لِتَصْحِيحِ مَسَارِهِمْ، كَمَا أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ عَقْبَهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ بِطَبِيعَةِ جَهْلِهِمْ وَ فِسَادِ نِظَامِهِمْ.

وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً إِذَا السَّبِيلُ مُخْتَلَفٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الملتزمين بمناهج الإسلام التي هي حاله مخالفه للعمل بالأهواء.

ما هو النسيء؟

[٣٧] إنَّ تغيير احكام الله مثل حكم الأشهر. و سائر الأحكام و ذلك حسب مشتبهات هذا الحاكم أو ذاك، و شيخ هذه العشيره و رئيس تلك الجماعه، فانه زياده في الكفر.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ و النسيء بمعنى التأخير يقال: نسأت الإبل في ظمئها يوما أو يومين أو أكثر من ذلك و المصدر النسيء، و جاء في التفسير: كانت العرب تحرم الشهور الأربعة و ذلك مما تمسكت به من مله إبراهيم و إسماعيل و هم كانوا أصحاب غارات و حروب، فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا أشهر متواليه لا يغزون فيها فكانوا يقررون تأخير المحرم الى الصفر فيحرمونه و يستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم الى المحرم و لا يفعلون ذلك الا في ذى الحجه. (١)

النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ :

و يبقى سؤال: لماذا يعتبر ذلك زياده في الكفر؟ ربما لأن الاعتداء الذي كان الجاهليون يغيرون الأشهر من أجله هذا الاعتداء حرام بذاته فاذا غيروا حكما شرعيا و عقدا اجتماعيا توافقوا عليه من أجل الاعتداء

ص: ١٧١

فان ذلك يعنى تجاوز كل القيم و المقدسات دون تغييرها، و مع الاعتراف بان الحرب فيها خطأ يرتكبونه، و لكن لماذا كان الجاهليون يغيرون الأشهر الحرم للقيام بالاعتداء على بعضهم؟ لأنهم كانوا يحاولون التخلص من و خز الضمير، و لومه المؤمنين بالشرائع. تماما كما يفعل الطغاه اليوم حيث يلبسون جرائمهم ثوب الشرعيه فيلاحقون المطالبين بحرياتهم و حقوقهم تحت شعار المحافظه على الأمن، و ربما باسم الدين أيضا، أو يضعون قوانين ثم يحاكمون الناس على أساسها فى الوقت الذى لا يملكون حق إصدار القوانين بل هذا بذاته أكبر الجرائم بحق الشعب.

و هكذا يصبح التبرير الذى يتذرع به المجرمون دافعا لهم نحو المزيد من الجريمه، و التخلص من روادع الجريمه النفسيه و الاجتماعيه باسم ذلك التبرير. و لذلك أكد القرآن هنا: انّ النسيء ليس زياده فى الكفر فقط بل هو سبب للضلاله و الانحراف أيضا:

يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا يَحِلُّونَ ذَاتَ الشَّهْرِ (مثلا: شهر ذى الحجه) فى هذا العام بينما يحرمونه فى العام الآخر حسب خططهم الحربيه، و هكذا كانوا يتلاعبون بالشرائع و القوانين.

يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ أَي لِيَجْعَلُوا الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ أَرْبَعَةَ كَمَا قَالَ اللَّهُ. و لكن بعد تغيير محتواه حسب أهوائهم.

فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ

زين لهم الاعتداء. حتى غيروا أحكام الله من أجله، وهكذا لو جعل الفرد هدفه غير مرضاه الله و غير أحكام الله للوصول اليه، و برر فعلته الاجراميه. بأن الغايه تبرر الوسيله.

بيد أن العمليه كلها تسبب الضلاله و الجحود لأن القلب البشرى الذى يستهدف الوصول الى مطامع ذاته لا- يبحث عن الحقيقه، فلا يهتدى إليها.

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفْرَ— وَ هُوَ هُنَا الْمَخَالَفَةُ الْعَمَلِيَّةُ لِلوِاجِبَاتِ— يُوْثِرُ عَلَى الْعَقْلِ فَيَسْلُبُ مِنْهُ نُورَ الْمَعْرِفَةِ.

[٣٨]قلنا ان أهم شىء يحدد فكر البشر و سلوكه هو هدفه الذى زين له فعشق الوصول اليه فاذا كان هدفه الله و اليوم الآخر فانه كما السائق الرشيد يقود سائر العجلات و الاجهزه فى سياره الحياه على الطريق السليم و إلا فان كل العجلات تسير فى طريق الانحراف و الهلاك. و هكذا ضل الكافرون ضلالا، و هكذا يضل المؤمنون إذا لم يحذروا و يتقوا و يخلصوا أهدافهم، فلو كان هدف الفرد المتعه فى الحياه الدنيا لترك الجهاد فى سبيل الله خوف الموت. و تناقل عن تنفيذ أوامر الله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَى تَنَاقَلْتُمْ وَ تَبَاطَأْتُمْ، وَ بَرَّرْتُمْ بِتَبْرِيرَاتٍ هَدَفَهَا تَأخِيرَ الْحَرْبِ. مره تقولون: الآن وقت الحر القائل. أ فلا ننتظر حتى يعتدل الجو، و مره تقولون: البرد شديد فلننتظر قليلا حتى تخفف وطأته، و مره تبررون بعدم الاستعداد الكافى للمعركه.

و النفور و التحرك فى سبيل الله لا يختص بالحروب. إذ كل سعى نفر كما

جاء: (النفر: الخروج الى الشيء لأمر هيج عليه. و منه نفور الدابه). (١)

و مما يؤسف له ان الكثير منا يبطن العمل فى سبيل الله بحجه أو بأخرى، و الحجج كلها باطله و السبب الحقيقى كامن فى حب الدنيا.

أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْمَآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ان المؤمن الواعى يجب ان يكون مقتلعا من الأرض. متحررا من جاذبيه الماده.

مندفعا فى الاتجاه السليم الذى يأمر به الله لان المتعه البسيطه فى الدنيا لا تعادل أبدا راحه الاخره. ان الدنيا زائله قصيره و المتعه فيها مشوبه بالصعاب بينما الاخره باقيه خالده و متعتها خالصه لا يشوبها خوف أو حزن.

سنه التحرك فى الحياه:

[٣٩] التيار الرسالى يندفع فى الحياه، كما سيل جارف يرعاه رب السماء، و تحركه كل سنن الحياه و انظمتها، فاذا تركت أنا الجهاد فانما أشد عن حركه عظيمه و أهلكت نفسى.

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فالراحه المنشوده من وراء ترك السعى و التحرك تتبدل بعذاب أتجرع ألمه.

و يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ و التعزز و الأنفه يسببان الاستغناء عنى و عزلى عن شرف المسؤليه.

ص: ١٧٤

وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَإِذَا فَكَّرَتْ فِي الْإِنْتِقَامِ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنَ الْحَقِّ أَبَدًا.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَسْلُبَ مِنِّي كُلَّ قُوَّةٍ أَوْ تَيْتَهَا فَلَمْ أَسْتَخْدِمْهَا فِي سَبِيلِ تَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ فَمَا ذَا يَبْقَى لِي غَيْرَ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

قصه الهجره و الانتصار:

[٤٠] هل انتصرت الرساله بي، فحين كنت بعيدا عنها سادرا في الغفله و الجهل من الذى نصر الرساله أو ليس الله؟! فلما ذا التعزز عليها؟! إلا- تَنْصُرُوهُ فَصَدَّ نَصْرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، زَاعِمِينَ: ان هذا الإخراج يؤثر في مسيره الرساله التصاعديه.

ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ حَيْثُ خَرَجَ مَعَهُ لِلْهَجْرَةِ.

لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا مَطَّلِعٌ عَلَيْنَا مَحِيطٌ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَلَطْفُهُ بِنَا فَلَمَّا ذَا الْحُزْنَ وَ لَمَّا ذَا الْقَلْقَ.

جاء في التفاسير:

قال الزهري: لما دخل رسول الله و أبو بكر الغار أرسل الله زوجا من الحمام حتى باضا في أسفل الثقب، والعنكبوت حتى تنسج بيتا فلما جاء

ص: ١٧٥

سراقة بن مالك في طلبهما و رأى بيض الحمام و بيت العنكبوت قال: لو دخله أحد لا- نكسر البيض و تفسخ بيت العنكبوت فانصرف.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ عَلَيْهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي تَحْمِلُ ثِقَلِ الرِّسَالَةِ، وَ هَكَذَا مِنْ يَحْمِلُ الرِّسَالَةَ وَ يَثْبِتُ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ فِي قَلْبِهِ الْإِطْمِئْنَانَ وَ الدَّعَى حَتَّى لَا تَهْزَهُ الْحَوَادِثُ الْمُتَغَيِّرَةُ أَوْ الْمَشَاكِلُ الطَّارِئَةُ.

وَ أَيْدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا هِيَ جُنُودُ الْمَلَائِكَةِ فِي الْغَزَوَاتِ، كَمَا أَنَّهَا جُنُودُ الْحَقِّ الْمَجْنُودَةِ فِي هَذَا الْكُونِ الرَّحِيبِ، وَ التِّي لَا يَرَاهَا الْبَصَرُ الْعَادِي. إِنْ سَنَّ الْحَيَاةَ وَ انْظَمَهُ الْكُونُ كُلُّهَا تَدْعُمُ رِسَالَةَ الْحَقِّ وَ صَاحِبَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُ بِهَا أَحَدٌ.

وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى لِأَنَّهَا لَا تَعْتَمِدُ عَلَى قَاعِدِهِ صَلْبِهِ، أَوْ أُسَاسِ مَتْنِهَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْكُفْرِ بِالْحَقَائِقِ وَ جُودِهَا، فَكَيْفَ تَثْبِتُ؟! وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا لَقَدْ خَلَقَتْ كَلِمَةَ اللَّهِ هَكَذَا.. إِنَّهَا هِيَ الْعُلْيَا، وَ هِيَ الْمُنْتَصِرَةُ أَخِيرًا.

وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَبِعِزَّتِهِ يَجْعَلُ كَلِمَةَ الْكَافِرِينَ السُّفْلَى بَعْدَ أَنْ مَنَحَ لَهُمُ الْحَرِيَةَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ حَتَّى يَبْتَلِيَهُمْ وَ يَمْتَحِنَ قُدْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، وَ بِحِكْمَتِهِ يَدْبُرُ أُمُورَ الْكُونِ.

اشاره

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَ لَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَافِرِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رِيئِهِمْ يترددون (٤٥)

اللغة

٤٢[عرضا]:العرض الشىء الزائل.

ص:١٧٧

هدى من الآيات:

يجب الجهاد بأيه صورته ممكنه بالنفس و المال. بيد ان البعض يزعم ان الجهاد سفره سياحيه أو مكسب عاجل، و حين يكتشف ان الجهاد يتطلب طى مسافات متباعده يتركه و يحلف بالله انه لا يقدر عليه، و انه لو استطاع الجهاد ما تركه، بيد انهم لا يضرّون إلا بأنفسهم، و على القياده الاسلاميه ان تتخذ الجهاد وسيله لكشف العناصر الضعيفه و المناققه فلا تأذن لمن يستأذنها فى ترك الجهاد. ذلك لان المؤمنين لا يستأذنون القياده لأنهم يتطلعون نحو الجهاد بأنفسهم و أموالهم إيماناً منهم بالله و اليوم الآخر، و الله عليم بهم.

و الكفار الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر أو يرتابون فى ذلك هم وحدهم الذين يستأذنون.

[٤١] يجب النفر على الجميع بقدر استطاعتهم فقد يكون شابا نشيطا غنيا ليست لديه علاقة عائلية أو اجتماعيه أو اقتصاديه، أو يكون شيخا أو ضعيفا أو فقيرا ذا عائله كبيره و علاقات اجتماعيه و اقتصاديه تثقله عن الخروج.

و التحرك من أجل الله قد يكون جهادا أو عمراناً أو تمهيدا للجهاد، لذلك أكد القرآن على الخروج بصفه عامه و بصوره خاصه.

إِنْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا أَى سِوَاء شَقَّ عَلَيْكُمُ النَّفْرَ أَوَّلًا، وَ قَدْ يَفْسِرُ النَّفْرَ الْخَفِيفَ بِالسَّرَايَا الْمَتَحْرِكَةَ ذَاتِ الْمَجْمُوعَاتِ الصَّغِيرَةِ، بَيْنَمَا النَّفْرُ الثَّقِيلُ هُوَ تَحْرِيكُ الْجَيْشِ بِأَسْلِحَتِهِ الثَّقِيلَةِ، وَ إِذَا صَحَّ هَذَا التَّفْسِيرُ فَانَّهُ يَعْنِي أَنَّ الْجِهَادَ أَوَّ الْعِمْرَانَ أَوْ أَىَّ تَحْرِيكًا، جَمَاعِيًّا مِنْ أَجْلِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ الدَّوْلَةِ فَقَطْ وَ إِنَّمَا كُلُّ مَجْمُوعَةٍ قَادِرَةٍ عَلَى الْقِيَامِ بِمَهْمِهِ رَسَالِيهِ فَانَّ عَلَيْهَا أَنْ تَبَادُرَ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِهَا.

وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْجِهَادُ بِالْمَالِ يَعْنِي بِذَلِكَ كُلِّ فَائِضٍ مَالِيٍّ يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى عِنْدَ الْمُسْلِمِ بَعْدَ الْإِنْفَاقِ عَلَى نَفْسِهِ حَسَبِ الْقِنَاعَةِ وَ الزَّهْدِ، فَالْعَامِلُ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْاِكْتِفَاءِ بِثَلَاثِي أَجْرِهِ يَحْتَفِظُ بِالثَّلَاثِ الْآخِرِ لِجَاهِدِ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ الْمَوْظَفُ الْقَادِرُ عَلَى الْاِكْتِفَاءِ بِنِصْفِ رَاتِبِهِ يَصْرِفُ النِّصْفَ الْآخَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ الْمُدِيرُ الَّذِي يَتِمَكَّنُ أَنْ يَعِيشَ بِثَلَاثِ مَدْخُولِهِ يَصْرِفُ الثَّلَاثِينَ الْبَاقِيِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ هَكَذَا يَعْتَبَرُ الْجِهَادُ بِالْمَالِ زِيَادَةً عَلَى مَجْرَدِ إِنفَاقِ الضَّرَائِبِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَ فِي الظُّرُوفِ الْعَادِيَةِ كَالزَّكَاةِ

و الخمس انه اجهاد النفس فى الاقتصاد و ذلك بهدف الادخار من أجل الهدف المقدس.

و قد نقوم بالجهاد المالى بطريقه اخرى و هى ان يتطوع الواحد منا بعمل ثلاث ساعات اضافيه فى اليوم لمصلحه الإسلام.

أما الجهاد بالنفس فليس فقط بالشهاده فى سبيل الله فى لحظه المواجهه.بل و أيضا بالعمل الجاد فى سبيل الله،عملا يستنفذ الجهد،و حتى لو كان عن طريق التطوع بيوم عمل كل أسبوع لتحقيق هدف عمرانى مثل بناء الجسور و تمهيد الطرق، و إصلاح الاسلحه و صنع الوسائل الحربيه و العمرانيه.

و الجهاد بالمال و النفس يكون فى مرحله الاعداد للمعارك،و لذلك قدم هنا الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس لان الرأسمال ضروره أوليه لأى إعداد حربى.

و الامه التى تجاهد فى سبيل الله تبنى مستقبلها،و تشيد صرح استقلالها،و تحقق أحلامها فى المدنيه و الرفاه.بينما المجتمع الانانى الذى يعمل كل فرد من أجل ذاته و مصالحه الخاصه،و يتحطم فى أول مواجهه مع عدوه أو ينهار عند نزول الكوارث الطبيعيه،و يذوب استقلالها فى غمره الصراع الحضارى.من هنا كان الجهاد خيرا للامه من التقاعس،و يحتاج الناس الى العلم بحقيقه الجهاد و انه يعود عليهم بالنفع لأنه يحفظ استقلالهم و يبنى حضارتهم. ان هذا العلم يدفعهم للمزيد من التضحيه و الجهاد لذلك قال ربنا:

□ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

موقف المنافقين:

[٤٢]بيد ان الجاهلين يريدون الجهاد سفره قريبه أو غنيمه حاضره و لو كان

كذلك لكانوا أول المبارزين، و لكن الجهاد عمل شاق و لا يريدونه.

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَ سَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَ لَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ القاصد هو السبيل الذى يقصد لقربه و سهولته.بينما الشقه هى المسافه البعيده أو الوعره التى من الصعب تجاوزها و السير فيها.يتعلل المنافقون على ذلك بأنهم لا يقدرون القيام بالاسفار البعيده.

وَ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اشْتَغْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ وَ هَكَذَا كُلُّ كَسُولٍ يزعم انه لا يقدر على القيام بأى شىء.

يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بسبب كسلهم و تقاعسهم عن الجهاد.إذ ان الكسل عن العمل يفقد صاحبه قدراته و مهاراته، كما يفقده فوائد العمل و مكاسب الجهد الخارجيه.

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ و على البشر أن يسعى حتى لا يكون ممن يعلم الله كذبه و لا يكون ذلك إلا بالإخلاص فى العمل، و زياده الجهد و العمل قدر المستطاع.

تعريه الطبقات الفاسده فى المجتمع:

[٤٣] من فوائد الجهاد و الأعمال الصعبه التى يكلف بها المؤمنون فرز العناصر الكسوله المتجمعه حول الرساله طمعا فى الجاه و المال.ذلك لان تواجد هؤلاء فى مجتمع الرساله يربك القياده، و يضعف المجتمع فلا تستطيع القياده إعطاء أوامر حاسمه لعدم ايمانها بتنفيذها، كما لا يستطيع المجتمع تنفيذ الخطط الطموحه،

و غالباً ما تكون هذه العناصر المتملقون الذين يشغلون المناصب الحاسمه فى المجتمع، فعن طريق تكليفهم بالواجبات الصعبه و عدم قيامهم بها يتم تعريفهم و من ثم تصفيتهم. لذلك يعاتب الله رسوله على إعطاء هؤلاء إذنا بعدم الاشتراك فى الجهاد حيث كان ذلك الاذن غطاء لعدم كشفهم على واقعهم أمام المجتمع.

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ [٤٤] ذلك لان المؤمنين لا يتركون الجهاد فيعرف المنافقون التاركون للجهاد تحت غطاء الاستئذان.

لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ لَا يَتْرُكُونَ الْجِهَادَ إِلَّا بَعْدَ حَقِيقَى.

[٤٥] إِنَّهُمْ إِذَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَفَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ يَزْعُمُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بَيْنَمَا قَلْبُهُ مَرْتَابٌ يَشْكُ فِي اللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

و الأعمال الصعبه كفيله بكشف هذا الإنسان لنفسه و للآخرين، و الريب ينعكس فى عدم القدره على اتخاذ القرار الحاسم و التردد فى الأمور.

فَهُمْ فِي رِيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ أَى يَقْلِبُونَ الْأُمُورَ وَ يَذْهَبُونَ وَ يَعُودُونَ.

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِنْ تُصَبِّحْ بِكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصَبِّحْ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَ يَقُولُوا وَ هُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصَبِّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢)

هدى من الآيات:

لا يزال الدرس هذا يبين لنا صفات المنافقين و تصرفاتهم فى الحرب، و يعطينا عده مقاييس لتميزهم و كشف كذبهم:

ألف: ان المنافقين لا يريدون الجهاد بدليل انهم لم يعدوا له عده، و لو أرادوا الخروج للحرب لهيأوا وسائله سلفا، لذلك ثبّطهم الله و سلبهم عزيمتهم و جعلهم يقعدون مع الذين لا يملكون قدره الخروج.

باء: و لو تحاملوا و خرجوا للحرب فلا يهدفون فعلا للجهاد، بل كانوا كلاً و عناء للمسلمين.

جيم: و فى أرض المعركة يثيرون الفتنة و يفسدون علاقه المؤمنين ببعضهم باثارة النعرات الجاهليه، و الحساسيات الباطله.

دال: و هم بالتالى جواسيس و عيون للأعداء على المؤمنين، و الله يعلمهم و يعلم

طبيعتهم الظالمه و الدليل على هذه الحقائق تاريخهم السابق حيث كانوا من قبل يحاولون اثاره هذه النعرات، و تغيير مسار الاحداث باتجاه مضاد للرساله، و لكن الله أظهر أمره باذنه و هم كارهون.

و من المنافقين من يقول للرسول: اعطني إذنا بالتخلف عن المعركه حتى لا- أضطر الى ترك أمرك و عصيانك بينما هذا الاستئذان ذاته عصيان و تخلف عن الواجب، و ان جهنم محيطه بالكافرين، فسواء خرجوا أو تخلّفوا فإنهم فى النار لأنهم أساسا من الكافرين. و الكافر لا يصلح عملا و لا يفلح مصيرا.

هاء: و من علامات المنافقين انهم يفرحون كلما يهزم المسلمون و يحزنون كلما ينتصرون. و يزعمون ان انفصالهم عن ركب الرساله دليل على كمال عقلهم و حذرهم حيث لن يصيبهم ما أصاب المؤمنين، و يقول ربنا ان المصائب مكتوبه على الإنسان و مقدره من قبل الله سبحانه، و المؤمنون لا يخشون المستقبل لأنهم يتوكلون على ربهم، و نهايه ما يمكن ان يصيب المؤمنين هو القتل فى سبيل الله و هو احدى الحسنين، اما الانتصار فهو عاقبه حسنى معروفه، بينما المنافقون إما يموتون فيعذبون عند الله أو يبقون فيعذبون على يد المؤمنين. إذا الوقت فى صالح المؤمنين و النهايه لهم على أية حال.

بينات من الآيات:

ما هو الجهاد؟

[٤٦] هناك جدل كبير فى علم أصول الفقه حول هذا السؤال: هل يجب تهيئه الوسائل الضروريه لتنفيذ الواجبات أم لا؟ بيد ان العقل يحكم بأنك حين تريد الوصول الى القمه فعليك ان تتسلق الجبل، و لا معنى أساسا لقرارك هذا إلا الاندفاع فى الطريق الذى يوصلك الى هدفك و هو بلوغ القمه، و هل يعنى ضروره وجود

المسكن إلا- القيام عمليا ببناء البيت أو شرائه..هل يعنى الحصول على شهادة الماجستير إلا الدراسه المستمره فى الجامعه؟! ان الواجب ليس نهايه السعى.بل ان الواجب هو السعى ذاته الذى ينتهى بالطبع الى النهايه أو يعذرک إذا لم تصل الى النهايه بسبب خارج عن إرادتك.

و يذكرنا القرآن بهذه الحقيقه الواضحه عقليا و يقول:ان الجهاد لا يعنى إلا توفير وسائله فالجهاد ليس فرضا موهوما أو تصورا جامدا.الجهاد هو مجموعه اجراءات عمليه متدرجه ينبعث نحوها المؤمن يوميا،و فيما يلى نذكر بعض هذه الاجراءات:-
ألف:الجهاد يعنى الاستقلال عن الآخرين و عدم الخضوع لأوامرهم أو لضغوطهم،و بالتالى إعلان الصراع معهم.

باء:و يعنى توفير فائض من الجهد ليدخره المجتمع من أجل إداره الصراع، و القيام بضروراته.ذلك لان الاستقلال يعنى المحاصره الاقتصاديه و الضغوط السياسيه،و نقص الثمرات و عدم التبادل التجارى مع أطراف اخرى غير الأعداء و ذلك بسبب عدم أمن الطرقات،و يعنى الاستقلال و بالتالى الاكتفاء الذاتى فى كثير من الحقول.و هذا لا يكون إلا بجهد إضافى.

كما يعنى الجهاد ادخار المؤن،و صنع السلاح و الذخير،و تموين الجيش، و تمويل المؤسسات العسكريه،و كل ذلك بحاجه الى فائض من الجهد.

جيم:الجهاد يعنى فى بعض المراحل تطوير الاقتصاد لكى يكون اقتصاد حرب يستخدم كل شىء من أجل المعركه باستثناء الضرورات الحياتيه.

دال:و الجهاد يعنى:التدريب المتواصل لكل القادرين على حمل السلاح أولا أقل للجيش المحارب،و التدريب بدوره قد يطول سنينا و أعواما من تدريب القاده

و الضباط و الى تدريب الفرق الخاصه و حتى تدريب الجنود العاديين.

هاء: و الجهاد بحاجه الى تقويه الروح المعنويه، و شحذ العزائم، و إعداد النفوس لتحمل الصعاب.

و هكذا يكون شكل المجتمع المحارب مختلفا كليا عن شكل المجتمع السادر فى غياب الاستسلام و التخلف، لذلك أكد القرآن على هذه الحقيقه بالنسبه الى المنافقين الذين يتشدقون بالمعركه دون أن يصدقوا لعدم القيام بالاعداد لها.

وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ الدليل على صدق النيه، و سلامه العزيمه الاندفاع نحو الهدف.

وَ لَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ أَى اندفاعهم و تحريك الاراده لهم.

فَتَبَطَّأَهُمْ أَى أفقدهم إرادتهم و أقعدهم الأرض.

وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ الَّذِينَ لا حول لهم و لا قوه و لا فرق بين العاجز عن التحرك، و المشبط الذى لا يملك اراده التحرك.

و هكذا نجد اليوم العالم الاسلامى يتحدث عن الاستقلال دون أن يهيهء وسائله أو يتحدث عن محاربه «إسرائيل» دون أن يعد نفسه جديا لهذه الحرب.

[٤٧] المنافقون لا يخرجون للحرب، أما لو خرجوا فليس للحرب ضد العدو، بل ضد المسلمين و ذلك بطرق:

أولاً: انهم سوف يطالبون القيادة أبداً بالسلاح و الوسائل الرفاهيه حتى يتعبوا القيادة و يكونوا زياده عناء فوق عناء الحرب.

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ أَي فِي صَفُوفِكُمْ.

مَزَادُواكُمْ إِلَّا خَبَالًا أَي عَنَاءٌ، يَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ خَبَالٌ عَلَى أَهْلِهِ أَي كَلَّ عَلَيْهِمْ، وَ كَلَّ عَنَاءٌ يَفْسُدُ وَ لَا يَصْلِحُ لِأَنَّهُ يَمْتَصُّ الْجُهْدَ دُونَ أَنْ يَقْدَمَ شَيْئًا لِذَلِكَ فَسَّرَ الْخَبَالَ هُنَا بِالْفَسَادِ وَ الْعِجْزِ.

ثانياً: انهم مسارعون الى الفتنة، و الفرقه بين المسلمين، بل انهم يسارعون بين الصفوف ينقلون لهذا كلاما ضد ذاك، فاذا غضب و بدرت منه كلمه ضخموها و حملوها الى الآخرين.

انهم بالتالى يقومون بدور الطابور الخامس للعدو.

وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ الْكَلِمَةَ مَأْخُوذَةً مِنَ الْإِيضَاعِ يُقَالُ: أَوْضَعَ الْإِبِلَ فِي سِيرِهِ أَي أَسْرَعَ وَ الْخِلَالَ يَعْنِي فِي صَفُوفِكُمْ.

أى انهم يسرعون بين الصفوف بهدف الفتنة.

يَبْعُونَكَمُ الْفِتْنَةَ أَي يَرِيدُونَكُمْ أَنْ تَتَحَلَّوْا إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْخِلَافَاتِ الدَّاخِلِيَةِ وَالْبُرُودِ عَنِ الْمَعْرَكَةِ.

ثالثا: ان هؤلاء جواسيس للأعداء عليكم.

وَفِيكُمْ سَاءَ مَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَكُلُّ ظَالِمٍ يَنْتَهَى مَصِيرُهُ إِلَى هَذِهِ الْعَاقِبَةِ، وَهَكَذَا عَلَيْنَا أَلَّا نَنْظُرَ إِلَى ظَوَاهِرِ الْأَشْخَاصِ، بَلْ نَفَكِّرْ فِي تَارِيخِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ السَّابِقِ وَكَيْفَ انْهَمَ كَانُوا يَعْمَلُونَ سَابِقًا فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ مُسْتَقْبَلًا.

مراجعة السوابق:

[٤٨] يذكرنا القرآن بماضى المنافقين الأسود، وكيف انهم كانوا فى أيام السلم يقبلون الأمور لرسول الله صلى الله عليه وآله، و يصورونها تصويرا مقلوبا.

لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ جَاءَ فِي التَّفَاسِيرِ: وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ: أَي صَرَفُوهَا مِنْ أَمْرِ إِلَى أَمْرٍ، وَدَبَرُوا لَكَ الْحِيلَ وَالْمَكَائِدَ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ حَوْلَ قَلْبٍ، إِذَا كَانَ دَائِرًا حَوْلَ الْمَكَائِدِ وَالْحِيلِ يَدِيرُ الرَّأْيَ فِيهَا وَتَدْبِرُهُ. (١)

و جاء: وقلبو لك الأمور: أى احتالوا فى توهين أمرك و إيقاع الاختلاف بين

ص: ١٩٠

المؤمنين و في قتلك بكل ما أمكنهم فلم يقدرُوا عليه، و قيل: انهم كانوا يريدون في كيدهِ و جها من التدبير فاذا لم يتم ذلك فيه تركوه و طلبوا المكيدهِ في غيره فهذا تقلب الأمور عن أبي مسلم. (١)

و أتصور ان تقلب الأمور للرسول صلى الله عليه و آله (و لم يأت عليه) يعنى: تبيانها بصوره غير صورتها الحقيقيه و ذلك للاشاره الى مدى كذب هؤلاء على الرسول صلى الله عليه و آله و تمرسهم فى الاشاعات الباطله و الله العالم.

و لكن هذه المحاولات باءت بالفشل فهذا الدين قد ظهر، و ذابت تلك الاشاعات فى حراره الانتصار و تحقق الرساله.

حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ كانوا يحاولون أبدا تحوير الحقائق بأقوالهم و إطفاء نور الله بما يخرج من أفواههم من ألفاظ فارغه لا تعنى شيئا.

واقع المنافقين:

[٤٩] ان بعض المنافقين يريدون تطويع الدين لشهواتهم و أهوائهم و يطالبون القيادة الدينيه بان تسمح لهم بارتكاب بعض المحرمات. زعما منهم ان لهم الحق فى ذلك و يهددون القيادة بأنها لو لم تأذن لهم بمثل ذلك لتركوا الدين و لخالفوا أوامر الله، و تكون الخطيئه على عاتق القيادة التى استصعبت عليهم الأمور. فهل هذا صحيح؟ كلا: إذ ان الدين هو المهيمن على تصرفات البشر، و القائد لمسيرته لا العكس كما يريدُه المنافقون، و بالتالى يجب أن يتبع الدين لا ان يتبع، و من جهه

ص: ١٩١

اخرى محاوله المنافقين بتطويع الدين لشهواتهم و مطالبتهم بالاذن لمخالفه تعاليم الدين. هذه المطالبه ذاتها خروج عن الدين و كفر به. إذ ليس بدين ذلك الدين الذى يتخذ مطيه لأهواء المنافقين.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَيْ لَا- تَمْتَحْنِي وَ تَجْبِرْنِي عَلَى تَرْكِ وَاجِبِ الْجِهَادِ، بَلْ ائْذَنْ لِي بِتَرْكِهِ حَتَّى يَكُونَ تَرْكِي لِلْجِهَادِ مَسْمُوحًا شَرْعِيًّا.

أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ أَيْ فَتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ الْاِسْتِثْنَانِ بِتَرْكِ الْجِهَادِ.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ فَان سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَ مَا كَسَبَتْهُ قُلُوبُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الرِّذَائِلِ وَ الْخَطَايَا هِيَ بِذَاتِهَا نِيرَانٌ كَامِنٌ فِي صُورِهِ نِيرَانٌ مِلْتَهَبُهُ، أَوْ عِقَارِبٌ وَ حَيَاتٌ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ مَا دَامَ الْبَشَرُ قَدْ اخْتَارَ طَرِيقًا مَنَحْرَفًا فَان كُلُّ أَعْمَالِهِ سَتَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ. كَمَا إِذَا اتَّخَذَ قَائِدُ الْجَيْشِ اسْتِرَاطِيَجِيَةً خَاطِئَةً فَان أَسَالِيِبُهُ وَ عَمَلِيَّاتُهُ سَتَكُونُ كُلُّهَا بَاطِلَةً وَ غَيْرَ نَافِعَةٍ.

معرفة المنافقين بعد الانتصار:

[٥٠] بسبب كفر المنافقين و عدم إيمانهم بالله و بالرسالة يرون أنفسهم منفصلين عن المجتمع الرسالي، فاذا غنم المسلمون شيئاً حزنوا لأنهم لم يكونوا معهم حتى يغنموا مثلهم، و ان خسر المسلمون المعركة و انهزموا فرحوا زاعمين ان تخلفهم عن المعركة كان بسبب صحه مواقفهم و سلامه عقولهم، و ازدادوا بذلك ابتعاداً عن الجبهه الاسلاميه.

إِنْ تُصِيبَكَ حَسِينَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ أَى كُنَّا عَارِفِينَ بِالْعَاقِبَةِ، وَقَدْ اتَّخَذْنَا الْاِحْتِيَاطَاتِ
اللازمه لمواجهه الموقف و ذلك بعدم الاشتراك فى الجبهه.

وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ لِأَنَّهُمْ فِى زَعْمِهِمْ لَمْ يَخْسِرُوا شَيْئًا.

و هكذا يعمل المؤمن و يجلس المنافق يراقب الموقف ليعلق على النتائج.

كيف نتصرف عند المصائب؟

[٥١] و لكن هل الخسائر التى تلحق الرسالين فى ساحه المعركه كلها خسائر.

أم انها أقدار كتبها الله عليهم لحكمه بالغه. فدماء الشهداء تكرر فى المجتمع القيم الرساليه و إذا لم يقتل الشهداء فإنهم لا
يخلدون فى الحياه بل كانوا يموتون بسبب أو بآخر و لكن حين استشهدوا و أريقتم دمائهم من أجل الرساله جرت تلك الدماء
الزكيه فى عروق الآخرين للتحويل الى عزيمة راسخه و صلابه و استقامه.

و هكذا الخسائر الماديه زكاه لأموال المسلمين، و الجهود المبذوله زكاه لابدانهم تطهرهم و تؤهلهم لمسؤولياتهم القياديه.

لذلك قال ربنا:

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا فَلَاحْزَنٌ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ.

ص: ١٩٣

ثم ان الله الذى قدر علينا المصيبه هو صاحب النعمه التى سلبها فليس علينا ان نناقش ربنا فيما يكتبه و يقدره.

هُيَٓ وَ مَوْلَانَا ۗ وَ عَلَى اللّٰهِ فَاِيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ لَدَلِكْ فَهَمْ لَا- يَنْهَزَمُونَ نَفْسِيَا مِمَا يَقْدِرُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ الْهَزَائِمِ، بَلْ يَعْلَمُونَ اَنْ الْهَزِيمَةَ خَطُوهُ اِلَى الْوَرَاءِ، وَ خَطُوتَانِ اِلَى الْاِمَامِ بِاِذْنِ اللّٰهِ، وَ بِفَضْلِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ.

النصر أو الشهادة:

[٥٢] و أسوأ الاحتمالات عند المنافقين يعتبر عند المؤمنين أحسن الاحتمالات، أ و ليس الموت آخر ما يخشاه المنافقون، ولكنه أفضل ما يتمناه المؤمنون أما النصر فهو أمل الجميع و قد يبلغه المؤمنون.

قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ أَمَا النَّصْرُ أَوْ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ.

وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ وَ نَنْتَظِرُ لَكُمْ وَاحِدًا مِنْ عَذَابِينَ فَمَا الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا بِهَزِيمَتِكُمْ، وَ إِمَّا الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ وَ ذَلِكَ بِالنَّصْرِ الظَّاهِرِ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَ زِيَادَةِ ذُنُوبِكُمْ وَ تَحْوِيلِهَا اِلَى عِقَابٍ شَدِيدٍ فِي الْآخِرَةِ.

أَنْ يُصَيَّبَكُمْ اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّكُمْ مُتَرَبِّصُونَ فَالْجَمِيعُ يَنْتَظِرُ الْعَاقِبَةَ، وَ الْفَارِقُ اَنْ الرِّسَالِيْنَ سِيرَ بِحَوْنِ الْمَوْقِفِ أَمَا الْكُفَّارُ وَ الْمُنَافِقُونَ فَإِنَّهُمْ سَوْفَ يَخْسِرُونَهُ لَا مَحَالَةَ بِاِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى.

اشاره

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُفْرًا فَاسْتَقِيمُوا (٥٣) وَمَنْ مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ
بِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لِمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ
(٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)

اللغة

٥٦ [يفرقون]: الفرق إزعاج النفس بتوقع و أصله من مفارقه الأموال حال الانزعاج.

٥٧ [مدخلا]: المدخل المسلك الذى يتدسس بالدخول فيه.

[يجمحون]: الجماح مضى المار مسرعا.

هدى من الآيات:

استمرارا للحديث عن سلوك المنافقين فى الحرب، يبين هذا الدرس موقف المنافقين من المال و كيف انهم لا ينسون أنفسهم كما يفعل المؤمنون، بل لا- يزالون حريصين على المال فلا- ينفقون منه و لا- يتقبل الله منهم نفقاتهم، لأنهم يعطونها رياء، و أما أموالهم و أولادهم فهى عذاب لهم فى الدنيا و غرور يدفعهم نحو الاستمرار فى الكفر.

ان علاقه المنافقين بالمؤمنين تحددتها مصالحهم الخاصه، فاذا وجدوا مغانم و مكاسب بادروا الى تسجيل أسمائهم مع المؤمنين و إلا تهزّبوا من المجتمع المسلم و و ذهبوا الى شياطينهم و لكن مع كل ذلك تراهم يحلفون بالله أبدا أنهم من جماعتكم، و الواقع انهم مع مصالحهم و ذلك تراهم كل يوم مع جماعه.

إنفاق المنافقين رياء أو خوفا:

[٥٣] جاء في بعض الأحاديث، ان إبليس قال لربه بعد ان امره بالسجود لآدم: اعفنى عن ذلك و سأقوم بسجده لك طولها أربعه آلاف عام. قال له الله: انى أريد الطاعه و لا أريد العباده.

و هكذا أحكام الشريعة ليست مطلوبه بذاتها بل انها فى حدود الأوامر التى تفرضها فمثلا لو تركت صلاه الصبح و هى ركعتان عمدا، ثم صليت بدلا عنها عشر ركعات فى غير وقت الصبح فان ذلك لن يقبل منك و تكون آئذ مثل من لا يحمل جوازا عند مروره على الحدود الخارجيه للبلد و لكنه يظهر جوازه عند شراء الحاجيات من المحلات التجارويه فهل ينفعه ذلك؟! و المنافقون لا- يطيعون الأوامر القياديه ثم يقومون ببعض العبادات التى لا- تؤثر على مواقفهم فلا- يقبل ذلك منهم، فهم يتمردون على أمر القيادة بالجهاد، و لكنهم يريدون تعويض ذلك بالإنفاق مكان حضورهم فى الجبهه فان الله لا يتقبله.

قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ [□] فالفاسق الذى يرفض الانقياد لاوامر السلطه الشرعيه لا تقبل منه نفقاته لان هذه النفقات ليست لله بل لتعزيز مكانته و شراء ذمه السلطه لئلا تضرب مصالحه، و مثل هؤلاء فى بلادنا مثل بعض الرأسماليين و الاقطاعيين الكبار الذين يحاولون شراء ذمه الجهات الدينيه و الثوريه بدفع بعض المال تحت واجهه التبرعات، و ما هى بتبرعات و لكنها رشوه(!) و على تلك الجهات ان ترفض تلك التبرعات أو تقبلها دون أن تتقبلها بل تبقى فى عدائها المستمر للاستغلال و الابتزاز، حتى بعض الدول

الغنيه تقوم ظاهرا بدفع مبالغ لهذه الثوره أو تلك باسم خدمه الانسانيه،و لكنها تستغل جماهيرها و ثروات بلدها لمصلحه شياطين الدنيا.ان على الثورات أن تتفهم دوافع النفقات التي يعطيها البعض و تتحذر من شرك الرشوه و الفساد.

[٥٤]و يفصل القرآن دوافع المنافقين من الإنفاق و السبب الذي يرفض الله تقبل إنفاقهم من أجله.

وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ فَلَمْ يَطْبِقُوا أَجَابَاتِ التَّسْلِيمِ لِلسُّلْطَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَ لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسَالَى فَلَمْ يَتَجَدَّرِ الْإِيمَانُ فِي نَفْسِهِمْ وَ إِنَّمَا يَصَلُّونَ لِلْعَادَةِ أَوْ لِلزِّيَادَةِ.

وَ لَا يُنْفِقُونَ إِلَّا- وَ هُمْ كَارِهُونَ- إنفاقهم انما هو بسبب خوفهم من السلطه أو محاولتهم شراءها فحتى لو كان الإنفاق طوعا فان دافعه ليس الايمان بل الخوف،فهو مثل من يخاف من الاقامه فى بلد فيبيع بيته ليهرب بنفسه فالباع ظاهره طوعيه. إذ انه يقدم عليها بلا- إجبار و يتوسل بالناس أن يشتروا منه بيته و يفرح لو وجد من يشتريه منه بأى ثمن،و لكن مجمل العمليه يكون بالإكراه لان الدافع الأساس للبيع هو الخوف.

و ربما كان فى الآيه الاولى دلالة على ان الدوله الاسلاميه تجبر المنافقين على دفع الضرائب و خلافها،و لكن الله لا يثيبهم عليها.

لماذا أعداء رساله منعمين؟

[٥٥]قد يستهوى ظاهر المنافقين طائفه من المؤمنين و الرساليين فيفكرون فى

كسبهم لاستقطاب امكاناتهم الماديه لمصلحه الرساله و بذلك يقدمون تنازلات لهذه الطائفه الفاسده،و القرآن يحذر من ذلك
بشده و يبين ان امكانات هذه الطائفه لا تنفع الرساله لأنها متصله بسلوك فاسد و ضمائر فاسده و هى بالتالى نتيجته وضع فاسد،و
إفراز لوضع فاسد فهى تضر و لا تنفع.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنِ الثَّرْوَةُ الَّتِي جَمَعْتَ مِنَ الْإِبْتِرَازِ وَالسَّرْقَةِ وَالِاسْتِغْلَالِ سَحَتْ وَ فِسَادٌ وَ هِيَ لَا تَصْلِحُ إِنْ تَكُونُ
فِي خِدْمَةِ الرَّسَالَةِ كَذَلِكَ الْوَلَدُ النَّاشِئُ فِي بَيْتِ الدَّلَالِ وَالْمِيْوَعَةِ وَ بِالتَّرْبِيَةِ الْفَاسِدَةِ لَا يَنْفَعُ كَسْبُهُ شَيْئًا.

و لكن لماذا أعطاهم الله المال و الولد؟ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَالْمَالُ السَّحْتِ وَ الْوَلَدُ الْفَاسِدِ لَيْسَ نِعْمَةٌ بَلْ
نِقْمَةٌ يَعَذِّبُ بِهَا صَاحِبَهَا.

وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ فَالْغِنَى وَ الشَّرْفُ الْاجْتِمَاعِي يُعْطِيَانِ الْفَرْدَ غُرُورَ الْعِظْمَةِ، فَيَكْفُرُ بِاللَّهِ وَ لَا يَنْتَبِهَ لَوَاقِعِهِ الضَّعِيفِ
الْبَائِسِ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ.

[٥٦] و المنافقون ليسوا من المجتمع المسلم، لأنهم لا يشاطرون الامه مصاعبها و مصائبها.

وَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ فَمَنْ شَدَّ خَوْفَهُمْ تَرَاهُمْ يُنْتَظَرُونَ بِأَنَّهُمْ مِنْكُمْ، وَ لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ
يَفْرُقُونَ أَى يَخَافُونَ

لا أكثر ولا أقل.

[٥٧] لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ و الدليل على ان تظاهرهم بالدين إنما هو من خوفهم: انهم لو وجدوا أى وجه للفرار منكم لأسرعوا اليه، كما لو وجدوا قوما يلجأون إليهم. أو وجدوا كهوفا فى الجبال و مغارات. أو حتى إنفاقا و أسرابا فى الأرض لرأيتهم يتجهون إليها. و هم يسرعون من دون أن يمنعهم وفاء بالعهد. أو بقيه ذمه أو ضمير.

ص: ٢٠٠

اشاره

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسِيخُطُونَ (٥٨) وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ
عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)

هدى من الآيات:

الانتماء الى القيادة الرساليه عند المنافقين انما هو انتماء مصلحي. فان أعطوا من الصدقات و بيت المال شيئا رضوا و إلا فأنهم سوف يسخطون، و هم يشيرون الى ذلك من خلال كلماتهم و تصرفاتهم! بينما الانتماء السليم هو الانتماء الايماني الذي يسلم الفرد نفسه لله و للرسول و للقيادة الرساليه و يطمئن نفسيا بأوامر القيادة انتظارا لفضل الله الكبير المتمثل في الرخاء و الرفاه لكل أبناء المجتمع، و ذلك لا يكون إلا بعد الرغبه الى الله.

أما الصدقات و أموال بيت المال فهي ليست لمن أراد. انما هي للضعفاء من أبناء المجتمع-الفقراء و المساكين و الموظفين العاملين على الصدقات. و الجنود الذين يؤلف قلوبهم من سائر الأديان ليحاربوا الى جانب الدوله الاسلاميه و العبيد المديونين الغارمين. و في سبيل المصالح العامه. و منها الذين ينقطع بهم الطريق و تنتهي نفقاتهم و زادهم..-هذه هي مصارف الصدقات و الله عليم بالحاجات

الحقيقه حكيم يأمر بما فيه المصلحه.

بينات من الآيات:

الانتماء المصلحي

[٥٨] الفرق بين تركيبه المجتمع المسلم الرسالى و بين المجتمعات الاخرى. أن الحبل الرابط بين أبناء المجتمع الرسالى هو المبدأ فالإيمان بالإسلام هو الذى يجعل مجموعه من البشر المختلفين (ثقافيا-طبقيا-عنصريا-ولونا-ولغه-وقوميا) يذوبون فى بوتقه الامه الواحده ذات القياده القويمه القويه.

و كل فرد يسلم عمليا و نفسيا لهذه القياده و يجعل انتماءه إليها مشروطا بمدى تجسيد القياده للقيم الرساليه و تنفيذها للواجبات الدينيه.

لذلك ترى القياده هنا متحرره من الضغط و الأغلال فلا تخشى انهيار صرح قيادتها لو خالفتها طبقه أو سحقت امتيازها أو ألغت عاده عشائريه شاذه.

الانتماء الى القياده ليس على أساس المصالح الماديه حتى إذا فقدت القياده الثروه ضعفت أو انهارت، و لا هى قائمه على أساس عشائرى أو قومى حتى تكون قائمه على ظلم سائر العشائر و القوميات، و إعطاء المزيد من الامتيازات لهذا أو ذاك، كلما شعرت بالضعف.

أما المنافقون فإنهم يريدون القياده بقره حلوب يحبونها ما دامت تعطيم لبنا سائغا، و إلا فهم ينقلبون عليها.

و مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ أَيْ يَتَصَرَّفُ بِطَرِيقِهِ تَوْحَى بِاسْتِعْطَائِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ. و الصَّدَقَاتِ -حَسْبَمَا

يبدو لى- كل الأموال التي ينفقها المؤمنون بوازع يمانى.

فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ عَلَى الْقِيَادَةِ وَيَعَارِضُونَهَا.

[٥٩]بيد أن تشجيع العمل الصالح فى المجتمع.انما يتم بتكافؤ الفرص الذى يضمه القانون الاسلامى و تطبقه القيادة العادله النابعه من ايمان الجماهير بالإسلام، و تسليمهم النفسى للقياده.ان هذا القانون هو الذى يدفع الجميع الى العمل البناء و يوفر الأمن و التقدم للجميع.

و هو بالتالى أنفع من أصحاب الامتيازات الباطله الذين يحاولون تحريف المجتمع باتجاهها.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَحِينَ تُلغى الامتيازات يتقدم الجميع بسبب العمل البناء الذى ينعكس على كل حقول الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه.

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ فحتى لو لم أحصل شخصيا على مكسب فى الدنيا، فان الجزاء فى الآخره سوف يتضاعف.

أين تصرف الصدقات؟

[٦٠]أما مصارف الصدقات فتكون فى الطائفه الضعيفه و ليس لأصحاب

الامتيازات.

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ الْفُقَرَاءِ هُم الطَّبَقَاتُ الْمَحْرُومَةُ الَّتِي لَا يَفِي دَخْلُهَا بِمَصَارِفِهَا حَسَبَ الْمَسْتَوَى الْجَمَاعِي فِي ذَلِكَ الْعَرَفِ. أَمَّا الْمَسَاكِينُ فَهُم الْمَعْدُمُونَ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمُ الْفَقْرُ وَالْعَجْزُ عَنِ الْاِكْتِسَابِ.

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا أَي الْقَائِمُونَ عَلَى الصَّدَقَاتِ مِنَ الْمَوْظُفِينَ.

وَالْمَوْلَفَهُ قَلْبُهُمْ مِنَ الْجُنُودِ الَّذِينَ لَمْ يَدْفَعَهُمُ الْإِيمَانُ إِلَى الْإِنْخِرَاطِ فِي هَذَا السَّلْكِ، بَلِ الْعُوزُ وَهُمُ الْغَالِبَا يَكُونُونَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَفِي الرِّقَابِ وَهُمُ الْعَبِيدُ الَّذِينَ يَعْتَقُونَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِيَعَادَ لَهُمْ حُرِّيَّتُهُمُ السَّلْبِيَّةُ بِسَبَبِ الْأَسْرِ.

وَالْغَارِمِينَ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِدْيُونِهِمْ.

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ أَي فِي كُلِّ مَصْلَحَةٍ أَمْرٌ بِهَا اللَّهُ مِنْ بِنَاءِ الْجُسُورِ، وَتَعْيِيدِ الطَّرِيقِ، وَإِقَامَةِ الْمَشَارِيعِ

ص: ٢٠٥

الانمائيه، و الخدمات الصحيه.. و ما أشبه.

وَ ابْنِ السَّيْلِ وَ هُوَ الْمَسَافِرُ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ أَهْلِهِ وَ لَا يَمْلِكُ مَا يُوَصِّلُهُ إِلَيْهِمْ، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ زَادًا وَ نَفَقَهُ كَافِيَهُ.

فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ تَجْدِيدُ مَصَارِفِ الْأَمْوَالِ الْعَامَّةِ خُصُوصًا بَعْدَ ذِكْرِ كَلِمَةِ الْحَصْرِ (إِنَّمَا) يَنْقَطِعُ أَمَلُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الطِّفْلِيِّينَ وَ أَصْحَابِ الْأَمْتِيَّازَاتِ، فَلَا يَطْمَعُونَ فِي ابْتِرَازِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَ إِنَّا نَجِدُ فِي سُلُوكِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَعَ أَخِيهِ عَقِيلٍ، وَ مَعَ أَصْحَابِ الْأَمْتِيَّازَاتِ الْبَاطِلَةِ مَا يَجْعَلُنَا نَفْهَمُ بَعْمَقِ طَبِيعَةِ الْقِيَادَةِ الرَّسَالِيَّةِ.

لَقَدْ جَاءَ عَقِيلٌ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَطَالِبُهُ بِزِيَادَةِ فِي الْعَطَاءِ - وَ قَدْ أَمْلَقَ إِمْلَاقًا - فَحَمَى عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَدِيدَهُ وَ قَرَّبَهَا إِلَى يَدِهِ وَ كَانَ عَقِيلٌ ضَرِيرًا، وَ كَانَتْ لَهُ عَائِلَةٌ كَبِيرَةٌ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ الْمَالَ بِزَعْمِهِ فَذَا بِهِ يَحْسُ بِحَرَارَةِ الْحَدِيدَةِ فَقَالَ لَهُ:

«تَكَلَّتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَ تَتْنُ مِنْ حَدِيدِهِ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَبَةِ، وَ تَجْرُنِي إِلَى نَارِ سَجْرَهَا جِبَارَهَا لِعُظْبِهِ. أَ تَتْنُ مِنَ الْأَذَى وَ لَا أَتْنُ مِنْ لَطْيٍ!»!

ص: ٢٠٦

وَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣)

إشاره

و يسترضون المؤمنين

هدى من الآيات:

بسبب تمرد المنافقين على القيادة الرسالية المتجسده فى شخص النبى صلى الله عليه و آله كان الناس ينظرون إليهم شزرا، فكان المنافقون يحاولون تبرير مواقفهم.

أولاً: بالادعاء الكاذب ان الرسول لا بأس به و لكن يحيط به رجال يغذونه بالاخبار و المواقف المضاده بنا، و لهذا فنحن نخالفه لا لأنه- لا سمح الله- يكذب أو يتخذ مواقف باطله، و فضحهم القرآن بان الرسول يستمع فقط الاخبار التى هى فى مصلحه المؤمنين و يعمل لهذه المصلحه، و بالتالى فان موقفه من الناس لا يحدده الخبر، بل قيمته المتجسده فى الايمان، فلو كنتم مؤمنين لاستطعتم أن تفوزوا برحمه الرسول.

ثانياً: كانوا يحلفون بالله لتبرير نفاقهم، و يدعون بأن مخالفتهم لا تعنى مخالفه المجتمع المسلم، و يردهم القرآن بأن الله أحق أن يرضوه بصدق النيه و إخلاص العمل، و كذلك الرسول بالتسليم و الطاعه.

و يبين القرآن ان من يتجاوز حدود الله و الرسول،و يخالف أوامر الله فان جزاءه المعد له نار جهنم خالدا فيها.

بينات من الآيات:

القنوات الخبريه فى الإسلام:

[٦١] كثيرا ما نجد المستكبرين الذين يخالفون القيادات الرساليه بسبب أو بآخر لا يجرون على النيل من شخصيه القائد،و لو فعلوا لم يستمع إليهم أحد، لذلك تراهم يتعرضون لمن حول القائد،و يشككون فى أجهزته و قنواته الخبريه، و يدعون بان القائد بسيط و ساذج أو أنه إنسان طيب يثق بكل الناس،و أن من حوله يستغلون طيبه فى إملاء المواقف الباطله عليه،و هكذا قال المنافقون عن الرسول،و لكن نعلم سلفا ان هدف هؤلاء هو شخص القائد و انهم يحاربونه نفسيا، و يتعمدون إيداءه عن طريق مثل هذه الاشاعات حوله.

وَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ أَى انه يسمع كل من يتحدث اليه،و يقبل كلام الناس دون تمحيص أو نقد.

و لكن هل هذا صحيح؟ كلا..و لعدده أسباب منها:

ان أى قائد هو مسئول عن حوله و عن أجهزته،و القائد الرسالى يختار اجهزته من بين أنقى الناس،و حتى لو لم يقدر فهو لا يسلم نفسه لمن حوله ان كانوا انتهازيين،و هكذا كان حول الرسول رجال صادقون اختبارهم بدقه،أما غيرهم فلم يكن يتأثر بكلامهم الرسول صلى الله عليه و آله .

و منها:ان هدف الرسالى هو تحقيق مصلحه الامه،و لذلك فهو لا يسمع الاخبار المسيئه بشخصيه هذا أو ذاك،و لا يتأثر بالصراعات القائمه داخل المجتمع المسلم

و التي يحاول كل طرف منها تجيير شخصيه القائد لحسابه، و لذلك فهو هدف مسبق.

و منها: ان هدف الرسول و كل قائد رسالي هو اشاعه الرحمه و البركه لكل أبناء المجتمع القريب و البعيد، و أشارت الآيه الكريمه الى هذه الحقائق قائله:

قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ فَهُوَ لَا يَسْمَعُ الشَّائِعَاتِ الْمُضَادَّةَ لِمَصْلَحَةِ النَّاسِ.

□
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ يَجْعَلُ الْقَائِدَ بَعِيدًا عَنِ التَّأَثُّرِ بِالْأَقْوَالِ الْكَاذِبَةِ.

وَ رَحْمَةُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَهُوَ رَحِمُهُ لِلْجَمِيعِ.

□ □
وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

كيف يثبت المنافقين انتماءهم؟

[٦٢] ثم ان المنافقين يحاولون شق عصا المؤمنين و بناء جدار بين القيادة الرساليه و المجتمع، لذلك..

□ □
يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَان كَانُوا جُزءً مِنْ أبنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ فَان عَلَيْهِمْ
ان يرضوا الله و القيادة الرساليه، و من يقاوم القيادة الرساليه فانه لا يمكنه الادعاء بأنه ليس بعدو للمجتمع المؤمن بالقيم، و القائم
على أساسها.

[٦٣] والذين يحاربون الله ورسوله والقياده الرساليه، و يحاولون تجاوز حدود الله فان الجزاء المعد لهم جهنم.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۚ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ أَنْ تَنْتَهِيَ حَيَاةَ الْبَشَرِ الَّتِي هِيَ الْفُرْصَةُ الْوَحِيدَةُ بِنَارِ خَالِدًا فِيهَا، أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ خِزْيًا وَذَلَّ عَظِيمًا.

ص: ٢١١

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَهُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعِدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨)

إشارة

و يعدهم الله نار جهنم

هدى من الآيات:

يذكرنا السياق القرآني ببعض مواصفات المنافقين الذين يشكلون الطابور الخامس للعدو و أبرزها حذرهم من الفضيحة، و في ذات الوقت استهزاءهم بالرسالة، و اتخاذ مجمل الحياه لعبا و لهوا، و لكن هل يمكن اللعب بالحقيقه؟ ان أولئك الذين حوّلوا الاستهزاء الى مرحله العمل الاجرامى، انهم سوف ينتظرهم العذاب. اما غيرهم فقد يغفر لهم. بيد ان هذا لا يعنى تقسيم هذه الطائفة إذ النفاق صفة مشتركة فيهم، و لذلك بعضهم من بعض و بعضهم يؤثر سلبيا فى البعض عن طريق الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف و اثاره السلبيات. ان هؤلاء نسوا الله و غفلوا عن انه فعّال لما يريد و هو الذى يدبر حياه الناس. و انه سبحانه نسوا الله و غفلوا عن انه فعّال لما يريد و هو الذى يدبر حياه الناس. و انه سبحانه نسيهم لفسقهم و سوء أعمالهم، و وعدهم هم و الكفار نار جهنم خالدين فيها و هى تكفيهم عذابا و جزاء، و أبعدهم عن نعمه و لهم عذاب مقيم فى الدنيا.

خوف المنافقين من الفضيحة:

[٦٤] بالرغم من يقين المنافق بأن الوحي حق، وخشيته من افتضاح أمره عن طريق نزول سورة قرآنيه تكشف خطيئهم وربما أسمائهم بالرغم من ذلك فهم يستهزئون ولا يتخذون الرساله أمرا جديا لخور عزيمتهم و ضعف إرادتهم و عصف الشهوات بنفوسهم المنهاره، و لكن الله سوف يخرج ما فى قلوبهم و ما يحذرون من نشره.

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِالرِّسَالَةِ وَ اتِّخَاذِهَا هُزُوعًا.

قُلِ اسْتَهْزِؤْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ [٦٥] و لكن لماذا يستهزئ هؤلاء بالرساله أو لا يؤمنون بأنها حق، بلى و لكنهم يتخذون الحياه لعبا.

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَّ فليست هذه الحقائق قابله للاستهزاء لأنها حقائق حاسمه ذات خطوه كبيره بالنسبه لمستقبل البشر.

متى يتحول المنافق الى مجرم؟

[٦٦] و حين يأتي عذاب الله و تنتقم هذه الحقائق من المنافقين يشرعون بالاعتذار.

لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ و المعذره انما تنفع الغافل أو الجاهل. أما الذى استسلم لضغط الشهوات و كفر بالله بعد إيمانه فان ذلك لا ينفعه.

إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ لَصِدْقُ تَوْبَتِهِمْ وَ خَفَهُ جُرْمُهُمْ، و لكن الطائفه الثانيه المجرمه حقا لا بد ان تنال جزاءها العادل.

نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [٦٧] و لكن لا يعنى هذا ان النفاق ذاته ليس جرما، كلا.. إذ مجرد ظهور النفاق عند أحد يدخله فى قائمه المنافقين، و يجعله شريكا لتصرفاتهم لطبيعته التفاعل بين أعضاء الكتله الواحده فبعضهم يشجع البعض على الاستمرار فى الطريق المنحرف.

الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ فَلَا يَقُومُونَ بِعَمَلٍ إِيْجَابِيٍّ فِي سَبِيلِ تَقْدِيمِ الْأَمْرِ وَ صَلَاحِهَا، و هذا وحده يكفى ظلما لحقوق الامه و مخالفه لواجبات الإسلام.

نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ كيف ينسى البشر ربّه؟ انه يلاحظ فقط ظواهر الأمور و لا يتعمق فيما وراء الظواهر من سنن و أنظمه

و تقديرات، و أن الله سبحانه هو الذى يجرى أمور الحياه حسب علمه و حكمته، و هكذا اغفلوا دور التدبير الالهى و من ثم الرساله الالهيه فى حياتهم فتجاوزهم التدبير الالهى فلم يحفل بهم و بتطلعاتهم و كرامتهم و صدقهم. و السبب ان نسيان الله و اغفال تدبيره للحياه يشجع المنافق على ارتكاب المعاصى و الفسق، و عاقبه الفسق معروفه.

عاقبه النفاق النار:

[٦٨] ان عاقبه الفسق هى عاقبه النفاق عموما و عاقبه الكفر بصوره أعم.. فما هى؟ وَعَيْدَ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ و لكن بالرغم من ان نار جهنم تكفيهم جزاء و ألما فان لهم أيضا جزاء آخر هو:

ابعادهم عن رحمه الله فى الدنيا، و أيضا العذاب الدائم الذى يقيمون فيه أبدا و هو العذاب النفسى و تناقضهم مع تيار المجتمع و مع أنظمه الحياه.

وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

ص: ٢١٦

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالًا - وَ أَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا إِسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَ أَصْحَابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَ عِدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)

هدى من الآيات:

النفاق تيار اجتماعى و ليس عملا فرديا أو سلوكا منفصلا عن سلوك الآخرين و هو فى ذات الوقت تيار تاريخى علينا أن ندرك علاقته من خلال عاقبه مثيلاته فى الماضى، فقد كان من قبل هؤلاء المنافقين من هو أشدّ منهم قوه و أكثر أموالا و أولادا عدّه و عددا و لكنهم استهلكوا ما كانت لديهم من قوه و متع، و هؤلاء المنافقون يسيرون على ذات الخط و كانت عاقبه أولئك حبط أعمالهم فى الدنيا و الآخرة، و خساره فرصهم فى الحياه الدنيا.

و مثل هؤلاء يتجسد فى قوم نوح و عاد و ثمود و قوم إبراهيم و أصحاب مدين و كذلك المؤتفكات الذين ظلموا أنفسهم و أهلكتهم الله بعد أن أنذرهم بالرسل و البيّنات.

و كما ان المنافقين تيار اجتماعى تاريخى فكذلك المؤمنون بعضهم أولياء بعض، و هم يتفاعلون مع بعضهم فى القيم الساميه حيث يأمرن بالمعروف و ينهون عن

المنكر و يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه كفرائض اجتماعيه اقتصاديه، و يخضعون للقياده الرساليه حيث يطيعون الله و رسوله، و أولئك سيرحمهم الله، و ينزل عليهم الرخاء ان الله عزيز حكيم، هذا في الدنيا، أما في الآخره فقد وعدهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، و أكبر من ذلك هو الفوز العظيم.

بينات من الآيات:

دروس من التاريخ:

[٦٩] لكي يرتفع البشر عن حدود المؤثرات العاجله في سلوكه فعليه أن يتمتع برؤيه تاريخيه، و ينظر الى حياته من خلال بصائر الماضى و سننه، و المنافق إذا نظر الى نظرائه فى التاريخ و كيف كانت عاقبتهم إذا لتراجع عن نفاقه، و لذلك يذكر ربنا المنافقين بمن سبق من أسلافهم و يقول:

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَ هَذَا اكتملت فيهم أسباب القوه و اغتروا بها فاستخدموا قوتهم فى تحقيق مطامحهم الخاصه من دون اهتمام بواجباتهم الدينيه. تماما كما يفعل المنافقون اليوم.

فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ أَى انهم استفادوا من نصيبهم فى الحصول على المتعه كما تفعلون أنتم، فعليكم ان تقيسوا أنفسكم بهم و تنظرون كيف كان مصيرهم.

وَ خُضْتُمْ كَالَّذِينَ خَاضُوا أَى كما انهم خاضوا فى غمرات الشهوات دون أن يحددوا شهواتهم بالعقول، أو يستلهموا فى أعمالهم من الوحي، فأنتم كذلك خضتم اتباعا لهم و تقليدا. فما

كانت عاقبه أولئك؟ أولئك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَي خَسِرَتْ أَعْمَالَهُمُ الْإِجَابِيَّةَ الَّتِي عَمَلُوهَا مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا أَوْ مِنْ أَجْلِ الْآخِرَةِ وَ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

وَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [٧٠] الْمُنَافِقُ وَ الْكَافِرُ يَشْتَرِكَانِ فِي مَصِيرٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِي اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَ مَصِيرَ الْكَافِرِينَ فِي التَّارِيخِ عِبرَهُ كَافِيَهُ لِلْمُنَافِقِينَ أَيْضًا.

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَ أَصْحَابِ مِدْيَانَ أَي قَوْمِ شَعِيبِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِ يَوْمِ الظَّلَّةِ.

وَ الْمُؤْتَفِكَاتِ أَي الْمُنْقَلَبَاتِ وَ هِيَ مَدَنُ قَوْمِ لُوطٍ.

أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَرْكِ الْبَيِّنَاتِ، وَ الْكُفْرَ بِالرُّسُلِ.

صفات المؤمنين:

[٧١] وَ فِي مَقَابِلِ التِّيَّارِ الْمُنَافِقِ نَجْدِ التِّيَّارِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَتَمَاسِكُ أُنْبَاؤُهُ بِأَصْرِهِ

ص: ٢٢١

الولاء الواحد، والثقافه المشتركه حيث يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر.

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا ان الشعائر الواحده تزيد ترابطهم كالصلاه التى يقيمونها فهى كما عمود مستطيل يرفع خيمتهم فهى ليست عباده فقط، بل و أيضا ظاهره اجتماعيه سياسيه خصوصا حينما تقام جماعه أو فى الأعياد و الجمععات.

وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الزكاه بدورها فريضه الهيه تقيم المجتمع، و تحافظ على تماسكه، و انتشار روح العداله و المساواه، و المجتمع المسلم ذو قياده مشتركه و متجذره فى نفوسهم.

وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أى ان رحمه الله تنزل على المجتمع و الله قوى شاهد فى أحداث المجتمع و يعامل الناس بحكمته فيعطى الناس حسب أفعالهم و جهودهم و نياتهم.

[٧٢] و الله سبحانه وعد أبناء هذا التيار المؤمن حياه سعيده فى الآخره كما منعهم ذلك فى الدنيا.

وَ عِدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ لَيْسَ لَهَا خَرِيفٌ أَوْ شتاء أو زوال.

و لكن أكبر من ذلك رضا الله.

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ هَذَا الرِّضْوَانُ دَلِيلٌ تَوَافَقَ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَعَ تَعَالِيمِ الشَّرِيعَةِ.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

ص: ٢٢٣

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ
الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعِدِّ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُومَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ
يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْتَهِبُوا
مِنْكُمْ شَيْئًا وَلَئِنْ أَخَذْتُمْ عَلَيْكُمْ حَنَافًا فِي قُلُوبِهِمْ فَذَلِيلُونَ يُعَذِّبُهُمْ لَنْصَدَقَنَّ وَلَنْ كُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ لَمَّا وَعَدُوهُ وَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ (٧٨)

هدى من الآيات:

لا يزال السياق القرآنى فى سورة التوبه المباركه يحدثنا عن صفات المنافقين، فبعد ان يأمر الله رسوله الأكرم صلى الله عليه و آله بأن يبدأ جهادا دائما و صعبا مع الكفار و المنافقين و أن يغلظ عليهم لأن نهايتهم ليست الا النار التى ساءت مصيرا بعدئذ يبين لنا القرآن الحكيم صفات المنافقين و من أبرزها حاله الانزدواجيه عندهم فهم يحلفون بالله بأنهم لم يقولوا كلمه الكفر بينما فى الحقيقه إنهم قالوا هذه الكلمه منذ زمان. حيث أنهم كفروا واقعا بعد أن أسلموا ظاهرا كفروا حينما رأوا أن مسئوليات الإسلام كبيره و انهم دونها.

و أمامهم الآن أحد الخيارين الرئيسيين فاما العوده الى احضان الإسلام و اما انتظار عذاب اليم فى الدنيا و الآخره من دون أن يكون لهم نصيرا أو ظهير فى الأرض أو فى السماء.

و من المنافقين أولئك الذين يبحثون عن فرصه فى الحياه و يدعون بأنهم لو

و الآخره، و لا أحد يواليهم أو ينصرهم.

رابعاً: النفاق صفة كامنه فى النفس تظهرها النعمه، فمن الناس من يتمنى الغنى و يتعهد مع الله ان لو أغناه الله لأعطى حق النعمه فتصدق و عمل عملاً صالحاً، و لكن حين أتاه الله من فضله أمسى بخيلاً بالنعمه، و عمل عملاً سيئاً مما كرس فى ذاته حاله النفاق الى يوم القيامه و ذلك بسبب خلفهم لوعدهم و نكثهم لعهدهم مع الله، و لكن ذلك الوعد كان كاذباً منذ الأساس، و كان الله عالماً بقلوبهم، كما ان تبريراتهم الجديده كاذبه هى الاخرى مثل تسويق الإنفاق ليوم الحصاد أو ربح التجاره.

من صفات المنافقين:

[٧٤] ان من صفات المنافقين، الحلف الكاذب بالله ذلك لأنهم يعرفون انهم متهمون.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ قَدْ يَكُونُ هَؤُلَاءِ قَدْ قَالُوا كَلِمَةً ضِدَّ السُّلْطَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَ قِيَادَةِ الرَّسُولِ وَ اعْتَبَرَهَا الْقُرْآنُ كَلِمَةَ الْكُفْرِ. بينما اعتبروها كلمه عاديه، و هكذا المنافقون فى كل يوم يزعمون ان الكفر ينحصر فقط فى سبّ الله تعالى، و انكار وجوده سبحانه بينما ليس الأمر كذلك، بل مناهضه سلطه الإسلام أو مخالفه ثوره المسلمين الصادقين ضد سلطات الطاغوت هى الاخرى كفر. لذلك أكد القرآن على ان كل ذلك يعتبر كفراً بعد إسلام.

وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَ الْإِسْلَامُ هُنَا - كما يبدو - هو التسليم لله و للرسول و الخضوع للقياده الرساليه

لذلك جاء في بعض التفاسير «نزلت-هذه الآية-في عبد الله بن أبي بن سلول حين قال: (لَيْتُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)» .

فبالرغم من ان هذه ليست سبّ لله أو الرسول، ولكنها كلمة كفر لأنها تمرد على الإسلام لله و للرسول، و في الكلمه التاليه اشاره الى هذه الحقيقه:

وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا فَلَقَدْ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، وَ إِفْسَادِ النَّاسِ لِيَقَاومُوا سُلْطَةَ الرَّسَالَةِ عَنْ طَرِيقِ بَثِّ الْإِشَاعَاتِ الْبَاطِلَةِ مِثْلَ قَوْلِ أَحَدِ الْمُنَافِقِينَ وَ اسْمِهِ جَلَّاسٌ قَالَ بَعْدَ خُطَابِ الرَّسُولِ وَ هُوَ يَثِيرُ رِفَاقَهُ ضِدَّ الرَّسُولِ: وَ اللَّهُ لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ فَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ.

و لقد حاول بعضهم قتل الرسول في قصه معروفه عرفت بليله العقبه حيث أرادوا تنفير ناقة الرسول عند وصولها قريبا من العقبه و هي منعطف خطير في الجبل، و بالطبع إذا نفرت الناقه في ذلك المكان بالذات أوقعت الرسول في الوادي.

كما حاول البعض إخراج الرسول مثل عبد الله بن أبي.

كما قام بعضهم بالفساد و التخريب.

ان كل هذه المحاولات كانت تهدف بالتالي شيئا واحدا هو تغيير نظام الحكم، و التسلط على رقاب الناس و لكن لم يوفقوا.

وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ لِمَاذَا نَافِقٌ هَؤُلَاءِ، وَ مَتَى؟

السبب ان بعض الناس يكونون أشداء ضد من يحسبون انهم ضعفاء، و ضعفاء أمام الأقوياء.

ولهذا حينما كان المنافقون فى أوضاع شاذة، يلفهم الفقر و التخلف و العذاب، و يتحكم فى رقابهم حفته من الشيبه باسم القبليه، أو حفته من التجار اليهود.

حينذاك لم يفكروا فى الثوره، و لم يحاولوا إنقاذ أنفسهم من براثن السلطه الفاسده، لأنهم حينذاك كانوا مشغولين عن كل ذلك بملاحقه لقمه الخبز و معالجه آثار الفقر و المرض. اما اليوم و قد أغناهم الله من فضله و اراحهم من شغلهم (بمطارده لقمه العيش) جاؤوا ينافسون السلطه الرساليه التى أنقذتهم.

فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، هل جزاء الرسول الذى حرّهم من جاهليتهم إلا الشكر له، و التسليم لسلطته المباركه أم جزاؤه النقمه عليه، و التخريب ضده؟! فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ سَوْفَ يَعُودُونَ فى الدنيا الى سلطه الطغاه و ما تعنيه هذه السلطه من فقر و عذاب، أما فى الآخره فان الله الذى وقر لهم الهدايه سوف يأخذهم بأشد العذاب.

و الجدير بالذكر: ان الطائفه من المنافقين الذين حسبوا إن دوله الإسلام ضعيفه و فكروا فى مقاومتها سوف يتوبون حينما يكتشفون قوه النظام و صلابته، و حينما يكتشفون انه لا أحد ينصرهم أو يدخل فى حزبهم حينما يتعرضون للهجوم المضاد من قبل أنصار الرساله.

وَ مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ

[٧٥] تتجلى هذه الحالة النفاقية مره اخرى عند ما ترى بعض الفقراء يتمنون الغنى و يزعمون انهم سوف يوفون بعهدهم مع الله، و يتصدقون بفضل أموالهم و يعملون بها صالحا، بيد انهم بعد الغنى يعملون العكس تماما، لماذا؟ لان تظاهرهم بالايامن و الهدى انما كان حين لم يتعرضوا للتجربه اما الآن فان حب المال و شح النفس و قضيه العوده الى حاله الفقر تضغط عليهم باتجاه البخل و تغريهم بالفساد.

و مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ان فضل الله ينبغي ان يدفع الفرد باتجاه الصدقه و الصلاح لان الذى اعطى يقدر على ان يسلب العطاء، و يعيد حاله الفقر. بيد ان ذوى النفوس الضعيفه و الإيرادات المهترئه تراهم يغترون بنعمه الله و فضله.

[٧٦] و قد يكون المنافق واحدا منا دون أن نشعر لأنه قد يستطيع الواحد ان يقاوم ضغط الفقر، و لكنه ينهار أمام إغراء المال، أو حتى يقاوم هذا الإغراء و لكنه ينهار أمام إغراء السلطه و الجاه، و هكذا على الإنسان أن يتزود بالايامن و يتسلح بالإراداه الصلبه و التوكل على الله حتى لا يصبح مثل الذين يقول عنهم القرآن:

فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ أى انهم بالاضافه الى عدم وفائهم بالعهد السابق الذى الزموا أنفسهم به من الصدقه، بالاضافه الى ذلك تجدهم يقاومون شريعته الله و أوامر الرسول.

جاء فى التفاسير قصه طريقه بطلها شخص باسم (ثعلبه بن حاطب) و كان من الأنصار فقال للنبي صلى الله عليه و آله : ادع الله أن يرزقنى مالا- فقال: «يا ثعلبه قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه- أما لك فى رسول الله أسوه حسنه- و الذى نفسى بيده لو أردت أن تسير معى الجبال ذهباً و فضه لسارت»، ثم أتاه بعد ذلك فقال:

يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا- و الذى بعثك بالحق لان رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه، فقال صلى الله عليه و آله «اللهم ارزق ثعلبه مالا»، قال فاتخذ غنماً، فتمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها، ثم كثرت نموا حتى تباعدت عن المدينة فاشتغل لذلك عن الجمعه و الجماعه فبعث رسول الله اليه المصدق ليأخذ الصدقه فأبى و بخل، و قال ما هذه إلا أخت الجزيه، فقال رسول الله: «يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه» و انزل الله الآيات.

و عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قول له:

«من ملك استأثر» و هكذا نجد كيف ان كل واحد منا قد يصبح منافقا فى ظروف معينه.

[٧٧] و لكن ما هى عاقبه هذه الفعله؟ يقول القرآن ان عاقبه ذلك تكريس حاله النفاق الى حين الموت، و الجزاء.

فَأَعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ منذ البدء، و يزعمون انهم مؤمنون صادقون، و انهم سوف يقومون بعهد الله خير قيام.

[٧٨] و لكن على الإنسان أن يخلص نيته، و يشهد الله على ما فى قلبه و لا يقول و لا يتعهد إلاّ بالحق الذى يعتقد به.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

ص: ٢٣٢

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اِسْتَعْفِرُوا لَكُمْ أَوْ لَا - تَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)

هدى من الآيات:

لأن المنافقين لا يؤمنون حقاً بالله و القيم، فإنهم لا يمكنهم تصور إيمان الناس و تضحياتهم السخية بدافع الايمان، و لذلك تجدهم يفسرون صدقات المطّوعين بأنها رياء لیسقطوهم من أعين الناس، كما يعييون على الفقراء قله ذات يدهم. و الله يسخر من المنافقين و يعذبهم عذاباً أليماً.

و سواء استغفر الرسول لهم أم لم يستغفر فإن كفرهم بالله و الرسول الناشئ من فسقهم لا يدع مجالاً لغفران الله و رضا المحرومين.

و يزعم المنافقون: ان تقاعسهم عن الجهاد خير لهم و لذلك فرحوا به و كرهوا الجهاد، و نهوا الآخرين عنه. و لكن ما هي عاقبه ذلك.. أو ليس نار جهنم خالدين فيها، و لكنهم لا يفقهون حقائق الأمور!! و بسبب سوء اختيارهم سوف يلفهم العذاب النفسى و الاجتماعى مما يجعلهم

يضحكون قليلا، ولكنهم يكون بعدئذ كثيرا بسبب أعمالهم التي اكتسبوها.

و بعد عوده الرسول الى المدينة و انتهاء محنته الرساليه يحاول بعض المنافقين، التقرب الى رسول الله، و يستأذنون منه ليخرجوا معه الى الجهاد و لكن على الرسول ألا يسمح لهم ثانيه و لا يأخذهم معه الى القتال لأنهم رضوا بالعودة في أيام الشده، فعليهم أن يبقوا مع الفئه الضاله و هم المنافقون مفضوحين أمام الناس و محرومين من العمل السياسى.

بينات من الآيات:

كل يرى الناس بعين طبعه:

[٧٩] كما الأعمى لا- يفقه واقع النور، فكيف يمشى على هداه البصير، و كما الجاهل لا يحيط بواقع العلم فكيف يضىء درب السالكين، و كذلك المنافق لا يصدق بواقع الايمان الذى يعمر قلوب الصادقين فكيف يدفعهم على القيام بالأعمال الكبيره دون أن يريدوا جزاء أو شكورا.

ان المنافقين يفسرون أبدا أعمال الصالحين بمقاييسهم، و يزعمون ان وراء كل عمل صالح مصلحه ماديه عاجله لا يظهرها صاحبه كما هم لا يفعلون الخير إلا رياء و طلبا للأجر العاجل، لذلك تجدهم يعيرون على الذين يعملون و ينفقون تطوعا لله و تصديقا بوعده دون أن يخالطهم رياء أو سمعه.

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ فَيَتَّبِعُونَ هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِالرِّيَاءِ. أما الطائفة الفقيره من المؤمنين فترى هؤلاء المنافقين كيف يسخرون منهم لفقرهم، و قله عطائهم.

و الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ

لأنهم فقراء لا يملكون إلا قوه البدن و عمل اليد فيرتزقون عليها-و إذا فقدوا العمل-فقدوا الرزق كما العمال و الفلاحين فيسخر المنافقون الذين غالبا ما يكونون من الطبقة المترفه منهم.

سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ حين يرون نتائج أعمالهم فتلك سخرية واقعيه، و هذه سخريتهم لفظيه كلاميه لا أثر لها، و علينا ألا- ننهزم أمام سخرية المنافقين، و لا- يفقد المؤمن إحساسه بشخصيته امام سخرية المنافق حتى و لو كان الأخير أغنى منه و أقدر، كما يجب ألا يستقل المؤمن عطاءه في الله ان لم يكن يملك غيره لان الله لا ينظر الى قدر العطاء بل الى قدر المعطى و سلامه نيته. من هنا

سئل الرسول صلى الله عليه و آله عن أفضل الصدقات فقال: «جهد المقل» .(١)

هل يجوز أن نستغفر للمنافق؟

[٨٠] لان المنافقين يلمزون و يسخرون من المؤمنين فان غناهم أو جاههم الظاهر يجب ألا يدعونا الى احترامهم أو طلب الخير لهم، فما داموا كافرين فكريا و فاسقين عمليا فان حدود الايمان تفصلهم عنا، فهم أمه و نحن أمه برغم الاختلاط و القرابه بيننا و بينهم.

و قد يستبد بالمؤمن الحنان البشرى و العطف فيحاول هدايه المنافقين، فيدعوه ذلك الى التقرب منهم بدل منابذتهم العدا، و القرآن ينهى عن ذلك و يقول: حتى لو فعلتم مثل ذلك فان الله قد اتخذ منهم موقفا شديدا بسبب كفرهم و فسقهم.

ص: ٢٣٦

إِسْتِغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ إِنْ اسْتَغْفَرَ هُوَ قَمَهُ الْعُطْفِ الْإِيمَانِي لِشَخْصٍ مَا، وَ لَكِنْ ذَلِكَ مِنْهُ عَنِ الْبِنْسِبَةِ إِلَى الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَبْنِي بَيْنَنَا وَ
بَيْنَهُمْ حِجَابًا ظَاهِرَهُ النُّورُ وَ الْإِيمَانَ وَ وَرَاءَهُ ظُلُمَاتٌ وَ جِهَالُهُ.

التخلف عن سوح الجهاد:

[٨١] حين تتفاحس طائفه من أبناء المجتمع عن الجهاد و التضحيه، و يشيعون حولهم الأفكار السلبيه. يخشى أن يتأثر الآخرون بهم
لو لا إعطاء الناس رؤيه واضحه تجاه هذه الطائفه المصلحيه التي يجسدها المنافقون في المجتمعات المؤمنه التي كانت ترضى
بالقعود برغم ان القائد الرسالي كان يقود المعركه.

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ قَعُدَ هَؤُلَاءِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ الْجِهَادَ، وَ أَنْ تَبْرِيرَهُمْ بِبَعْضِ الْأَقْوَالِ لَمْ يَكُنْ سِوَى غَطَاءٍ لِقَعُودِهِمْ.

وَ قَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ وَ لَكِنَّ السُّؤَالَ: هَلْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَدْرَأَ عَنِ نَفْسِهِ نَارَ جَهَنَّمَ مِنْ دُونِ اقْتِحَامِ سَاحَاتِ الْجِهَادِ؟ قُلْ نَارُ
جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ [٨٢] حَتَّى مِصَاعِبِ الدُّنْيَا لَنْ تَزُولَ مِنْ دُونِ تَحْمِلِ بَعْضِ الصَّعَابِ، فَإِذَا

هاجمك العدو في أيام الحر أو البرد فهل تستطيع أن تقول له انتظر الى أيام الربيع أو الخريف. أم ان ذلك مجرد حلم؟! ان الذين يهربون من المشاكل سوف تتضاعف عليهم المصائب والويلات، و عليهم أن ينتظروا أياما حالكة فيبكون كثيرا بعد أن ضحكوا قليلا.

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا - وَ لْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ان المؤمنين الصادقين يبادرون في أيام رخائهم و قدرتهم بالاعداد و العمل الجاد ليوم الشده، و انهم مستعدون لخوض غمار المعركه في أشد الأيام لذلك فان أعداءهم يرهبون جانبهم و في ظل القوه يستمرون في حياه آمنه كريمه.

الموقف الرسالي من المتخلفين:

[٨٣] و بعض المنافقين يحاولون العوده الى أحضان العالم الاسلامي لا- ليكونوا مواطنين صالحين و صادقين، بل ليستفيدوا من المكاسب بعد أن نصر الله عباده المجاهدين، و ليستغلوا نفوذهم المادي، و يتسلطوا على رقاب المؤمنين و لكن باسم الدين هذه المره كما فعلت بنو اميه في التاريخ الاسلامي، و لكن القرآن يحذر من ذلك و حكمته في ذلك قد تكون: ان أيام الشده امتحنت النفوس المؤمنه فعلا و فرزتهم عن الجماعات الوصليه التي تميل مع القوه أينما مالت، و تحاول أن تستفيد من كل وضع بما يتناسب و شعارات ذلك الوضع، و أساسا فلسفه الجهاد في الإسلام هي إنقاذ الجماهير غير الواعيه من شر هذه الجماعات الطفيليه النفعيه، لذلك يجب أن تكون القيادة الرساليه حذره جدا فلا تسمح لهؤلاء بالعوده الى الساحه السياسيه أبدا.

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ

فالمهم هو المواقف الاولى فى ايام المحنه أما ايام الرضى فهى ليست دليلا على صدق النيه بل نحسب هؤلاء ضمن المنافقين الأوائل.

ص: ٢٣٩

اشاره

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا
مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ (٨٧) لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)

اللغة

٨٦[اولو الطول]: أصحاب المال و القدره و الغنى.

هدى من الآيات:

لكى يكرس الإسلام قيم السماء فى المجتمع، و يحدد موقف الناس من الإفراط حسب مواقفهم من رساله، و لى يحطم الغنى كاساس لتقييم الناس منع الرسول صلى الله عليه و آله من الصلاه على منافق أو تكريمه بالقيام على قبره ما دام الرجل قد كفر بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و مات فاسقا دون النظر الى غناه أو كثره عشيرته، لان الثروه و الأنصار فتن يبتلى الله تعالى بهما البشر فاذا استخدمهما فى الصلاح فهما خير، و الا فهما عذاب فى الدنيا و سبب الكفر و العذاب فى الآخرة.

ان الأغنياء من المنافقين يتمردون على فريضه الجهاد، و يستأذنون الرسول صلى الله عليه و آله بان يمنح لهم اجازة البقاء مع ذوى الاعذار- كالنساء و الصبيان و المرضى- دون ان يفقهوا ان ذلك اهانته بشأنهم، و إخراج لهم من الساحة الاجتماعيه.

اما الرسول صلى الله عليه و آله و المؤمنون من أصحابه فإنهم يجاهدون بأموالهم و أنفسهم،

و يحصلون على الخيرات التي يخسرها القاعدون، كما انهم يفلحون في الدنيا بالنصر و الرفاه و فى الاخره بجنات أعدها الله تعالى لهم تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك هو الفوز العظيم.

و هكذا يكرس هذا الدرس قيمه الايمان و الجهاد و يضرب عرض الجدار القيم الماديه الجاهليه التى تقوم على أساس الغنى و الأنصار.

بينات من الآيات:

سحب الشرعيه عن المنافقين:

[٨٤] صحيح ان الفرد الذى يموت يستقطب العطف و الشفقه، و لكن المنافق حين يموت يجب الا يحترم، لان فى ذلك تكريما لسيرته و لأعماله الفاسده التى ارتكبها، و بالتالى لخطه التحريفى، لذلك نهى القرآن رسوله صلى الله عليه و آله عن إعطاء الشرعيه لخط النفاق التحريفى فى الامه عبر تكريمه للمنافقين بعد موتهم.

وَ لَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَ لَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ أَي لَا تَجْرَى عَلَيْهِ السَّنَه الَّتِي كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَجْرِيهَا عَلَى قُبُورِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْث يَقِفُ عَلَى قَبْرِ أَمْوَاتِهِمْ سَاعَهُ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَ عِنْدَ مَا جَاءَ هَذَا الْأَمْرَ الْحَاسِمَ لَمْ يَصِلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى قَبْرِ مَنَافِقٍ أَبَدًا حَتَّى قَبِضَ. (١)

إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ مَا آتَوْا وَ هُمْ فَاسِقُونَ أَي أَنَّهُمْ مَنَحَرَفُونَ فِكْرِيَا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ عَمَلِيَا حَيْثُ أَنَّهُمْ فَاسِقُونَ لَا يُطَبَّقُونَ أَحْكَامَ الشَّرِيْعِهِ.

ص: ٢٤٢

و الصلاة و الدعاء لمثل هؤلاء قد تعطى شرعيه للكفر و الفسق داخل المجتمع الاسلامى مما يعرض أساس هذا المجتمع لخطر كبير. ان وجود مثل هؤلاء داخل المجتمع قضيه قد تفرضها واقعيات الحياه، و لكن علينا الأ نساوى بينهم و بين المؤمنين الصالحين.

لا شرعيه للعدو و العدو:

[٨٥] قد يستهوى القائد الاسلامى الذى يستهدف جميع القوى داخل مجتمعه، و تعبئه الطاقات من أجل بناء دوله الإسلام بعض المنافقين بما يملكونه من ثروه عريضه و من مؤيدين، و لكن القرآن الحكيم يحذّر من ذلك و يعطينا رؤيه واضحه تجاه المال و الأولاد(العدد و العدو)هى ان كل ما فى الحياه و سيله الإنسان و أداته لتحقيق قيمه و اهدافه فان كانت اهدافه و قيمه صالحه فأن الوسيله سوف تصبح صالحه و نافعه و الأ فهى و بال عليه.

وَ لَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا فَالْمَالُ وَ الْوَلَدُ، و بتعبير آخر: العدو و العدد إذا لم يكونا وسيلتى خير و صلاح فهما عذاب و خبال ليس لصاحبهما فقط بل و أيضا لمن يتقرب اليه بسببهما، فالذى يعجبه مال الأغنياء أو أولاد و أنصار الأقوياء و لا ينظر الى أعمالهم و اهدافهم.

فسوف يجر الى نفسه الويلات لأنه سوف يخضع لهم و سيرضيهم و يتنازل عن قيمه من أجلهم، و إذا كان الحاكم الاسلامى هكذا و أراد مثلا- استرضاء الاثرياء و الأقوياء فعلى حساب من سيكون هذا الاسترضاء. أو ليس على حساب الفقراء و المستضعفين، أو ليس يستدرجه الأغنياء و الأقوياء الى التحيز لهم و اعطائهم امتيازات غير قانونيه؟! و بالتالى يجر المجتمع الى ذات العذاب الذى تورط فيه الأغنياء و الأقوياء غير المؤمنين منهم بسبب المال و الأنصار من غرور و فساد بسبب

وجود الثروه و القوه من دون وجود قيم محددده و موجهه لهما.

ثم ان الثروه و القوه تكونان سببا لاستمرار الكفر حتى الموت، و بالتالى للعذاب.

و تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ

مواقف المجتمع من الجهاد:

١- المنافقون

[٨٦] موقف هؤلاء الأغنياء من الجهاد و تحمل مسئوليتهم كأعضاء فى المجتمع الاسلامى انما هو موقف اللامبالاه و الميوعه، فهم من جهه يريدون ميزات هذا المجتمع، و لكنهم من جهه اخرى يرفضون اى عمل ايجابى من أجل هذا المجتمع.

خصوصا فى أيام الشده.

وَ إِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِهَا لِلَّهِ وَ جَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَ قَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ فَاغْنِيَاءَ الْمُنَافِقِينَ - أصحاب الطول - و هو المال و القوه، يحاولون اصفاء صفه الشرعيه على تقاعسهم عن الجهاد و بذلك يحاولون أخذ الاجازة من الرسول حتى يحسبهم الرسول من ذوى الاعذار، و القاعددين عن الجهاد، و هذا نوع من الامتياز الذى يطالب به أصحاب المال و القوه فى المجتمع، و لكن هل يمنحهم الإسلام ذلك؟ كلا.

[٨٧] قبل كل شىء يرفع الإسلام من قيمه الجهاد و يجعلها فوق قيمه الغنى و القوه، و يذكرنا بان الذين يتقاعسون عن الجهاد لا يفقهون ما الذى يعملون

بأنفسهم، انهم يهبطون بأنفسهم الى مستوى الخوالف من النساء و الضعفاء الذين اسقطوا من حساب المجتمع بسبب ضعفهم و عجزهم، فكيف يريد هؤلاء الانتماء الى طائفة العجزه و الضعفاء؟! رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ قال الزجاج: الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد و يجوز ان يكون جمع خالفه فى الرجال و الخوالف و الخالفه الذى هو غير نجيب. (١)

وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ فَلَا- يَعْرِفُونَ قَدْرَهُمُ الْحَقِيقَى، و أنه مع الجهاد و تحمل المسئوليه يرتفع الفرد داخل المجتمع المسلم.

٢- المؤمنون

[٨٨] و فى الطرف الاخر من الصوره نجد المؤمنين الذين يجاهدون بكل ما يملكون فى سبيل الله، و بذلك يرتفع شأنهم عند الله و عند الرسول صلى الله عليه و آله و الناس فى الدنيا و الاخره.

لَكِنَّ الرِّسُولَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فلهم المكاسب الماديه التى ليست عذابا كما كانت عند المنافقين بل هى فلاح و سعادة، ذلك لأن هذه الخيرات اكتسبت عن طريق عمل الخير، و سوف تصرف فى

ص: ٢٤٥

و بهذه الكلمه تكتمل رؤيه الإسلام التي تحدث عنها القرآن في الآيه السابقه حول المال و الأنصار، و هي انهما ان كانا قد اكتسبا بعمل صالح و وظفا من أجل اهداف صالحه فهما صالحان و يكونان سببا للسعاده و الفلاح، فالإسلام إذا لا يعطى حكما مطلقا و واحدا للثروه و القوه، فلا- يمجدهما مطلقا و لا- يرفضهما مطلقا، كما لا- يصدر حكما كاسحا و واحدا على جميع الأغنياء و الفقراء، بل يربط حكمه على الثروه و القوه و أصحابهما بالأطار الذي وضع فيه. فالحكم ايجابي إذا كانا نظيفين، و الا فهما عند الإسلام و بال و عذاب.

[١٨٩] هكذا يرفع الإسلام قيمه العمل الصالح، الذي يعتبر الجهاد القمه السامقه له داخل المجتمع المسلم و يربط سائر الظواهر به، و يكمل الصوره ببيان عاقبه العمل الصالح في الاخره و يقول:

أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فعلينا ان نبحت عن الفوز العظيم في الجهاد و العمل الصالح لا في المال و الأولاد.

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢)

هدى من الآيات:

كما اعتذر أولوا الطول كذلك بعض الاعراب حاولوا انتحال العذر ليؤذن لهم فلا يخرجوا، بينما قعد آخرون من دون اى انتحال للعذر، والواقع ان الكافرين عمليا بقيادة الرسول صلى الله عليه و آله لهم عذاب اليم، و هنا يبين القرآن الحكيم الاعذار الواقعيه التى ليست كتلك الاعذار التى جاء بها المنافقون و التى منها: الضعف المعجز عن الاشتراك فى المعركة، و المرض المقعد، و الفقر المعجز، و لكن هؤلاء بدورهم ينبغى ان ينصحوا لله و لرسوله صلى الله عليه و آله فلا يخالطوا أعمالهم خيانه أو غشا و كذبا، و إنما سقط الخروج عن هذه الفئات لأنهم محسنون و ما على المحسنين من سبيل.

و هكذا لا يؤخذ أولئك الذين قدموا الى الرسول صلى الله عليه و آله لياخذهم معه الحرب فلم يجد الرسول صلى الله عليه و آله ما يكفيهم لمؤنه الخروج فعادوا و قد فاضت عيونهم من الدمع حزنا على عدم مشاركتهم فى الجهاد، و أنهم لا يملكون نفقه الجهاد. ان هذا مثل واحد للنصح لله و للرسول.

المعذرون من الاعراب:

[٩٠] وفي سياق بيان القرآن لطوائف المنافقين أخذ يعدد الاعراب الذين لما يدخل الايمان في قلوبهم، و الذين يعرفون ظاهرا من الدين، و هؤلاء جاؤوا الى الرسول صلى الله عليه و آله ليأذن لهم بالانصراف عن الحرب بعد ان انتحلوا عذرا، و لم يكن الهدف من بيان عذرهم الا الفرار من الجهاد لذلك عبر القرآن الحكيم عنهم:

وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَيَبْدُو مِنْ مَعْنَى كَلِمَةِ (الْمُعَذِّر) أَنَّهُ الَّذِي يَتَكَلَّفُ عَذْرًا وَيَخْتَلِقُهَا، وَ الْهَدَفُ مِنْ مَجِيئِهِمْ كَانَ الْإِذْنُ لِلانصرافِ لَا الْاسْتِفْهَامَ الْحَقِيقِيَّ عَنْ وَاجِبِهِمُ الدِّينِيَّ، وَ فَسَّرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ هَذِهِ الْآيَةَ بِطَرِيقِهِ الْآخَرِي فَقَالَ: الظاهر ان المراد بالمعذرين هم أهل العذر كالذى لا يجد نفقه ولا سلاحا بدليل قوله: «وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا».. الآية، و السياق يدل على ان فى الكلام قياسا لإحدى الطائفتين الى الاخرى ليظهر به لؤم المنافقين و خستهم و فساد قلوبهم و شقاء نفوسهم حيث ان فريضه الجهاد الدينيه و النصره لله و رسوله هيىج لذلك المعذرين من الاعراب حيث جاؤوا الى النبي صلى الله عليه و آله يستأذنونهم، و لم يؤثر فى هؤلاء الكاذبين شيئا. (١).

وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ هَؤُلَاءِ قَعَدُوا عَنِ الْحَرْبِ دُونَ اسْتِثْنَانٍ وَ ذَلِكَ بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ.

سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

ص: ٢٤٩

ان هؤلاء قد يكونون ممن تتكامل شخصيته و يضحى مسلما حقيقيا بعد ان كان اعرابيا جاهلا و كاذبا يتشرد من الواجبات مع أو بدون انتحال عذر، فحسابه على الله تعالى، و قد يكشف عن جهله و كفره فى المستقبل فيكون له عذاب اليم.

و يبدو لى من ظاهر هذه الآية: ان الاعراب نوع خاص من المنافقين و هم الذين ينافقون بسبب جهلهم و عدم رسوخ الايمان فى قلوبهم لحدائه عهدهم بالإسلام، و لتراكم الرواسب الجاهليه على قلوبهم، و يرجى لهؤلاء الهدايه و لذلك خصّ القرآن العذاب ببعض الاعراب و هم الذين كفروا منهم (دون جميعهم).

من يجوز له التخلف؟

[٩١] و لكن من هو صاحب العذر الحقيقى، الذى يجوز له التخلف عن واجب الجهاد؟ فى الآيتين التاليتين توضيح لذلك:

الف:- ليس على الضعفاء الذين لا- يتحملون جسديا مشاق الجهاد واجب الجهاد. و هؤلاء مثل المعوقين و المبتلين بالضعف العام، و الذين يبلغ ضعف بصرهم أو ضعف سمعهم أو ضعف اعصابهم أو ضعف قلبهم أو ما أشبه يبلغ حدا يمنعهم من الخروج للحرب فيجعلهم افراد غير صالحين للقتال أبدا.

باء:- و كذلك يسقط الجهاد عن المريض بأمراض خطيره أو طويله أو معديه، أو مما يسبب منعا للخروج.

جيم:- و كذلك يسقط الجهاد عن الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم أو على عوائلهم المفروض عليهم اعالتهم.

إذا كان مجمل سلوك الفرد سليماً و حسننا فان اشتراكه المباشر في المعركة أو تخلفه عنها بسبب عذر شرعي لا ينافي إيمانه و تقواه.

مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ إِي لَيْسَ عَلَى مَنْ كَانَ مُحْسِنًا وَأَرَادَ فِعْلَ الْخَيْرِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ بِكُلِّ الْوَاجِبِ سَبِيلَ الْمُؤَاخَذَةِ وَ الْعِقَابِ، وَ الْكَلِمَةُ مُطْلَقَةٌ وَ نَسْتَوْحِي مِنْهَا: إِنْ كَلَّ مِنْ أَرَادَ الْخَيْرَ وَ تَحَرَّكَ نَحْوَهُ فَسَوَاءٌ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ. سَدَّدَ فِي عَمَلِهِ أَوْ لَمْ يَسُدِّدْ. بَلَغَ هَدَفَهُ أَوْ لَمْ يَبْلُغْ فَانَّهُ مَجْزِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَيْسَ عَلَيْهِ عِقَابٌ.

و من هنا

جاء في الحديث عن انس: ان رسول الله صلى الله عليه و آله لما قفل عن غزوه تبوك فأشرف على المدينة قال: «لقد تركتم في المدينة رجالا ما سرتم مسيرا و لا أنفقتم من نفقه و لا قطعتم واديا إلا كانوا معكم» قالوا: يا رسول الله و كيف يكونون معنا و هم في المدينة؟ قال: «حبسهم العذر» (١).

و انما أكد القرآن على هذه الحقيقة: «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» لأنه من الممكن ان يتكبر المقاتلون على العاجزين و المرضى فيؤذونهم بالسنتهم، أو يحاولون منع بعض حقوقهم بحجة انهم لم يساهموا في المعركة، فأكد القرآن على ان هؤلاء محسنون لأنهم أرادوا المشاركة فلم يقدرُوا، و لذلك لا سبيل عليهم، و لا تفوق أو استعلاء.

و قد يستبد بالمؤمنين ذوى الاعذار و سواس الشيطان فيوقعون أنفسهم في الحرج

ص: ٢٥٢

الشديد لأنهم يخافون مثلاً الا يكون الحرج قد بلغ حدا يمنعهم من الخروج واقعا، و في هذه الحالة لا سبيل على المحسنين ذوى النيات الصالحه، و السلوك الاجمالى الصالح، و أضاف سبحانه قائلا:

□
وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فحتى و لو كان هناك بعض التقصير فان غفران الله تعالى يجبره و يعوض المؤمن عن تقصيره.

[٩٢] كذلك لا حرج على من يريد الخروج و يسجل اسمه فى قائمه المتطوعين للحرب و لكن الدوله الاسلاميه لا تجد وسائل الحرب له. من سلاح أو ذخيره أو حتى وسائل المواصلات.

□
وَ لَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ
انك تجد فى هؤلاء مثلاً رائعا لذوى الاعذار الناصحين لله تعالى و لرسوله و المحسنين الذين تحدثت عنهم الآيه السابقه. انهم ممتلئون اندفاعا نحو المعركه الى درجه انهم يتفجرون بكاء حين لا يقدرين على المشاركه فيها.

و قد جاء فى التفسير (نزلت هذه السوره فى البكائين و هم سبعة جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا يا رسول الله احملنا فانه ليس لنا ما نخرج عليه فقال: «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» (١).

و ربما تدل هذه الآيات على ان المفروض على المسلم ان يكون مستعدا للجهاد

ص: ٢٥٣

بكل وسيله ممكنه.فأن عجز فلا أقل باستعداده النفسى،

و قد جاء فى حديث مروى عن النبى صلى الله عليه و آله :

«من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهليه».

ص: ٢٥٤

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءٌ رَضُوا بَأْنَ يُكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣)
يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
رَجِسٌ وَمِأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ (٩٦)

بين ذل القعود و ذله الاعتذار

هدى من الآيات:

بعد ان بين السياق ذوى الاعذار المشروعه عاد ليؤكد على العلاقه مع الأغنياء المتخلفين عن الجهاد الذين يستأذنون الرسول صلى الله عليه و آله بالرغم من غناهم و قدرتهم على الخروج و ذلك بسبب جهلهم باهميه الجهاد.

و يحاول هؤلاء تبرير مواقفهم امام المسلمين العائدين من المعركه، و ينهى الله من قبول اى عذر منهم لان مستقبلهم سوف لا يكون أفضل من ماضيهم، و لذلك فان الله سبحانه سيرى أعمالهم، ثم يردون الى عالم الغيب و الشهاده و يجازيهم على أعمالهم لا أقوالهم و تبريراتهم.

و هم يتشبهون بالحلف الكاذب لتغطيه جبنهم و خيانتهم، و لكى يتركهم المسلمون فلا يوبخونهم على تقاعسهم، و القرآن يأمر بتركهم. و لكن ليس بدافع الرضا عنهم، بل انطلاقا من واقع رجسهم و صغر شأنهم، و ان مأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

و حتى لو استطاع هؤلاء جلب رضا المسلمين عن طريق الحلف الكاذب، فان الله تعالى لن يرضى عنهم، لأنهم قوم فاسقون، أعمالهم سيئه، و قلوبهم فاسده.

بينات من الآيات:

على من يقع الحرج؟

[٩٣] لتكريس قيم الرساله التى تدور حول محور الايمان و العمل الصالح، و ضرب قيم الجاهليه التى تقدر الثروه و الاثرياء ففى القرآن الحكيم- فى آيات سابقه- عفى الله عن الضعفاء و عن ابن السبيل، و المؤاخذه انما هى على الأغنياء غير المساهمين فى الجهاد.

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِيَاءُ وَ لَكِنهم يَتَهَرَّبُونَ مِنَ الْقِيَامِ بِمَسْئُولِيهِ الدِّفَاعِ عَنِ الرَّسَالَةِ.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ أَي النِّسَاءِ وَ الصَّبِيَّانِ وَ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْخُرُوجِ.

وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَاخْتَارُوا لَجَهْلِهِمُ النَّاشِئَ بِدَوْرِهِ عَنِ فَسْقِهِمُ الْبَقَاءَ مَعَ الْعِجْزِ، وَ يَبْدُو لِي: أَنَّ الْبَقَاءَ مَعَ الْعِجْزِ أَسْقَطَ قِيَمَتَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ بَلْ وَ الْغِيَّ بَعْضَ حَقُوقِهِمُ الْمَدْنِيَّةِ.

النقمة الجماهيرية:

[٩٤] لأنهم تخلفوا عن القتال و سقطوا عن أعين الناس تعرضوا لهجمات الجماهير المستضعفه، لذلك أخذوا يعتذرون الى الناس حتى يعيدوا ماء و وجههم

ص: ٢٥٧

الصفيق و لكن هيهات.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ فَمَا ضِيكُمُ الَّذِي عَرَفْنَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مَبَاشِرِهِ، أَوْ بِصُورِهِ بِصَائِرٍ وَ رَأَى زُودَنَا الْوَحْيَ بِهَا، فَاسْتَطَعْنَا عَنْ طَرِيقِهَا - كَشَفَ الْمُنَافِقِينَ وَ طَبِيعَهُ تَحْرِكَاتِهِمْ - كُلَّ ذَلِكَ الْمَاضِي دَلِيلَ كَذِبِكُمْ وَ دَجَلِكُمْ، كَمَا أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ هُوَ الْآخِرُ دَلِيلٌ. كَذِبِكُمْ فِي الْاِعْتِذَارِ فَمَنْ يَتُوبُ بِصَدَقِ الْإِلَهِ يَصْلِحُ أَعْمَالَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَمَا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ تَائِبِينَ حَقًّا.

وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولَهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيَعْلَمُ الْمَاضِي وَ الْمُسْتَقْبَلَ وَ يَعْلَمُ خَفِيَّاتِ الْقُلُوبِ، وَ خَلِجَاتِ الصُّدُورِ، وَ بِالتَّالِيِ يَعْلَمُ مَا وَرَاءَ كُلِّ عَمَلٍ مِنْ نِيَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ كَمَا يَعْلَمُ بِالأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَ هَكَذَا لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ تَبْرِيرِ أَعْمَالِكُمُ الْفَاسِدَةِ وَ الْاِعْتِذَارِ مِنْهَا بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْفَارِغَةِ..

فَيَسْئَلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

الرؤية الرسالية

و هذه الآيه تدل على ان المؤمنين الصادقين يتسلحون برؤيه رساليه تمكنهم من كشف طبيعه المنافقين، و من مظاهر هذه الرؤيه النظر الى الفرد من خلال تاريخه الماضى، و اعمال المستقبلية، دون الاكتفاء فقط بأقواله و تبريراته.

و بما ان المنافق مجتث الجذور، متلون حسب المتغيرات، و انه لا يريد الاستمرار فى خطه مستقبلا لذلك فهو يتستر تحت ستار كثيف من الكلمات الفارغه و الأقوال

الكاذبه، المؤكده بالآيمان ليعوض عن عمله بقوله، و عن تصرفاته المتغيره بتبريراته الواحده المؤكده، لذلك فان كثيرا من البسطاء ينخدعون بأقواله و تبريراته. انما المؤمن الصادق ينظر الى عمل المنافق لا- الى قوله، فيتخلص من خطر عظيم هو الانخداع بالمنافق، ذلك الخطر الذى وقعت فيه- و مع الأسف- شعوبنا اليوم بالنسبه الى الطغاه، و الى جيش المنافقين من خدمهم و حشمهم الذين يبررون أبدا تصرفاتهم بشعارات عامه و أنيقه فاذا مال الطاغيه الى الشرق ترى الصحفى المأجور يحمد باسم الشرق حتى يجعله كعبه الطموح، و إذا اتجه الطاغيه غربا تراه يقدر الغرب و يكيل التهم كيلا- ضد الشرق كما فعل قديما خادم حاكم نيسابور حيث ينقل المؤرخون انه طلب من خادمه ان يطبخ له ال(باذنجان) فأخذ الخادم يعدد لسيدته فوائد ال(باذنجان) و لكن ما لبث الحاكم ان غير رأيه، فأخذ الخادم يبين مضاره و كأنه سم زعاف، فنهزه الحاكم و قال: كيف تقول هذا، و قد عددت قبل لخطات فوائد الباذنجان حتى ظننت انه دواء لكل داء. فقال الخادم: فداك أمى و أبى إنك تعلم باننى خادم لحاكم نيسابور و لست خادما للباذنجان.

و لو تسلحت شعوبنا برؤيه الإسلام و أخذت تقيم الأشخاص و الحكومات بأعمالهم و تاريخ حياتهم و انتظرت حتى ترى انجازاتهم الحقيقيه إذا لرفضت ان تدفع قرشا واحدا لشراء الصحف المنافقه التى تطبل لكل طاغيه و تخدع الناس بترديد شعارات فارغه لا أول لها و لا آخر.

[٩٥] و هكذا تجد المنافقين يتقنون صناعه الكلام لأنهم لا يحسنون عملا، و كلامهم أبدا مؤكد بالآيمان لأنهم لا يريدون تأكيد كلامهم بالأعمال الواقعيه.

□
سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ

انهم يريدون السكوت عن جرائمهم، بتصغيرها و تقليل خطورتها في أعين الجماهير، و لكن على المؤمنين ان يعرضوا عنهم و يسكتوا عن جرائمهم لأنها لا تصلح بالكلام، و لأنهم قد سقطوا كلياً عن أعين الناس و انفصلوا عن الجماهير و أصبحوا رجسا قدرا نجسا.

وَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [٩٦] و أكد القرآن على ان هدف المنافقين من أيماهم هو استرضاء الناس، و على الناس الا- يكونوا طبيين مع المنافقين الخبثاء فلا يرضوا عنهم. لأنهم لو رضوا عنهم فان الله لا يرضى عنهم بسبب أعمالهم الإجرامية، و استمرارهم على نهجهم السابق.

يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ نعم إذا غيروا واقعهم و تابوا عن فسقهم فان الله تواب رحيم.

و كلمه اخيره: المؤمن يرضى برضا الله تعالى و يسخط لسخطه. و إذا كان ربنا غير راض عن المنافقين فهل يسمح لنا بالرضا عنهم؟

ص: ٢٦٠

اشاره

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) ۚ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا
يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) ۚ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا
يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)

هدى من الآيات:

لكى يعطى القرآن بصيره واضحه تجاه سكان الباديه، و يربط تقييم الناس لهم بمدى التزامهم بالقيم، بين السياق ان الحاله الأوليه لسكان الباديه تقتضى الكفر و النفاق لأنهم بعيدون عن العلم، و لذلك فهم أشد كفرا و نفاقا من غيرهم و ابعد عن فهم حقائق الدين، و الالتزام بشرائعه.

و ان هناك فريق من الاعراب يزعمون ان إنفاقهم فى سبيل الله نوع من الخساره التى تلحقهم و بذلك يثبتون جهلهم و بخلهم، و هم ينتظرون نزول البلاء عليكم مما يدل على نفسيتهم اللئيمه و المتخلفه بيد ان عليهم دائره السوء بسبب لؤمهم و تخلفهم، و الله سميع بما يقولون. عليم بما يضمرون.

بيد ان هناك فريقا من الاعراب يؤمنون بالله و رسوله، و يتجاوزون حاجز البخل و الجهل، فيدفعون أموالهم قربه الى الله، و لكى يحصلوا على دعاء الرسول لهم بالخير، و الله يوفر ذلك لهم، و أنه سيدخلهم فى رحمته الواسعه و الله غفور رحيم.

[٩٧] كانت النظرة الجاهليه المتخلفه تمجد سكان الباديه و ركوب أهوالها و تحمّل قساوتها و قال أحدهم:

فمن تكن الحضاره أعجبتة فأى رجال باديه ترانا.

و جاء الإسلام و أكد على اهميه المدن و التحضر، و جاءت الآيه الكريمه تحدد الموقف من سكان الباديه، الذين يسمون بالاعراب (جمع اعرابي و هو ساكن الباديه) و بين فيهم صفتين: الشده فى الكفر و النفاق، و ربما لان طبيعه الباديه شديده، أو انهم جاهلون و الجهل يورث الشده.

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ فهُمْ بِطَبِيعِهِ وَ جُودِهِمْ فِي الصَّحْرَاءِ بَعِيدُونَ عَنِ مَرَكَزِ الْعِلْمِ، فهُمْ أَوْلَىٰ بِالْجَهْلِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَسْمِيهَا الْقُرْآنُ بِالْحُدُودِ فِي أَكْثَرِ مَنَاسِبِهِ.

وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِهِمْ حَكِيمٌ فِيمَا يَطْلُقُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ نَعْوَتِ.

[٩٨] و من مظاهر كفرهم و نفاقهم. انهم يزعمون أنّ الإنفاق فى سبيل الله خساره مما يعكس بخلهم و جهلهم معا.

وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَ مِنْ مَظَاهِرِ جَهْلِهِمْ وَ خَشِيَّتِهِمْ أَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ نَزُولَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهَذِهِ

دلاله على انهم خيباء كما يدل على تخلفهم الحضارى، فبدل ان يقوموا بعمل ضد من يحسونه عدوا تراهم يجلسون و ينتظرون.

وَ يَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدُّوَانِرَ وَ الدائره هى النائبه، التى تحيط بجوانب الشخص، و تحاصره فلا- يجد منها مخرجا، و لكن أليس هذا الانتظار المتخلف و اللئيم بذاته دائره أحاطت بهم أنفسهم؟! عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [٩٩] و لكن هذه الطبيعه الاوليه للأعراب التى يقتضيها جهلهم بالشريعه و شدتهم باستطاعه الإنسان ان يغيرها و يخرج من مقتضيات ظروفه عن طريق التوعيه و التوجيه.

لذلك نجد طائفه من الاعراب تؤمن بالله و اليوم الاخر ايمانا حقيقيا و لذلك فهى تنفق طوعا و ايمانا منها بان الإنفاق توبه الى الله و الى دعاء الرسول لها بالبركه.

وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَ صَالُوا الرَّسُولَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُرْبَةً لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إذا بالرغم من نظره الإسلام السلبيه الى البقاء فى البادية فانه لا يحكم على أهلها جميعا حكما مطلقا بل حسب ايمانهم و عملهم.

اشاره

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى
النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّةً ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)

اللغة

١٠١ [مردوا]:المرد أصله الملامسه و منه صرح ممرد ای مملس و الأمرد الذى لا- شعر على وجهه و قيل أصله الظهور فيكون
المعنى عتوا و خرجوا من الطاعة.

هدى من الآيات:

فى مقابل المثل السىء للمنافقين، يبين ربنا سبحانه واقع المؤمنين الصادقين السابقين الى رساله كمثل أعلى للإنسان الكامل، فالسابقون اولاً الى الايمان سواء من أهل مكة أو من أهل المدينة، ومن ورائهم الذين اتبعوهم و تابعوا مسيرتهم رضى الله عنهم و عفى عن ما تقدم من ذنبهم، و اطمأنت نفوسهم الى رساله الله و مناهجه و قضائه و قدره و قد أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، و ذلك اسمى تطلع يمكن ان يبلغه البشر-رضاً ربه و جنات خلد-.

بينما هناك أعراب منافقون، و آخرون من أهل المدينة متوغلون فى النفاق لا- يعلمهم الرسول، و لا- نعلمهم نحن و لكن الله يعرفهم، و فى الواقع إن معرفتنا أو عدم معرفتنا لا تؤثر شيئاً فى جزاء هؤلاء، بل ان ربنا سبحانه سوف يعذبهم مرتين-مره قبل ان يكشفوا و مره بعدئذ-اما بعد الموت فان لهم عذاباً عظيماً.

و هناك فئه ثالثه متوسطه و هم ضعفاء الايمان الذين يخلطون بين الأعمال الصالحه

و السيئه، و لكن ليس بدافع الكفر أو النفاق بل بسبب ضعف ايمانهم، و رجاء رحمه الله. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

بينات من الآيات:

طبقات المؤمنين

[١٠٠]السبق بذاته قد لا- يكون قيمه أساسيه فى مقابل قيمه التقوى، و لكنه يكشف عاده عن التقوى تلك القيمه الأسمى عند الرسالات السماويه، و السابقون الأولون هم أفضل من غيرهم لأنهم بادروا الى قبول الرساله بإرادته صلبه تتحدى الصعاب، و لا تستسلم لضغوط الطغاه و لا للاعلام الفاسد المضلل.

و السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ رَغْمَ بَعْضِ النُّعْرَاتِ الْإِقْلِيمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحَاوُلُ زَرْعَ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْأَنْصَارِ. ليس على أساس السبق الى الهدى، بل على أساس الميزات المزعومه فى المجتمع المكي أو المدنى، و لكن الإسلام رفض بقوه هذه النظرة الجاهليه و ربط بين الفرد و عمله لا بين الفرد و إقليمه.

وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يِإِحْسَانٍ فَلَمْ يَتَّبِعُوهُمْ بِنِفَاقٍ أَوْ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةٍ خَاصَةٍ بَلْ لَئِنْ سَبَّحْتَهُمْ لَئِنْ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي صَفِّ السَّابِقِينَ الْأَوْلِينَ.

و ربما تدل كلمه الإحسان على حاله نفسه هي حاله العطاء و الإنفاق لا حاله الاستسلام و القبول المطلق.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

الصف المقابل للمؤمنين:

[١٠١] لكي نعرف مدى تحلق السابقين في سماء الإنسانيه و الخروج عن جاذبيه الشهوات و الضغوط لا بد ان نلقى نظره الى الطرف الاخر من الصورة لنرى المنافقين كيف هبطوا الى حضيض الميوعة.

وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ فَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَمُكِنُ التَّغَاضَى عَنْ ذُنُوبِهِمْ.

لا- تَعَلَّمُهُمْ نَحْنُ نَعَلَّمُهُمْ سَبَعْدَهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ فَعَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَىٰ كَافٍ لِعَذَابِهِمْ، فَاذَا اخْتَفَى الْمُنَافِقُ عَنْ انْظَارِ النَّاسِ وَ عَنْ نَظَرِ الْقِيَادَةِ فَلَا يَغْنِيهِ ذَلِكَ شَيْئًا لِأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ قَدْ أَحْصَىٰ أَعْمَالَهُ وَ هُوَ الَّذِي سَوْفَ يَجَازِيهِمْ فَيُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ. مَرَّةً قَبْلَ انْكَشَافِهِمْ وَ ذَلِكَ بِالْعَذَابِ الرُّوحِيِّ، وَ مَرَّةً بَعْدَهُ بِالْعَذَابِ المَادِيِّ، وَ كَذَلِكَ سَوْفَ يُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ المَوْتِ عَذَابًا عَظِيمًا.

ضعاف الايمان

[١٠٢] و هناك فئه و سيطه يعترفون بذنوبهم و بذلك فهم أقرب درجه الى الايمان حيث ان له مرحلتين: فهم الحقيقه و تطبيقها، و إذا عرف البشر الحقيقه فربما لا يعمل بها اليوم و لكنه يعمل بها حين يمتلك قوه و اراده كافيه و هؤلاء.

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اللَّهُ يَعَامِلُهُمْ مِثْلَمَا هُمْ يَعَامِلُونَ الْقِيمِ، وَ لَكِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

اشاره

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَيَكُنْ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَيَرْجُوْنَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)

اللغه

١٠٦ [مرجؤون]: مؤخرون موقوفون لما يروا من أمر الله.

[موعده]: من الوعد.

ص: ٢٦٩

هدى من الآيات:

بعد ان بين لنا الدرس السابق ان فريقا من الناس خلطوا عملا- صالحا و آخر سيئا جاء هذا الدرس ليبين لنا ما يصلح هذا الفريق،فبدأ الحديث ببيان أخذ الصدقات منهم لتطهير أموالهم و لتزكيه نفوسهم،و أمر القرآن الرسول صلى الله عليه و آله بالصلاه عليهم لأنه تسكين لقلق نفوسهم المتورطه فى الذنوب،و الله سميع لما يصدر منهم من أصوات ظاهره و عليم كذلك بخفياهم.

و بما ان الله يقبل التوبه عن عباده فلا بد ألا ييأس هؤلاء من روح الله،و ليبادروا بإنفاق الصدقات لأنه يأخذها بفضله،و انه هو التواب الرحيم.

و لا- يعنى التوبه و إعطاء الصدقات الاستغناء عن العمل. كلا..بل عليهم بالعمل الدائب الذى سيتجسد و يراه الله و رسوله و المؤمنون،و سوف يجازيهم الله العالم بالظاهر و الباطن و الغيب و الشهاده.

وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ و الدعاء لهؤلاء بالخير و البركه يعنى أيضا السعى وراء خيرهم و رفاهم فى مقابل عطائهم كأى دعاء اخرى حيث انه ليس منفصلا عن العمل من أجل ما يدعو له الفرد.

و الدعاء بالصلاه لهؤلاء يسبب سكون نفوسهم و اطمئنانها الى الله، و الى المجتمع المسلم الذى تمثله القياده الرساليه ذات الاهتمام بكل الناس.

□
وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع الدعاء، و يعلم باهداف المصلى الذى يتهل اليه سبحانه بالدعاء و لإخوانه.

قبول الله للصدقات:

[١٠٤] علم الله تعالى بأحوال عباده يجعلنا نؤمن بأنه يقبل التوبه الصادره عن عباده، و انه يأخذ الصدقات بالرغم من ان المبتهل الى الله هو الرسول أو المؤمنون، فان الله هو الذى يقبل التوبه لا الرسول فقط، و بالرغم من ان الرسول يأخذ الصدقه فى الظاهر و لكن الله هو الذى يأخذها فى الواقع.

□
□
□
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ □ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ □ [١٠٥] لكى يطهر هذا الفريق الذى خلط عملا- صالحا و آخر سيئا ليطهروا أنفسهم و يزكوها و يعطوها المزيد من الصلابه الايمانيه فانّ عليهم ان يعملوا فالعمل يخلف أثرين فى النفس برسوخ الايمان فيها، و فى الواقع الخارجى بمكاسب يراها الله

و يراها الرسول و المؤمنون.

وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ و لذلك لا قلق أبدا على الإنسان العامل ان يضع عمله فى زحمه الاحداث، و لا خوف من عدم حصوله على نتائج عمله. عاجلا أم آجلا هنا و عند الاخره.

وَ سَتُرَدُّونَ اِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فالله سبحانه الذى يعلم الظاهر و الباطن لا يكتفى بإعطاء الجزاء الوافى للعامل، بل و أيضا يبين للعامل ان هذا الجزاء انما هو لذلك العمل ليكون ألد و أطيب و أدعى الى الاعتزاز و الفخر.

كل هذا علاج شاف للنفوس الضعيفه التى لا تمحض الايمان، و لا تخلص العمل الصالح بل تخلطه بالعمل السيء.

و كلمه اخيره: ان أكثر المسلمين هم من هذا الفريق. الذى لم تتكامل شخصيتهم الايمانيه فعليهم ان يستفيدوا من هذا العلاج لتعميق روح التقوى فى نفوسهم.

المرجون لأمر الله:

[١٠٦] هناك فريق آخر لا يصلحون أنفسهم و لا يستفيدون من هذا العلاج القرآنى لضعف نفوسهم و خور عزائمهم لذلك يبقى هؤلاء مرددين بين النار و الجنة.

وَ آخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللّٰهِ اِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ اِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ربما حسب ظروفهم الاجتماعيه فقد يكون الذنب بسبب ظروف صعبه لا

يحتملها ايمان الفرد و إرادته، فرحمه الله تعالى واسعه، وقد يكون الذنب بسبب تحدى سلطان الله أو اللامبالاه بأوامر الله، أو الاسترسال التام مع الشهوات فالله شديد العقاب.

□
وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ مِنْ هُنَا فَعَلَى الْبَشَرِ الْإِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَ لَا يَسْتَرْسِلُ مَعَ الذُّنُوبِ حَتَّى وَ لَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ كَثِيرَةً وَ كَبِيرَةً بَلْ يَقِفُ فِيهَا عَلَى حُدُودٍ مَعِينَةٍ تَبْعًا لظُرُوفِهِ الضَّاعِطَةِ عَلَيْهِ بِاتِّجَاهِ الذُّنُوبِ وَ يَحَاوِلُ أَبْدًا أَنْ يَدْعَ عِلَاقَاتِهِ بِاللَّهِ بَاقِيَهُ غَيْرَ مَقْطُوعِهِ.

كما أن عليه الأ يعتمد كلياً على رحمته الله، فربما يكتشف عند الموت أن نقمه الله تستقبله بدل رحمته بسبب ذنوبه الكبيره.

علم الله بلطائف نيات البشر، و دقائق أعمالهم، و حكمته البالغه التي لا يسقط شيئاً من حسابهِ و تقديره كل ذلك يجعلنا حذرين أبداً حاسبين حساب كل شيء، عاملين حسب المستطاع من أجل الخلاص من عذاب الله، و الوصول الى رحمته الواسعه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسِيحًا وَرَأَوْا كُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَكَانُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسِيحٌ جَدُّ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ بُنُوا أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُيَانُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)

هدى من الآيات:

فى معرض بيانه للفئات الاجتماعيه المختلفه فى هذه السلسله من الدروس يبين السياق حاله فئه مناقفه تستر بالدين، و تتخذ مسجدا للاضرار بالمسلمين و إفساد عقائدهم و بث التفرقه بين صفوفهم و تعبئه للقوى المعاديه للرساله. كل ذلك تحت شعارات براقه و بادعاء انهم انما يريدون الخير و الحسنى للناس بينما يشهد الله انهم كاذبون.

و ينهى الله و رسوله من القيام فى هذا المسجد، لان المسجد يجب ان يكون بناؤه على أساس التقوى و ليس الإضرار و الكفر و التفرقه و بتعبير آخر على أساس النفع و الايمان و الوحده و بدل تجميع القوى المعاديه، يجب ان يجمع المسجد رجالا يحبون التطهر و الصلاح، و الله يحب المتطهرين.

ان المسجد يجب أن يبنى على أساس التقوى و رضوان الله و اتباع مناهجه، و الا فهو من دون أساس ثابت بل مبنى على طرف هاويه، و بالطبع سوف ينهار هذا

البناء، و تكون عاقبه أهله نار جهنم، لان أساسه منحرف، و الله لا يهدى القوم الظالمين الذين انحرفوا فظلموا أنفسهم بالكفر و الفساد.

و هذا البناء التحريفي لا أساس له حتى فى نفوس بناته، لأنهم يشكون فى سلامه خطتهم و يرتابون حتى تقطع قلوبهم و تشتت إرادتهم و الله عليهم بما يفعلون، و حكيم حينما يجازيهم على أفعالهم.

بينات من الآيات:

مسجد ضرار:

[١٠٧] مره اخرى يكشف لنا القرآن عن خطه شيطانيه ماكره هي تسترئه من المنافقين بشعار الدين، و بناء المساجد للفساد، و يبين أن علينا أن نكون حذرين فلا-تخدعنا المظاهر بل ان نتمتعق أبدا الى ما ورائها من أهداف، و كل عمل يقوم به شخص أو فئه يجب أن نجعله فى سياقه التاريخى و نقيسه على أساس الغايات المتوخاه من ورائه.

فهؤلاء فئه من المنافقين اتخذوا مسجدا بهدف الإضرار بينما أساس المسجد هو النفع..المسجد لله تعالى و قد اتخذ هؤلاء مسجدا للكفر بالله.لتكريس قيم الشيطان،مثلا-لتفريق الناس على أساس عنصرى أو قومى أو إقليمى أو عشائرى ليقولوا:هذا من أهل المدينه و هذا من أهل مكه،و نحن نقبل الخزرج دون الأوس.

و هدف بناء المسجد تعبئه الطاقات الخيره فى المجتمع بينما هدف هؤلاء من بناء المسجد تجميع شذاذ الأرض، و إرصادهم و دفعهم نحو مقاومه الرساله.

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا

اي للإضرار بالناس لا النفع، وربما أضحى المسجد ضرارا لأنه بنى بأموال المستكبرين، مثل كبار الرأسماليين و رؤساء القبائل العنصريين و لذلك لم يكن من الممكن أن يهدف المسجد سوى الضرار و استغلال المستضعفين، و التسلط على رقاب الناس باسم الدين هذه المره.

[وَكُفْرًا] و محتوى ذلك المسجد من الناحه الإيدلوجيه و الثقافيه كان الكفر بالله و بالقيم الرساليه، بالرغم من اقامه الصلاه فيه. لان الصلاه كانت ضد الصلاه الحقيقيه، و تلك الشعائر التي تهدف اعاده حكمه المستكبرين ليست سوى الكفر و الضلال.

وَ تَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ المسجد يميز بين الفقراء و المستضعفين و المهاجرين من أهل مكه، و بين الأغنياء و رؤساء القبائل و كبار المنافقين من أهل المدينه، بينما المسجد الرسالي يجمع الكل على صعيد المساواه.

وَ إِزْهَادًا لِلْإِمْنِ [□] حَارَبَ [□] اللَّهُ وَ رَسُولَهُ [□] مَنِ قَبِلْ [□] فِينَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المسجد منطلقا لتجميع الطاقات المؤمنه الصادقه مع المجتمع، ترى هذا المسجد يجمع كل منافق، و يعبؤهم لمحاربه الله و رسوله.

كل ذلك و أصحاب هذا المسجد يدعون بأنهم لا يهدفون شرًا، بل هدفهم مقدس و هو تحقيق أفضل حياه للإنسان، و حمايه حقوق البشر، و صيانه الاستقلال و الحريه.

وَ لِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى [□] وَ اللَّهُ يَشْهَدُ [□] إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [□]

[١٠٨] وينهى الله رسوله و بحزم بالغ ألا يقوم في هذا المسجد أبدا.

□ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا فحتى لو كان البناء باسم المسجد فانه لا يكتسب شرعيه، لأنه مبني بهدف الفساد و الكفر، و قيام الرسول أو القيادة الرساليه في مثل هذه المساجد التي بنيت لتكريس سلطه الطغاه أو لتحقيق قيم الجاهليه يعطى شرعيه زائفه لها.

لَمَسِيْدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى □ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ وَ التَّقْوَى هنا تفسير بما سبق و هو: أن يكون هدف بناء المسجد النفع لجميع الناس من الناحيه الاقتصاديه و الاجتماعيه، و اشاعه قيم الرساله من الناحيه التربويه و بث روح التحابب و التعاون من الناحيه الخلقيه و السياسيه.

اما من يجتمع في هذا المسجد و يقود مسيرته، فهم أناس نظيفون هدفهم أولا تزكيه ذواتهم، ثم تربيه الناس.

□ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ فليس هدفهم استغلال الفقراء، و لا- التسلط عليهم باسم الدين، و لا التعالى عليهم باسم العلم و الفضيله، بل هم بدورهم يبحثون عن الطهاره، و يهدفون تكميل شخصياتهم، و بذلك يضربون مثلا حيا لمن يقوم في المسجد من الناس.

[١٠٩] ان أساس هذا المسجد مختلف عن مسجد الضرار الذي لا- أساس له. ان بناء هذا المسجد الرسالي قائم على أساس التقوى، و البحث عن رضا الله تعالى، و بالتالى تنفيذ مناهج الرساله و تحقيق أهدافها بينما قام ذلك المسجد على أساس

متزلزل، انه قام من أجل الأهواء و المصالح التي لا تثبت على حال. بل تتبع رياح القوه و الثروه، فاذا هبت الرياح جنوبا أو شرقا تراهم من أفضل خدم الشرق و إذا هبت شمالا أو غربا تراهم من أفضل تلامذه الغرب و إذا حكم آل كذا! فعلى أهل المسجد التسييح بحمد آل كذا! و إذا حكم أعداؤهم فعليهم لعن آل كذا! أ فَمَنْ أَسَّسَ بُيَاتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيَاتَهُ عَلَىٰ شِقَاٍ جُزْفٍ هَارٍ اى الطرف القريب من المنحدر.

فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ان على المسجد ان يكون له ثقل فى الواقع الاجتماعى و السياسى يهتدى الناس به كما يهتدون بالنجوم الثابته. و يطمئنون اليه و يسكنون فى ظله كما يطمئن شتات المستضعفين الى الامام الهادى، و كما يسكن الخائفون الى ركن شديد، المسجد يعبئ الطاقات المؤمنه بعد أن كانت متفرقه و يعطيها قوه التجمع بعد ان كانت مستضعفه لذلك يجب ان يكون المسجد مستقلا عن متغيرات السياسه، و يجب أن يكون أئمه المساجد مستقلين عن السلطات، أما إذا كانوا أقمارا فى فلك السياسه المتغيره فان الله لا يهديهم طريقا لأنهم ظالمون لأنفسهم و لدورهم الرسالى.

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

الشك و الاهداف القصيره:

[١١٠] و هذا المسجد القائم على أساس الظلم يبقى من دون أساس حتى بناه المسجد لا يعتمدون عليه و لا يزالون يشكون فيه.

لَا يَزَالُ بُنَاؤُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبِّيَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فَعَلَا بِالْمَسْجِدِ وَ بِدَوْرِهِ الرَّائِدِ فِي
الْمَجْتَمَعِ، فَهَمَّ أَنْ يَبْنُوهُ لَغَرَضٍ فَإِذَا بَلَّغُوا هَدَفَهُمْ تَرَكُوا الْمَسْجِدَ وَ كَانُوا كَمَنْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ:

صَلَى الْمَصْلَى لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْرُ لَا صَلَى وَ لَا صَامَا

ص: ٢٨١

اشاره

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَهُ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِاللَّهِ الَّذِي يَبْتَاعُكُمْ بِهٖ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)

هدى من الآيات:

فى سياق استعراض فئات الناس حسب مواقفهم من الرساله، يذكرنا القرآن بالمثل الأعلى للمؤمنين، وهم الفئه التى اشترى الله منهم كل ما لديهم فى الدنيا فى مقابل الجنه فى الآخرة، لذلك تراهم يقاتلون فى سبيل الله و لا فرق عندهم بين أن يقتلوا أو يقتلوا، ولقد قطع الله معهم وعدا حقا ذكره فى التوراه و الإنجيل و القرآن، و هل هناك من يفى بوعدده بالطريقه التى يفى بها ربنا العزيز الحكيم؟! تلك إذا صفقه رابحه يستبشر بها المؤمنون و هى فوز عظيم.

و من صفات هذه الفئه التوبه (إصلاح الذات) و العباده (التبتل الى الله فى الدعاء و الصلاه) و الحمد (الرضا بما يقسم الله، و الاطمئنان الى رحمته الواسعه) و السياحه (السير فى الأرض اعتبارا أو جهادا) و الركوع و السجود، و التسليم لله و الخضوع له، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و صيانه حدود الله.

كل هذه الأعمال الكبيره تجعلهم أعلى مثل للإنسان المسلم، و لذلك يجب أن

نبشّرهم و نهنيهم بها.

بينات من الآيات:

علاقة الله بالمؤمن بيع و شراء

[١١١] حين تدفع ألف دينار لتأخذ قطعه أرض من مالكها، كيف تتعامل مع الألف دينار؟ بالطبع سوف تقطع علاقتك الخاصة بها و تنتظر صاحب الأرض متى يطالبك بها لتدفعها اليه. كما انه بدوره ينتظر ك حتى يدفع إليك الأرض التي اشتريتها، و هكذا حين اشترى ربنا من المؤمنين ما هو لهم في الدنيا من مال و نفس، و وعدهم الجنة وعد الصدق، فانك أنت المؤمن البائع لا ترى لنفسك الحق في التصرف في نفسك أو مالك، لأنك قد بعته الى الله نعم المشتري بأفضل ثمن و هو الجنة، و من هنا يزداد شوقك الى الجنة كل لحظة لأنك قد امتلكتها بفضل الله.

هل تشك في أن الله سوف يدفع إليك ما وعدك؟. كلا- بل هو أوفى من وعد لأنه غني حميد. مالك الجنان الواسعه التي عرضها السموات و الأرض.

□
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ و لذلك تجد نفسك مشتاقه الى الجهاد لأنه طريقك الى الشهاده، و هي سبيلك الى الجنة، و الى لقاء الله حبيب قلوب المؤمنين.

□
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ و في كل عصر تجد المؤمنين الصادقين يتسابقون الى الجهاد. من أيام موسى الى عهد عيسى عليه السلام، الى عصر محمد صلى الله عليه و آله .

وَ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَفَاءَ اللَّهِ بِعَهْدِهِ ثَابِتٌ لِأَنَّهُ صَادِقٌ وَقَادِرٌ وَعَزِيزٌ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. يَدْفَعُ إِلَيْكَ مَا وَعَدَكَ أَوْعَافًا مَضَاعِفَهُ.

فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

صفات المؤمنين:

[١١٢] من مواصفات هذه الفئة أن كل جوانب حياتهم تتجلى بهذه الصفقه الرابعه، فهم من أهل الجنه الذين لا علاقه لهم بالدنيا و حطامها، لذلك نجدهم:

ألف: يتوبون الى الله فى كل لحظه، و من كل ذنب يرتكبونه. غفله أو جهلا أو جهاله، و هكذا يصلحون أنفسهم كلما أفسدتها عوامل الشهوه و ضغوط الحياه.

باء: و يعبدون الله و يتبتلون اليه و يتضرعون ليل نهار، و بذلك يزدادون رسوخا فى الايمان و صلابه فى الجهاد.

جيم: و يحمدون الله سبحانه، فهم أبدا راضون بما يعطيهم ربهم سبحانه، و هكذا تكون شخصياتهم سليمه غير معقده بتلك العقد التى تتراكم على قلوب أهل الدنيا بسبب الاحباطات النفسيه التى يتعرضون لها، و هكذا يزدادون قدره على العطاء و تحملا للعناء و سلامه فى الجسم.

دال: و يسيحون فى الأرض لينظروا ما فيها من عبر التاريخ و يستخرجوا ما فيها من طاقات سخرت لعماراه الأرض، و ليروا من فيها من بشر ينتظرون الهدايه و البلاغ، و بالتالى ليروضوا أنفسهم على التعب من أجل الله.

هاء: يركعون و يسجدون لأنهما مظهران من مظاهر العباده الصادقه و التبتل

الى الله.

واو: وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ لِأَنَّهُمْ قَدْ هَيَأُوا أَنفُسَهُمْ لِهَذِهِ الْمَسْئُولِيهِ الْكَبِيرَةِ.

زاي: ويعتبرون أنفسهم شهداء على تطبيق النظام الاسلامى. و حدود الشريعة المقدسه، لذلك فهم حافظون لحدود الله. سواء بأنفسهم فلا يعطون لأنفسهم الحق فى تغيير حدود الشريعة باجتهادهم أو بسبب أنهم ثوار مجاهدون. كلا.. بل يلتزمون دائما قبل الآخرين بتفاصيل المناهج التى بينها لهم ربهم سبحانه، و لذلك فان الله يبشّرهم برحمه واسعه منه.

التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون المؤمنون بالمعروف والنهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

ص: ٢٨٦

اشاره

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)

اللغه

١١٤ [الأواه]: الأواه من التأوه وهو التوجع.

هدى من الآيات:

لقد فصّلت آيات الدرس السابق مواقف الفئات من الرسالة، وفي هذا الدرس و الدروس القادمة يبيّن السياق القرآني جوانب من علاقات هذه الفئات ببعضها، و بدئها بضروره فصم الولاء بين المؤمنين و المشركين حتى و لو كانوا أقاربهم الأدينين.

فلا يجوز للنبي و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، لان ذلك نوع من العلاقة الايجابيه المحظوره شرعا و لأن الاستغفار لا ينفع أحدا إذا أصرّ على الشرك و العناد.

و لم يكن استغفارا إبراهيم عليه السلام لأبيه و هو يعلم أنه مشرك الأ- بسبب وعد بينهما، و ربما كان يرجو إبراهيم اهتداء أبيه، بيد أنه لمّا علم أنه عدو لله تبرأ منه، و قد كان إبراهيم عليه السلام ممحضا في التوحيد و متبتلا الى الله، و كان في الوقت ذاته حليما.

و لقد هدى الله البشر بالفطره، و أرسل إليهم رسلا يبينوا لهم شرائع الدين، فلما خالفوا تلك الشرائع- و ليس قبل ذلك- أضلّهم الله، و الله بكل شيء عليم.

و هكذا ينهى الله سبحانه عن الاستغفار للمشركين لأنه هداهم فاستحبوا العمى فاضلهم و أبعدهم، و الله ولى البشر لأن له ملك السموات و الأرض دون أسره الإنسان و أقاربه.

بينات من الآيات:

شروط الاستغفار:

[١١٣] بعض الناس يذنب و يتمنى لو أن الرسول أو أحد الأولياء يشفع له ذنبه بمجرد أنه ابن ذلك الولي أو تابع للرسول.

و قد يكون ذلك التمنى معقولا و لكن بشروط ثلاثه:

أولا:- ألا يكون مجرد تمنى بل يشفع بعمل وسعى، يقول القرآن الحكيم فى آيه كريمه: «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى»
،الى قوله سبحانه: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى مما يدل على ان التمنى لا يجدى نفعا لو بقى فى حدود التمنى.

ثانيا:- أن تكون علاقته بالولي، أو بالرسول علاقته ايمان لا علاقته إعجاب عاطفى أو انتماء نسبي، فالرسول صلى الله عليه و آله ليس أبا لأحد من الرجال بل هو قبل كل شىء رسول بعثه الله ليطاع باذنه، فلو كانت العلاقه معه تابعه من الايمان بالله فانها تشفع له.

ثالثا:- ألا يكون الذنب هو الشرك بالله العظيم لأن الله يغفر كل الذنوب دون الشرك بالله تعالى.

ضمن هذه الشروط يقدر النبي أو الولي أن يشفع للمذنبين، و لكن لا تعنى الشفاعة أنه يفرض على الله غفران ذنوبهم، بل أنه يدعو و الله يستجيب دعاءه

بفضله، وهكذا تكون الشفاعة والاستغفار بمعنى واحد لان الاستغفار هو الدعاء بغفران ذنب المذنبين، والآية التالية تؤكد على الشرط الأخير الذى هو الأهم من هذه الشروط الثلاث للشفاعة فتقول:

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجَحِيمِ فَمَا دَامَ الشَّخْصُ مُشْرِكًا فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ لَا مَحَالَةَ فَلَمَّا ذُكِرَ الْمَغْفِرَةُ لَهُ، وَ لِمَاذَا أَسَاسَا الْاِرْتِبَاطِ النَّفْسِي بِهِ. إِنَّهُ مِنْ أُمَّهِ وَ نَحْنُ مِنْ أُمَّهِ إِنْ صَاحِبُهُ النَّارِ وَ صَاحِبِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةِ.

[١١٤] نعم ان الاستغفار يجوز للمشرك و ذلك بطلب الهدايه له من الله سبحانه، كما

كان الرسول صلى الله عليه و آله يكرّر هذه الكلمه فى المواقف الحرجه من حياته الرساليه (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون و كما كان إبراهيم عليه السلام وعد أباه أن يستغفر له قال: «سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَ أَعْتَرْتُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ أَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا» .

ذلك لأنه كان يسعى آتئذ نحو هدايه قومه و إخراجهم من ضلالتهم، اما بعدئذ حينما تبين له أن أباه و قومه أعداء لله، و ان شركهم ليس لجهلهم بل للعناد و التحدى. هجرهم و تبرأ منهم.

وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [١١٥] و الله كذلك لا- يأمرنا بمقاطعه المشركين فوراً و من دون سابق تبشير و إنذار، انما علينا أن ندعوهم الى الهدى بكل وسيله، و منها الدعاء لهم بالهدايه، فاذا

اشاره

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)

هدى من الآيات:

ان الله تعالى يغفر الذنوب التي ارتكبتها البشر تحت ضغط الظروف الصعبة مثل ساعه العسره التي مرّ بها أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و كادت قلوبهم تصاب بالزيغ و الانحراف بل الضلال، فغفر الله لهم لأنه رؤف رحيم بهم، و يعرف مدى ضعفهم، كما غفر الله لأولئك الذين تخلفوا عن المعركة ثم تابوا الى الله و عرفوا ألاّ ملجأ من الله الا- اليه، فأنشد تاب الله عليهم، ليعودوا اليه و الى مناهجه السماويه.

و هكذا يأتي هذا الدرس مكملًا- لآيات الدرس السابق التي تبين لنا أن الاستغفار انما هو قبل بلوغ الذنب مستوى الشرك بالله، فاذا بلغه فان الله لا يغفره أبدا، أما قبلئذ فان الله سبحانه يغفر بعض الذنوب.

بينات من الآيات:

الشفاعة متى و لماذا؟

[١١٧] نعود- مره اخرى- الى الشفاعة، و متى و كيف يشفع الرسول في أمته؟

ص: ٢٩٣

لنؤكد على حقيقتين:

الاولى: ان الشفاعه من عمل الإنسان و سعيه، و ليست من تمنياته و أحلامه.

الثانيه: ان الهدف من الشفاعه تعميق الصله بين الرسول صلى الله عليه و آله و قومه، و نستوحى من الآيه التاليه كلتا الفكرتين: و لكن كيف؟ دعنا نتدبر فى الآيه الكريمه:

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ تَوْبَهُ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْنَى الْمَزِيدِ مِنْ بَرَكَاتِهِ عَلَيْهِ، وَ لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ قَدْ تَعْنَى أَيْضًا غُفْرَانَ ذُنُوبِهِمْ وَ لَكِنْ بِمَاذَا وَ كَيْفَ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُمْ؟ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا الرَّسُولَ فِي سَاعَاتِ الشَّدَةِ، وَ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَمَلًا كَبِيرًا وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يَغْفِرُ بِسَبَبِ الْحَسَنَاتِ الْكَبِيرَةِ الذُّنُوبَ الصَّغِيرَةَ لِذَلِكَ أَكَّدَتِ الْآيَةُ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ فَالصَّبْرُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ عَمَلٌ عَظِيمٌ يَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِهِ سَائِرَ الْأَعْمَالِ الصَّغِيرَةِ، وَ لَكِنْ أَهَمُّ نَقْطَةٍ هِيَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ، وَ عَدَمُ الْخِلَافِ مَعَهُ، وَ عَدَمُ الْإِسْتِرْسَالِ مَعَ حَالِهِ الزَّيْغِ، الَّذِي يَصِيبُ الْبَشَرَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ الصَّعْبَةِ.

مِنْ بَعِيدٍ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ وَ زَيْغُ الْقَلْبِ هُوَ انْحِرَافُهُ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ، وَ إِذَا اتَّبَعَ الْمُؤْمِنُ قِيَادَتَهُ وَ لَمْ يَتَشَكَّكْ فِيهَا بِسَبَبِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ فَانْ ذَلِكَ يَشْفَعُ لَهُ ذُنُوبَهُ، لِأَنَّ الرَّسُولَ أَوْ الْوَلِيَّ الَّذِي يُمَثِّلُ الْقِيَادَةَ سَوْفَ يَشْفَعُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَ يَصَلِي لَهُ وَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَ بِهَذَا نَعْرِفُ فِلْسَفَةَ الشَّفَاعَةِ فَهِيَ سَبَبٌ لِمَتَمِّينِ الْإِرْتِبَاطِ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَوْ بِالْقِيَادَةِ السَّلِيمَةِ.

ص: ٢٩٤

ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ

حين تضيق بنا الحياه!

[١١٨] و هناك حاله مفرده غفرها الله سبحانه و هى: أن ثلاثه من أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله تخلّفوا عن الجهاد فغضب الله عليهم و أمر الرسول ألا يكلمهم المسلمون، فشعروا بضيق كبير حتى ضاقت عليهم الأرض بالرغم من سعتها و رحبها.

وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ضِيقَ الْأَرْضِ بِسَبَبِ مَقَاتِعِهِ الْمُجْتَمَعِ لَهُمْ، وَ ضِيقَ أَنْفُسِهِمْ بِسَبَبِ شُعُورِهِمْ بِالذَّنْبِ، لِذَلِكَ تَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ.

وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ أَيْ تَصَوَّرُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مِثْلَهُ أَمَامَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهَا بِالرَّغْمِ مِنْ إِيْمَانِهِمُ الْمَسْبُوقِ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَ هِيَ أَنَّ الْكَهْفَ الْحَقِيقِيَّ لَا يُوَاقِفُهُمْ فِي زَحْمَةِ الْمَشَاكِلِ هُوَ حَصْنُ اللَّهِ الْحَصِينِ.

ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

ص: ٢٩٥

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)

اللغة

١٢٠ [مخمصه]:المخمصه المجاعه و أصله ضمور البطن للمجاعه يقال للرجل خميص البطن.

[يغيظ]:الغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه يغيظه.

[نيلا]:النيل الأمر و نيلا:أمرا.

١٢٥ [رجسا]:الرجس هى النجاسه..و انما سموا بذلك لأن الكفر و النفاق كالنجاسه.

هدى من الآيات:

من أجل تحريض المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، أكد القرآن الحكيم على ضروره التقوى و الانسجام مع المؤمنين الصادقين، و فى طليعتهم رسول الله صلى الله عليه و آله الذى لا ينبغى التخلف عنه أو تفضيل حياتهم و راحتهم على حياته و راحته لأنه لا يصيب أحدا من الاعراب أو من أهل المدينه شىء من الأذى إلا كتب له بقدره عمل صالح يجازى به سواء كان ذلك الأذى عطشا أو تعباً أو مجاعه، ولا يعملون عملاً إلا سجل بحسابهم سواء كان صغيراً أو كبيراً، و مقياس العمل هو التحرك فى سبيل الله، أو مقاومه أعدائه، و إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

كما أن أیه نقطه صغيره أو كبيره محسوبه عند الله، و كذلك قطع المسافات هو الآخر محسوب بقدر الجهد و العناء الذى يصيبهم بذلك، و الله سبحانه سوف يجازيهم خيراً عليه.

و على المؤمنين المنتشرين فى أقطار الأرض أن تختار كل فرقه منهم طائفه لينفروا

الى (المدينه) مركز القيادة الاسلاميه لكى يكونوا قريبين من الأحداث، و يعرفوا تعاليم الدين، و يتعمقوا فى فهم الرساله ليقوموا بعد عودتهم بواجب الإنذار لقومهم بهدف تزكيه و تعليم قومهم، و اعادتهم الى الصراط المستقيم.

بينات من الآيات:

واجبات و أولويات المؤمن

[١١٩] ثلاث واجبات متكامله ينبغى أن يعقد المسلم عزمه على تحقيقها:

أولاً: الايمان المستقر فى قلبه.

ثانياً: التقوى و تنفيذ سائر الواجبات الاسلاميه.

ثالثاً: أن يكون مع الصادقين و هم التجمع الرسالى.

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ وَ أَيْ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ الثَّلَاثِ لَا يَكْتَمِلُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْوَاجِبَاتِ، وَ بِالذَّاتِ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى تَجْمَعِ الصَّادِقِينَ، وَ التَّفَاعُلِ مَعَهُمْ ثَقَافِيَا وَ اجْتِمَاعِيَا وَ اِقْتِسَادِيَا، وَ مَشَارِكَتِهِمُ الْهَمُومِ وَ الْأَمَالِ. ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا التَّجْمَعِ حَصَنَ الْإِيمَانِ وَ التَّقْوَى وَ لِأَنَّ ضَغْطَ الْحَيَاةِ وَ تَحْدِيَّاتَهَا كَبِيرَةً وَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُوَاجِهَا وَحْدَهُ.

صفات المجتمع الرسالى:

[١٢٠] المجتمع المستقر الراكد ليس مجتمعا رساليا و لا مسلما لأن الإسلام الحقيقى هو الاهتمام بشؤون الآخرين، و الدفاع عن حقوق المستضعفين الى درجه الجهاد من أجلهم، و المجتمع الاسلامى لا يجمد فى حدود اقليميه ضيقه، و لا يقول بناء الوطن أولاً، ثم الانطلاق لاصلاح الآخرين لأنه لا وطن للفضيله و الخير، و لا

و هكذا كان الرسول صلى الله عليه و آله نذيرا للعالمين، و هكذا كان يجب على أهل المدينة و هم أبناء المجتمع الاسلامى الأول، أن يتبعوا الرسول فى حمل رسالته بلاغا و تنفيذا، قولا و عملا.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَيَقْعَدُوا فِي بِلْدِهِمْ وَيَطَّبِقُوا الْإِسْلَامَ وَيَقُولُوا عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ بِلْدَانِنَا وَحْدَهُ. كَلَّا..

كان عليهم أن يسيروا فى الأرض كما كان يسير رسول الله صلى الله عليه و آله، و يحملوا على أكتافهم مشعل الرسالة الى كل مكان. أو كانت نفوسهم أعز من نفس رسول الله صلى الله عليه و آله، من يدعوا نفس رسول الله تتعرض للمصاعب و الأخطار بينما نفوسهم آمنة فى المدينة؟ و لا يزغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ و لا نصب و لا مخمصة فى سبيل الله و بالتالى لا يصيبهم مكروه الا و هو مسجل عند الله تعالى و يوفيههم جزاءهم كاملا.

و لا يطؤون موطئا يغيظ الكفار فسواء بقوا أو اتبعوا العدو تضرروا أو أضروا بالمخالفين.

و لا يتألون من عِدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فهناك مقياسان للعمل الذى يجازيه ربنا الرحيم به:

المقياس الاول: أن تحسب مقدار عنائك و تعبك.

المقياس الثانى: أن تقيس مقدار تجسيد عملك فى الخارج و بالذات أثره فى عدوك، فان الله سبحانه حسب هذا المقياس أو ذاك سوف يجزيك دون أن يضيع عنك أجرا.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ :

[١٢١] كذلك الله يحسب حساب نفقاتك و حتى خطواتك.

و لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً وَ لا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فالجزاء دقيق و أفضل من العمل، و لذلك لا تنظر الى عملك نظره مطلقه و عامه، بل انظر الى كل جزء من عملك، و اعلم بأن لكل جزء جزء. مثلا: اعلم بأن كل تسيحه تعنى شجره فى الجنه فاشتل أكبر عدد ممكن من الأشجار فى الجنان بأكبر قدر ممكن من التسيح، و اعلم بأن كل خطوه تجازى بغرفه فابن لك غرفا أكثر بخطوات أكثر تخطوها للعمل الاسلامى.

الامه الاسلاميه و واجب الطليه:

[١٢٢] المجتمع الاسلامى مجتمع رسالى متحفز أبدا الى الامام، و هو لذلك بحاجة الى طليعه رائده همها الوحيد التفقه فى الدين و التعمق فى رسالته السماويه فهما و تطبيقا. و تكون هذه الطليعه شاهده فى الأحداث و قريبه من قياده، بينما يبقى الآخرون فى أرضهم يقومون بأعمالهم العاديه.

وَ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً

ص: ٣٠١

الإنداز على مجرد إسقاط الواجب الشرعى، بل يستمر الى تحقيق هدفه و هو تربيته روح الحذر فى الناس.

ص: ٣٠٣

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قَاتِلُوْا الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ مِنَ الْكُفٰرِ وَ لِيَجِدُوْا فِيْكُمْ غِلٰظَةً وَ اَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ (١٢٣) وَ اِذَا مَا اُنزِلَتْ سُوْرَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ اَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ اِيْمَانًا فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فزَادَتْهُمْ اِيْمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبِيْشُوْنَ (١٢٤) وَ اَمَّا الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا اِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوْا وَ هُمْ كٰفِرُوْنَ (١٢٥) اَوْ لَا يَرُوْنَ اَنَّهُمْ يُفْتَنُوْنَ فِيْ كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُوْنَ وَ لَا هُمْ يَذْكُرُوْنَ (١٢٦) وَ اِذَا مَا اُنزِلَتْ سُوْرَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ اِلَى بَعْضٍ هٰلِكَ يٰرَاكُمْ مِنْ اَحَدٍ ثُمَّ اِنْصَرَفُوْا صِرَافَ اللّٰهِ قُلُوْبُهُمْ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ (١٢٧)

هدى من الآيات:

و فى نهايات سورة التوبه المخصصه لبيان جوانب من شرائع الجهاد الاسلامى يبلغنا السياق الحكيم ضروره البدء بقتال العدو الأقرب إلينا بشده و غلظه. مع المحافظه على حدود الله، و اتقاء تجاوزها حتى يكون الله معنا.

كما يبلغنا عن نفسه المنافقين و موقفهم السلبى تجاه الآيات القرآنيه زاعمين انها لا تنفع شيئا و يتساءلون بسخريه و ربما بغباء أى واحد من المؤمنين زادته هذه الآيه ايمانا و يجيب القرآن: بأن المؤمنين استفادوا زياده فى الايمان و وجدوا فى الآيات نعمه يبشّر بعضهم بها بعضا، بينما الكفّار و المنافقون توغّلوا فى العناد حيث أصروا على موقفهم السلبى، فازدادوا رجسا بسبب كفرهم الجديد الذى استمر معهم الى النهايه.

و كما لا ينتفع المنافقون بالآيات القرآنيه النازله و حيا، كذلك لا ينتفعون بالآيات الكونيه كالكوارث و المصائب التى عاده تنزل عليهم كل سنه، أما مره أو

مرتين و مع ذلك لا يتوبون الى الله و لا يتذكرون.

و هكذا موقفهم من الآيات إذا أنزلت آيه أخذ بعضهم ينظر الى بعض مشيرا الى عدم فهمه لمحتوى الآيه، ثم يلتفتون الى من حولهم خشيه أن يراهم المؤمنون فيكتشفون موقفهم السلبي من الآيه، ثم ينصرفون و يذهبون، و سبق أن أبعده الله تعالى قلوبهم عن الايمان بسبب جهلهم و عدم فهمهم.

بينات من الآيات:

قرار الحرب لأقرب الأعداء:

[١٢٣] حينما تكون الأمة مستقلة في قرار الحرب و السلم، و غير متأثره بالأعلام المضلل الذي يقوم به الأعداء فانها تبدأ بقتال أقرب أعدائها خطرا عليها كما أمر الله، ثم إذا تفرغت منه توجه عداءها ضد العدو البعيد، كما أمر الله في هذه الآيه و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَلِينَ بِسَبَبِ الْإِحْسَاسِ بِالْخَطَرِ، بَلْ تَتَصَلَّبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ضِدَّ مَصْدَرِ الْخَطَرِ الْقَرِيبِ لِأَنَّهَا أُمَّةٌ مُسْتَقِلَةٌ تَعْتَرِ بِكَرَامَتِهَا وَ أَصَالَتِهَا، وَ لَا تَسَاوِمُ عَلَى كِرَامَتِهَا أَحَدًا.

و الله تعالى يعدد المؤمنين إذا كانوا كذلك، و إذا احترموا حدوده فلم يدفعهم الى القتال غرور أو طمع، و بالتالي إذا اتقوا يعددهم أن يكون معهم.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ أما الامه المهزومه نفسيا، و التابعه لتهديد الآخرين و إعلامهم فانها تعادى أبدا

العدو الضعيف و البعيد الذى لا تحس منه الأمه بخطر مباشر عليها.

فالمسلمون حين كانوا أقوياء ناطحوا الروم الذى أحسّوا بخطرهم المباشر، و خاضوا معركة تبوك و مؤته، و لم يستسلموا للروم ليحاربوا معهم الفرس، و لم يقولوا:

ان الروم أقرب إلينا دينا لأنهم نصارى و الفرس مجوس، و لكن اليوم حيث يشعر المسلمون أولا- أقل بعض الأنظمه الحاكمه عليهم بالضعف فإنهم يستسلمون للعدو الأقرب و الأخطر و يتحالفون معه ضد العدو الأبعد و الأقل خطرا، فترى البلاد القريبه من الشرق تحارب الغرب بينما تتحالف مع العدو المجاور لها، كما فعل نظام أفغانستان سابقا خضع لضغوط الروس، و زعم بأن عدوه الأصيل هو أمريكا لا- العدو القابع على بعد أمتار من أراضيه، و انتهى بهذا العدو الى التحرك و القيام بانقلاب عسكري، ثم التدخل العسكري المباشر. و مثلما يفعل اليوم النظام المصرى حيث يتحالف مع النظام الاسرائيلى و يوجه أنظار شعبه الى خطر ليبيا الضعيف. أو مثلما تفعله بعض الحركات الاسلاميه تهادن النظام الغربى المتسلط على رقاب شعوبهم المستضعفه و تخلق الصراع مع الشيوعيه، و هكذا تتحالف مع العدو النازل فى بيتها لتحارب السراق الأجانب الذين لا يعرف هل يأتون. أم هم مجرد بعب يخوف به السارق الفعلى ضحاياهم؟ و هذا الضعف هو الذى خلق جيوب النفاق داخل الأمه الاسلاميه، فقد حاولت الأنظمه الطاغوتيه أبدا أن تخلق أعداء وهميين، و تغذى بعض ضعفاء النفوس بالحقد عليهم. يتخذ منهم أدوات طيعه لتحقيق تسلطهم السافر على الناس مثلما فعل نظام شاه إيران السابق مع جيشه الذى رباه لمعاداه الشيوعيه، و مثلما يفعل اليوم نظام أفغانستان بجيشه المرتزق الذى يحاول اقناعه بأن العدو رقم واحد لأفغانستان هو (أمريكا) لا المعتدى الروسى.

[١٢٤] و المنافقون أبدا يشككون بقيمة الآيات القرآنيه، و لا يعرفون مدى انتفاع المؤمنين بها.

وَ إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ هَكَذَا كَانَ مَوْقِفَ الْمُنَافِقِينَ سَلْبِيًّا أَمَامَ السُّورِ الْقُرْآنِيَةِ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِالْحَاجَةِ الْمَاسَةِ إِلَيْهَا، بَيْنَمَا الْمُؤْمِنُونَ فَقَدَ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِالْحَاجَةِ لِذَلِكَ كَانُوا يَسْتَبْشِرُونَ كَلِمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ وَ يَتَدَبَّرُونَ فِيهَا وَ بِذَلِكَ يَزِدَادُونَ إِيمَانًا فَوْقَ إِيمَانِهِمْ.

متى يكون الهدى سببا في الضلال؟

[١٢٥] و لأن المنافقين كانوا يكفرون بالسور الجديده، فان ذلك الكفر كان يكرس العناد في ذواتهم و يزيدهم رجسا الى رجسهم.

وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ قَلْبَ الْبَشَرِ مَزُودٌ بِجِهَازِ رُؤْيِهِ يَحْدُدُ مَسَارَهُ فِي شُؤْنِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا وَجَدَ هَذَا الْجِهَازَ عَقِبَهُ اجْتِمَاعِيَهُ تَبَّ الْقَلْبَ إِلَى ضَرُورَةِ التَّحْدِي. وَ إِذَا وَاجَهُ أَزَمَهُ ذَكَرَ الْقَلْبَ بِضَرُورِهِ مَضَاعِفَهُ السَّعْيِ، وَ إِذَا أُنْذِرَ حَذَّرَ وَ إِذَا بَشَّرَ أُنْذِرَ وَ هَكَذَا.. فَإِذَا أُصِيبَ الْقَلْبُ بِمَرَضٍ وَ تَعَطَّبَ الْجِهَازُ فَانَ النَتَائِجُ سَوْفَ تَكُونُ عَكْسِيَّةً وَ خَطِيرَةً. فَمَثَلًا- حِينَ يُوَاجَهُ عَقِبَهُ لَيْسَ لَ- يَتَّبِعُ الْقَلْبَ إِلَى وَجُودِهَا فَقَطْ بَلْ وَ أَيْضًا يَقُولُ إِنَّهَا طَرِيقٌ مَعْبُودٌ، وَ إِذَا وَجَدَ أَزَمَهُ يَحْسَبُهَا رِفَاها وَ يَحْتَسِبُ الْمَشْكَلَةَ رِفَاها وَ هَكَذَا.

و هكذا تكون كل ظاهره خارجيه مفيده لصاحب القلب السليم. بينما تكون

مضرّه بالنسبه الى القلب المريض، و هكذا الكلمه الحق بالنسبه الى القلب السليم هدى و موعظه. بينما هي بالذات تتحول بالنسبه الى القلب المريض ضلاله و رجسا.

كيف؟ لنضرب مثلا: انك تنصح أخاك و تقول له: اقرأ كتاب نهج البلاغه، و هو بدوره يرى فيك الأخ الناصح و يتقبل نصيحتك و لكن إذا قلت ذات الكلمه لعدوك فلأنه مصاب بعقده تجاهك يفسر كل كلمه منك على أنها أسلوب تستخدمه لتحطيمه. فانه سوف يترك قراءه نهج البلاغه لو كان يقرؤه سابقا، و كذلك لو أقيت هذه الكلمه الناصحه على شخص متكبر مغرور بنفسه فلا يكون رد فعله سوى الاستياء منك و من الكتاب الذى تأمره بمطالعتة، و هكذا كانت بعض القبائل من قريش الذين كانوا يعتبرون بنى هاشم منافسا تاريخيا لهم، كانت مواقفهم من الرساله نابعه من هذه العقده. فعارضوا الرساله، و ازدادوا معارضه لأفكارها و توجيهاتها الحقه لمجرد أنها تجلّت فى بيت بنى هاشم.

التفسير الخاطى للاحداث و سببه:

[١٢٦] و كما موقف القلب المريض من الكلمه الحق، موقف عكسى مضر كذلك موقف الإنسان ذى الرؤيه الفاسده من الظاهره الخارجيه، فبدل أن يفسرها تفسيرا مناسباً تراه يفسرها معكوسه و يعمل حسب ذلك التفسير. فاذا وجد تخلفاً فى حياته الاجتماعيه فسره على أنه نتيجة تمسكه بالتقاليد الأصيله فتركها و ازداد تخلفاً.

بينما كان عليه أن يفسرها على أنها نتيجة تبعيته للآخرين و تكاسله عن العمل.

و هكذا الفتنة التى هي ظاهره صعبه فى الحياه الاجتماعيه مثلا: الفقر و المرض و الحرب و المجاعه، كل ذلك أشارات خطر تدل على سلوك فاسد لذلك الإنسان، و لكنها بالنسبه الى المنافقين ذوى القلوب المريضة و الرؤوس الفاسده، ليست نافعه

أبدا. لأنهم يفسرونها تفسيراً شاذاً.

أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ فلا هم يعودون من الأعمال السيئة التي تسببت في تلك المشاكل ولا هم يتعمقون في فهم الحياه بسبب تلك المشاكل.

و يبدو من هذه الآيه ان المجتمعات تصاب عادة بفتن و مشاكل عامه. بين فتره و أخرى و ان عليها أن تعتبر منها و تدرسها دراسه معمقه.

[١٢٧] و كان موقف المنافقين من سور القرآن الحكيم الجديده ليس الملاحظه النظيفه و الدراسه السليمه من العقد، بل تجاهلها و العوده الى عصبياتهم و أفكارهم الجاهليه و تقييم السور الجديده على أساسها.

وَ إِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِمَا كَانِ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ لِيَرَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ مَوْجِفَ رِفَاقِهِ مِنْ السُّورَةِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ ثِقَةٌ بِعَقْلِهِ هُوَ وَ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْهُ فِي دِرَاسَةِ السُّورَةِ.

ثُمَّ انصبروا صبراً لله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لا يفقهون أن فوائد السوره لهم إذا نظروا إليها بتجرد و دون اتخاذها وسيله لنفاقهم، و الانصراف عنها الى قيمهم الفاسده.

ص: ٣١٠

اشاره

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)

هدى من الآيات:

فى الآيتين الأخيرتين لسوره التوبه يذكرنا السياق بأن الرسول قادم من صميم قومه الذين أرسل إليهم فهو من أنفسهم، و أنه يتأثر و يحزن إذا وجد مكروها يصيب قومه، و أنه يحرض على سلامتهم، و أنه رؤف رحيم بالمؤمنين.
و لكن لا يعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله يعتمد على قومه و يتأثر بسلبياتهم. كلا..
بل يصمد أمامها اعتمادا على الله تعالى فان تولوا فان حسبه الله يتوكل عليه، وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

بينات من الآيات:

سيره الرسول صلى الله عليه وآله :

[١٢٨]المواقف الخاطئه للمنافقين من الرساله ربما كانت بسبب سوء فهمهم لواقع الرسول صلى الله عليه وآله و أنه جاء منقذا لهم من الآلام التى يعانون منها.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ فَهُوَ يَتَحَسَّسُ بِالْعُنَاءِ الَّذِي يَعْيشُونَهُ وَيَحْزَنُ لَهُمْ وَيَسْعَى مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ الْأَلَمِ عَنْهُمْ.

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يَحْرَصُ عَلَى رَاحَتِهِمْ، وَيَسْعَى مِنْ أَجْلِ حُصُولِهِمْ عَلَى الرَّاحَةِ.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ يُوَفِّرُ لَهُمْ سَبَابَ الْخَيْرِ وَالرِّفَاءِ، وَيَغْضُ عَنْ نَوَاقِصِهِمْ، وَالَّذِي يَصِيبُهُ مِنْهُمْ.

لو لم يؤمنوا برسالته؟

[١٢٩] و لكن رحمه الرسول صلى الله عليه و آله ليست بعاطفه قومية أو اقليميه بل لأنه رسول الله، و الله يأمره بذلك، لذلك لا يوقفه توليهم عن متابعه مسيرته.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَ لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ فَهُوَ الَّذِي يَدَبِّرُ شُؤُونَ الْعِبَادِ وَ عَرْشَهُ عَظِيمٌ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ سُلْطَانِ ذُو السُّلْطَانِ.

ص: ٣١٣

سوره يونس

اشاره

ص: ٣١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث في فضل السوره:

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله :

«قال من قرأها أعطى عشر حسنات بعدد من صدق بيونس و كذب به و بعدد من غرق مع فرعون» (مجمع البيان-ص-٨٧ ج ٥)

و عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من قرأها في كل شهرين أو ثلاثه لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين و كان يوم القيامه من المقربين» (مجمع البيان-ص ٨٧-

ج ٥-٦)

ص:٣١٧

لكى يتحدى الإنسان ضغوط طبيعته، وإرهاب الطغاه، كما فعل شيخ المرسلين نوح عليه السلام، و كما امر موسى قومه بان يفعلوا. فلا بد ان يؤمن بالله و بسلطانه على خلقه و تدبيره له، و يؤمن بان جزاءه حق، و انه يعاقب الكافرين بيوم الجزاء كما يثيب الصالحين بأفضل الجزاء.

و متى يعى البشر حقيقته و انه عبد الله، و انه لا اله الا الله؟ يعى ذلك عند الضراء، حين تتساقط حجب الغفله و الشرك و تتجلى قدره الله سبحانه.

و تتأكد الذكرى بهذه الحقيقه فى سوره يونس ثلاث مرات، و تتناسب مع قصه قوم يونس حيث سمى القرآن السوره باسمه، لأنه قد رفع الله عنه العذاب بعد ان أحاط بهم.

نقرأ فى آى السوره، عن جدل الكفار حول القرآن، و كيف يفنده الذكر، و لعل ذلك، كجزء من التحدى الذى أمر به القرآن فى هذه السوره (١٧/١٥).

و لكى يتم عند النفس حاله التحدى فى مواجهه الطغاه و القوى الطبيعیه، لا بد ان يستهين المؤمن بالشركاء، الذين لا يضررون و لا ينفعون (١٨) و تأخير العذاب عنهم ليس الا لكلمه سبقت من الرب (١٩) و الغيب عند الله (٢٠) و الله أسرع مكرًا و رسله يكتبون ما يمكر المجرمون (٢١).

و بعد ان يذكر القرآن الناس مره اخرى بحالتهم عند إماطه الخطر، و كيف انهم ينسون المشركين (٢٣/٢٢) يضرب مثل الحياه الدنيا، و المثل مقتبس من دوره حيايته، يميز بها النيات (٢٤) و السلام عند الله، و هو الذى يهدى الى الصراط المستقيم (٢٥) و سلام الله انما هو للذين أحسنوا، اما المجرمون فلهم النار (٢٧/٢٦).

و هكذا يأمرنا بالكفر بالشركاء، لأنهم يتبرءون من اتباعهم، و عند الله الجزاء (٣٠/٢٨) و يستمر السياق القرآنى فى بيان حقيقه الشركاء و انهم تافهون و ان اتباعهم ليس الا اتباعا للظن (٣٦) و يعود الى بيان: ان القرآن لا- ريب فيه و ان جهلهم به هو الذى دعاهم الى التكذيب به (٤٠) و يأمرنا بتحدى المشركين و البراءه منهم و يبين ضلاله الذين يكفرون بالقرآن، و انهم هم عمى و ان عماهم و صممهم منهم لان الله لا يظلمهم (٤٤).

ثم يعود و يبين ان الله هو الذى يملك الضر و النفع فلا- بد ان نتوكل عليه، و نترك الشركاء (٥٢) و يؤكد أن القرآن و ما فيه حق، و ان الجزاء واقع، و ان وعد الله حق، و ان الله يحى و يميت و ان القرآن موعظه و شفاء (٥٨).

كل ذلك يثبت فؤاد المؤمنين تمهيدا للبراءه من الشركاء.

و يبين القرآن ان التشريع انما هو لله وحده و ليس للشركاء، و ينذر الذين يفترون على الله الكذب و أن الله شاهد على كل كلام، و أنه مسجل عنده صغيرا و كبيرا(٦١).

و أولياء الله لا خوف عليهم(بعكس أولياء الشركاء) و ان لهم البشرى، و ان لله العزه(و ليس للمشركين) و أن له ما فى السماوات و الأرض(و ليس للطغاه) و انه هو الذى جعل الليل ليسكن و النهار مبصرا(و ليس الشركاء)(٦٢/٦٧).

اما قولهم بان الله قد ولد(و هو أحد سخافات المشركين) فانه ضلال لان الله غنى فلما ذا الولد، و انه ليس الا افتراء لا يفلح صاحبه و ان هدف الافتراء، متاع الدنيا، و هو قليل و نهايه المشركين العذاب الشديد بكفرهم(٧٠).

كل تلك الآيات تمهد لاعلان البراءه من المشركين، كما فعل نوح شيخ المرسلين(عليه السلام) فأغرق الله قومه و خسر المشركون(٧٣).

و لعل هذه الآيات(٩٣/٧٠) هى غرر هذه السوره الكريمه، حيث تفصل القول عن تحدى الرسل لظغاه عصرهم و كفار الناس من قومهم و كيف انهم أمروا اتباعهم بالتوكل على الله، و بالتالى كيف نصرهم الله سبحانه.

ثم بعد بيان قصص الأنبياء عليهم السلام، يأمر الله بطرد الشك، فى القرآن، و الابتعاد عن التكذيب بآيات الله، و ان الكفار لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم(٩٧) و لكن هل ينفع الايمان ذلك اليوم، لا، انما قريه واحده نفعها ايمانها حين آمنت بالله، و هى قريه يونس(٩٨).

و لكن هل الايمان من العبد أو من الرب؟ لا ريب ان الله لا يكره الناس على الايمان و هكذا على كل نفس تحدى أمواج

الكفر للوصول الى شاطئ الايمان، حيث يأذن من الله له بالايمان(١٠٠).

و يعود القرآن ليسفه حاله الانتظار فى النفس بل على الإنسان أن يبادر للايمان، حتى يكون من الذين ينجيهم الله عند العذاب(١٠٣).

و يعلن القرآن على لسان النبى صلى الله عليه و آله البراءه من الشركاء، و انه يخلص العبوديه لله (و بذلك يتحدى المشركين) (١٠٤).

و يأمره بإقامه وجهه لله حنيفا و رفض الشركاء، لأنه سيصبح ظالما لنفسه (١٠٦) و الاعتقاد بأن الذى يرفع الضر هو الله و أنه إذا تفضل على عبده بخير فلا راد لفضله إلا هو.

و هكذا على المؤمن أن يتحدى الشركاء و المشركين و التمسك بهدى الله لأنه آئذ ينفعه كما أن ضلالته عن القرآن تضره هو و ليس غيره. و أن على المؤمن اتباع ما يوحى الى الرسول و الصبر حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين(١٠٩).

و بهذا نستطيع أن نستفيد من سوره يونس روح التوكل على الله، و تحدى الطبيعه، و الطغاه، و مقاومه ضعف النفس أمام المشاكل و الاخطار.

ص: ٣٢٢

[سوره يونس (١٠): الآيات ١ الى ٢]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)

هذى من الآيات:

تلك آيات القرآن الحكيم، التى ركبت من ألفاظ و أصوات معروفه كالألف، و اللام، و الراء، و لكنها اتسمت بالحكمه البالغه، فهى تكشف الحق و تهذى البشر اليه و الناس لا يصدقون بهذه الحقيقه، أن يكون رجل منهم يوحى اليه القرآن، بينما لا عجب فى ذلك خاصه و ان هدف نزول الوحى إنذار الناس جميعا، و تبشير المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند الله، فمقامهم عند ربهم ثابت لا يتزلزل، و بالتالى فالله ينصرهم و يجزيهم الحسنى.

و لكن الكافرين قالوا: ان هذا لساحر مبين، فهو ساحر لأنه جاء بشىء غريب لا يقدر عليه الآخرون، و هو واضح الحججه، قوى البينه.

و قد لخصت هاتان الآيتان كثيرا من توجهات السياق القرآنى فى هذه السوره، و التى سوف يفصلها فيما يلى تفصيلا.

معنى الحروف القرآنية المقطعه:

[١] «الر» تلك هي المقاطع الحرفيه التي نجدها في كثير من سور القرآن، و الرأي الذي ذكرناه عدة مرات حولها هو: انها إشاره الى ذات الحروف، و هي بالتالي تشبه كلمه «هذا» و الجمله التاليه هي خبر لها، و هناك تفسيرات أخرى لهذه المقاطع و الله أعلم. (١)

و هذه الأحرف هي آيات و علامات تشير الى مجموعه متكامله و ثابتة من العلوم التي تنفع الإنسان في حياته، فهي آيات الكتاب الثابت و المشتمل على الحكمة.

الر تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ إِنْ كِتَابَ اللَّهِ ثَابِتٌ يَكْشِفُ الْحَقَّ، فَهُوَ مَتِينٌ لَا تَجِدُ فِيهِ عَوْجًا وَ لَا أَمْتًا، كَمَا لَا تَجِدُ فِيهِ تَنَاقُضًا وَ لَا اخْتِلَافًا فَهُوَ مُحْكَمُ الْأَطْرَافِ.

[٢] و مشكله البشر مع القرآن مشكله نفسيه، حيث أنهم لم يرتفعوا الى مستوى الكتاب، بل تراهم يستغربون منه و يقولون: كيف يصبح رجل منّا حاملًا- لرساله الله العظيم التي تحمل الإنذار و البشاره؟! أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَ لَكِنْ بَمَا أَنْ الْهَدَفُ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ إِنْذَارِ النَّاسِ، فَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ حَامِلًا لِلرَّسَالَةِ فَلَمَّا ذَا التَّعَجُّبِ وَ الْاسْتِغْرَابِ؟! ص: ٣٢٥

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمُ الْقَدَمَ الصَّادِقَةَ الَّتِي وَضَعْتَ فِي مَقَامِهَا الصَّحِيحَ وَبِوَعَى، ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْرِفُ
أَيْنَ يَذْهَبُ، وَهُوَ حِينَ يَسْعَى لِتَحْقِيقِ هَدَفِهِ هَذَا وَهُوَ الْوَصُولُ إِلَى مَرْضَاهُ اللَّهِ يَبْلُغُهُ، فَقَدَمَهُ عِنْدَ اللَّهِ قَدَمَ صَادِقَةٍ، هَذَا هُوَ مَحْتَوَى
الْكِتَابِ الْحَكِيمِ، وَ لَكِنْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ تَفْسِيرَ الْكَافِرِينَ بِالرِّسَالَةِ لَهَا أَنَّهَا سِحْرٌ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَوْعِبُوا
وَاقِعَهَا بِسَبَبِ مُشْكَلِهِ فِيهِمْ لَا مُشْكَلَهُ مَسْتَوَى الرِّسَالَةِ، وَالِاهْتِدَاءُ إِلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَمَنْفَعٍ وَ لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ اجْتَازَ حَاجِزَةَ النَفْسِ
لَوَجَدَ أَنَّ الرِّسَالَةَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَ لَكِنْ ذَلِكَ الْحَاجِزَةُ النَفْسِيَّةُ يَجْعَلُهُ يَفْتَشُ عَنِ تَفْسِيرَاتٍ بَعِيدَةٍ لظَاهِرِهِ الرِّسَالَةَ، حَتَّى أَنَّهُ يَفْسِّرُهَا
بِأَنَّهَا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَ بِتَعْبِيرٍ آخَرَ لَا يَفْسِّرُهَا بِشَيْءٍ إِذِ السِّحْرُ هُوَ كُلُّ ظَاهِرٍ غَرِيبٍ لَا تَفْسِيرَ لَهَا.

اشاره

إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعِندَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوهَا عَمَدَ السَّنِينِ وَالْحَبَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)

فى الدرس الاول من هذه السوره، و بعد اشاره خاطفه الى السياق العام لها، يبين القرآن الكريم صفه الربوبيه اللازمه على الخلق، و التى تتجلى فى خلق السموات و الأرض عبر أيام متتاليه، مما يحتاج الى العنايه الدائمه، ثم استواء ربنا على عرش التدبير و قيامه بتدبير شؤون الكون، دون أن يكون له منافس قادر على التدخل فى شؤون مملكته الواسعه الاّ حسب اذنه و بعد السماح له بذلك.

فهذا هو الرب الذى يأمرنا القرآن بعبادته، و تلك أيضا وصيه عقولنا لو نتذكر قليلا. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ و التقدير الدقيق، بينما الذين كفروا يجازيهم بشراب حار، و عذاب مؤلم بسبب كفرهم.

و تتجلى مره أخرى فى تقديره الهادف، و أنه كيف جعل من الشمس ضياء للناس يتوهج، بينما جعل القمر نورا هادئا، و قدره حسب منازلته المختلفه بهدف معرفه الحساب، و ليعلم الإنسان عدد الأيام و ينظم حياته وفقها. كل شىء خلق

بهدف و ضمن خطه حكيمه، و لم يخلق شىء عبثاً، و أن القرآن يفصل الحديث، و يوضحه تفصيلاً ليقوم يعلمون.

و تتجلى مره أخرى فى اختلاف الليل و النهار، و كيف نجد كل شىء فى الليل و النهار وضع موضعه، و لتحقيق هدف خاص به.

بينات من الآيات:

الربوبية صفة ذاته:

[٣] الله هو الرب العظيم، و الربوبية ليست صفة اعتباريه طارئه على ربنا سبحانه، بل هى صفة ذاته تتجلى فى الحاجه الدائمه للكون اليه، إنه خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام، و هكذا أركز فيها الحاجه الماسه الى تقديره و قيمومته، ذلك لأنه أعطاها فى كل يوم شيئاً جديداً فى الخلق، و بعدئذ لم يتركها لشأنها، بل استوى على عرش القدره مهيمناً على أمور الحياه، مدبراً لها بلا منازع و لا شريك، إلا من يأذن له و بقدر القدره المخوله له.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ الخلق بيده المقتدره يدبرها بها، و يخطط لكل مرحله من مراحلها، و يجرى خطته سبحانه، أما الخلق فهم مخلولون للقيام ببعض التدبير فى حدود سماحه لهم بذلك، و لأمد معدود.

فالبشر مثلاً قد زوده الله بالإرادته، و سخر له الأشياء، و حوله بعضاً من سلطاته سبحانه، و سمح له بالاستفاده منها، دون أن يفقد هو شيئاً من سلطاته الذاتيه.

مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ

ص: ٣٢٩

فليس له شفيع أو منافس أو منازع لقدرته، بل قد يكون غيره قادر ضمن قدرته و في مجرى قدرته تعالى، و بعد اذنه سبحانه.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ذَلِكَ لَأَنَّ قَلِيلًا مِنَ التَّذَكُّرِ وَالْعَوْدَةَ إِلَى الْمَقَائِسِ الْعَقْلِيَّةِ يَكْفِينَا مَعْرِفَهُ بِأَنَّ الرَّبَّ الْحَقِيقِيَّ هُوَ اللَّهُ، وَ لَيْسَتْ السُّلْطَاتُ الْجَائِرَةُ الَّتِي تَفْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الشُّعُوبِ بِالْقُوَّةِ.

[٤] و من مظاهر ربوبيته و آياته الواضحة: أن الله سبحانه هو مرجعنا الأخير، و غدا سوف نجد أنفسنا أمامه ليحاسبنا حسابا دقيقا.

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ أَيْ بِالدَّقَّةِ دُونَ أَنْ يَنْقُصَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ شَيْئًا.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

من أهداف الخلق:

[٥] و من آيات تدبير الله للكون، و هيمنتته المطلقة عليه، ذلك التقدير الحكيم، الذي نجده في كل أرجاء العالم الرحيب، ألا تجد الشمس كيف جعلها الله سبحانه ضياء؟ و ضياؤها بقدر محدد صيفا و شتاء، ضحى و ظهرا، لو زادت اشعاعاتها لاحتقرت الأرض، و لو نقصت لتجمدت بردا و ماتت الحياه فيها؟ و القمر بدوره يسيل منه ذلك النور الهادي، و هو يتحول عبر منازل، ابتداء من المحاق، فالهلال ثم البدر، ثم يتناقص حتى يعرف كل واحد من الناس ان الزمن يمر عنه، و أن عليه أن ينظّم أوقاته و يعمل بجد ليوم حاجته، إنك تجد كل يوم يشبه اليوم

الماضى تقريبا، لأن الشمس هي الشمس كل يوم، أما القمر فيتحول عبر منازل ليهديك الى التحولات اليومية التي تحصل في ذاتك ربما دون أن تشعر بها.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ
تحقيق هدف محدد.

يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [٦] واختلاف الليل والنهار دليل آخر على ربوبية الله سبحانه، ذلك لأن الاختلاف دليل الهدفيه و
التدبير.

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْتَلِفٍ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ مِمَّا لَا تَحْصِي كَثْرَهُ وَتَنوعَهُ، وَكُلِّ
واحد منها يحقق هدفا خاصا.

لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ولأنهم يتقون الله و يخشونه، فإن حجب الغفله و الجهاله لا تؤثر على قلوبهم، فتكتشف هدفيه الحياه، و ان كل
شيء قدّر لهدف محدد سلفا.

العلاقة بين هدفيه الحياه و التقوى:

ان هدفيه الحياه التي تتجلى في النظام المتين في كل أبعاد الكون، إنها تدعونا الى التقوى لماذا؟ وكيف؟

و الى هذه الحقيقه يشير الامام الصادق (عليه السلام) حين يوضح للمفضل

بن عمر كيف أن التدبير فى الكون يدلنا على ربنا العزيز فىقول:

(يا مفضل أول العبر و الأدله على البارى جل قدره تهيه هذا العالم و تأليف أجزائه، و نظمها على ما هى عليه، فانك إذا تأملت العالم بفكرك و ميزته بعقلك وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده، فالسمااء مرفوعه كالسقف، و الأرض ممدوده كالبساط، و النجوم منضوده كالمصاييح، و الجواهر مخزونه كالذخائر، و كل شىء فيها شأنه معد، و الإنسان كالمملك ذلك البيت و المخوّل جميع ما فيه، و ضروب النبات مهياة لمآربه، و صنوف الحيوان مصروفه فى مصالحه و منافعها، ففى هذا دلالة واضحه على أن العالم مخلوق بتقدير و حكمه، و نظام و ملاءمه، و أن الخالق لهو واحد، و هو الذى ألفه و نظمه بعضا الى بعض جلّ قدسه، و تعالى جده و كرم وجهه و لا اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون و جلّ و عظم عما ينتحله الملحدون. (1)

ذلك لأنك حين ترى كل شىء فى الدنيا يحقق هدفا، و يسعى فى سبيل بلوغ غايه محدده، فتتذكر حقيقه هامه فى ذاتك، هى أنك بدورك خلقت لهدف و من أجل بلوغ غايه، و هذه التذكره تصبح حجر الزاويه فى بناء كيانك الفكرى، إذا تتساءل ما هو الهدف؟ و كيف أحققه؟ و ما هى الغايه و كيف الوصول إليها؟ و عبر سلسله من التساؤلات التى تؤدى بك الى التدبّر العميق فى نفسك، و فى آفاق الكون حولك، تصل الى الهدف الأساسى من خلقك، ذلك هو العروج الى مقامك الأسمى عند الله، و تبحث عن الوسيله التى تساعدك على الوصول الى مقامك المنشود عند الله، الى مرضاه ربك العزيز المقتدر، فلا تجدها الا فى التقوى، لذلك جاء فيما بعد الآيه «إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ... لآياتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ» و جاء فى آيه أخرى:

ص: ٣٣٢

«وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (آل عمران ١٩١) حين نجد كيف يتدرج المتفكر في خلق السموات والأرض من معرفه هدفية الخلق، وأنه لم يخلق باطلا، حتى يصل الى التقوى من الله والحذر من عذابه.

ص: ٣٣٣

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاؤُهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)

هدى من الآيات:

مع هذه الآيات الواضحة المباشرة في آفاق الأرض، والتي نبهت إليها آيات الدرس السابق، لماذا يكفر فريق من الناس؟ باختصار: لأنهم لا يحبون لقاء الله، ورضوا بالحياه الدنيا، واطمأنت نفوسهم بما فيها من زخرفه و متع زائله، و زعموا بأنها باقيه لهم أبدا، ولأنهم بالتالى غفلوا عن آيات الله التى تدلهم على ان للدنيا نهايه، و أنهم خلقوا للبقاء فى عالم آخر.

و ما هى عاقبه هذا الفريق الكافر؟.

أولئك مأواهم النار، ذلك لأن هذه النظره الضيقه الى حياتهم، تجعلهم يقتربون ذنوبا و يحترفون آثاما تستوجب لهم النار.

بينما الذين آمنوا بالله، و بأن وراء حياتهم هذه حياه أخرى يهديهم الله، لذلك عملوا صالحا لحصول مرضاه الله و نعيم الآخرة، لذلك تراهم مهتدين لأن الله يجعل

من ايمانهم ضياء يهديهم به الى حقائق الأشياء، وعند الله يجزون بجنات النعيم التى تجرى من تحتها الأنهار.

إنهم يزدادون ايماننا بالله لذلك فدعأؤهم عند الله «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ» و تحيتهم فيما بينهم «السلام»، فعلاقتهم بالله و هكذا ياخوانهم تزداد متانه، و نفوسهم راضيه مرضيه و لذلك يقولون «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» .

بينات من الآيات:

هل ترجو لقاء الله؟

[٧] اللقاء مع الله خالق السموات و الأرض، الرحمن الرحيم، هدف سام يرجى بلوغه لما فيه من مصالح هامه، و لكن بعض الناس لا يرجون لقاء الله، فهم غير مرتبطين بهدف أسمى فى حياتهم، لذلك تجدهم يهتمون بعاجل الدنيا، يحسبون ما فيها من لذائذ و متع هى كل شىء.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بينما هم غافلون عما حولهم من آيات بينات، تدل على أن الإنسان أرفع درجه من سائر الأحياء، و أنه قادر على بلوغ مراتب عاليه، لذلك لا يعيشون قلق المؤمنين النفسى الذى يبعثهم الى النشاط من أجل بلوغ تلك المراتب، بل تجدهم يطمئنون بالحياه الدنيا، يرضون بما فيها من متع و لذات، كالبهيمة السائبه همها علفها!! وَ اطْمَأَنُّوا بِهَا وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ و قليل من التفكير فى آيات الله، يبعث الفرد الى الايمان بأن الدنيا هذه الحلقة الفارغه التى لا تعنى شىئا، انها أتفه من أن تكون هدف البشر، عمل و أكل و نوم،

ثم تكرر ذات الاسطوانه، أعمل لتأكل، و كل لتنام، و نم لتعمل غدا.. وهكذا!!! [٨] لأن هؤلاء الناس اطمأنوا بالدنيا، فأن الدنيا سلمتهم الى النار، لأن الذى يحسب الدنيا نهايه مطافه، يجترح السيئات و يكتسب شرا، و ذلك الشر يتحول فى القيامه الى عذاب اليم.

أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَاكْتَسَبَهُمُ الشَّرُّ هُوَ الَّذِي سَبَّبَ لَهُمُ النَّارَ، وَ لَكِنْ هَذَا الْكَسْبُ كَانَ بِسَبَبِ سُوءِ عَقَائِدِهِمْ..

النموذج المعاكس:

[٩] و فى مقابل هذا الفريق نجد الذين آمنوا بالله و باليوم الآخر، فأصبح ايمانهم هذا سببا لتطلعهم الأسمى نحو مرضاه الله، فكانت حياتهم ذات مغزى و هدف، فلم يأكلوا ليعملوا، ثم ليأكلوا ثم ليعملوا و هكذا بل أكلوا للعمل و عملوا لله، و ليس للأكل المجرد، و هكذا عملوا الصالحات، فلم يعملوا لكى يصلوا الى الشهوات العاجله، بل فقط العمل الصالح ذا النهج السليم الذى لم يضر بهم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا نَسْتَعْتَابُ لِقَاءَ رَبِّكَ إِنَّكَ بِعَيْنِنَا لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ كَمَا فَعَلَ الْكُفْرَانُ يَخْرِبُ الْمَعَادِلَةَ فِي فَهْمِ أَهْدَافِ الْكُونَ، وَ يَحْدُثُ الْحَلْقَةَ الْمَفْقُودَةَ الَّتِي تَجْعَلُ فَهْمَنَا لِسَائِرِ الْقَضَايَا فَهْمًا مَحْدُودًا، بَلْ نَاقِضًا، بَلْ مُتَنَاقِضًا، مَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَ لِمَاذَا خُلِقَ فِيهَا الشَّقَاءُ وَ الْعَذَابُ؟ وَ لِمَاذَا أُعْطِيَ الْجَبَابِرَةُ وَ الطَّغَاةُ فُرْصَةَ الْاِعْتِدَاءِ عَلَى النَّاسِ وَ هَلِ الْمَوْتُ تِلْكَ النِّهَايَةُ الْبَارِدَةُ لِحَرَارَةِ الْحَيَاةِ؟ وَ هَذَا مَا يَجْعَلُنَا نَرَى ظَوَاهِرَ الْكُونَ بَعِينٍ وَاحِدَةً، وَ مِنْ بَعْدِ وَاحِدٍ، وَ حِينَ يُؤْمِنُ

الإنسان بالغيب و بالآخره يجد تلك الحلقة المفقوده، و يكتشف السر الخفى، و بالتالى تكتمل عنده أجزاء المعادله، فيفهم كل شىء لذلك قال ربنا:

يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ هَذَا فِي الدُّنْيَا..أما فى الآخره فهم فى جنات.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

متعہ المؤمنین:

[١٠] كل ما فى الجنه بعد الموت يمكن أن نوجد منها صورہ مصغره فى الدنيا قبل الموت، بل هو انعكاس لما فى الدنيا، و المؤمنون فى الآخره يتمتعون بما يلى:

الف: انهم ينزهون الله عما يتصل بخلق الله، و كلما وجدوا جمالا- و قوه و نظاما نسبوہ الى مصدره، و هو جمال الله و قوته و حكمته، و كلما وجدوا ضعفا عرفوا بأن رب الخلق منزہ عنه، و لذلك فيمكن أن يرفع بعض النقص عن خلقه مستقبلا، لذلك فهم يتحركون فى سلم التكامل، لذلك تجد الكلمه المفضله، عندهم هى «سبحان الله» و تلك دعواهم.

دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بَاء: ان علاقتهم ببعضهم علاقه سلميه.

وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ جِيم: و علاقتهم بالأشياء حسنه، فهم أبدا راضون عما أنعم الله عليهم.

وَ آخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَّلْنَا بِهِمْ أَجْلُهُمْ فَانذُرِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسِيرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)

هدى من الآيات:

لكي يستفيق البشر من غفوتهم، يذكرهم القرآن الحكيم بما ينتظرهم من العذاب بسبب أعمالهم، الذي لو عجله الله لهم لما بقوا أحياء، إذ أن الأعمال السيئة كثيرة و عظيمة العقاب، و لكن البشر يطالب أبدا بالجزاء العاجل، دون أن يعرف أن جزاء الخير خير و جزاء الشر شر، بيد أن الله يؤخر جزاء الشر، لأمرها لهم في طغيانهم.

فطره الإنسان تدعوه الى نسيان كل عاداته و أفكاره و ثقافته الباطله، و العوده الى فطرته النقيه، فاذا مسّ الإنسان الضر، دعا ربه في أيه حاله كان، نائما على جنبه أو قاعدا أو قائما، و لكن لما كشف الله عنه الضر مشى في حياته دون أن يتذكر أن هناك ضرا مسّه، و ذلك بسبب زينه الدنيا في نفسه، خصوصا فيما أسرف فيه، و تعود عليه.

و الله يستجيب للإنسان الذي يدعو لدفع الضر عنه، الى فتره محدوده، فاذا انقضت مهلته أخذه كما أخذ القرون الماضيه لما ظلموا، و أتم الله حجته عليهم

بإرسال الرسل، ولكن لم يستغلوا فرصه الايمان و كانوا مجرمين.

ثم جعل الله الآخرين مكانهم، لا لأنه ملكهم ما فى الأرض، بل لمجرد امتحانهم.

بينات من الآيات:

العجله من الشيطان:

[١١] لقد فطر البشر على البحث عن الخير العاجل، و إذا قام بعمل حسن انتظر جزاءه فورا، و قليل من الناس أولئك الذين يعملون الآن ليحققوا مكاسب فى المستقبل البعيد.

و لكن الحياه ليست بأمانى الأحياء، لذلك تجد الجزاء قد يتأخر سنين عديده، و لو أن ربنا سبحانه خلق الحياه بحيث يجازى العاملين فيها فورا، إذا انتهت فرصه اختبار الإنسان فى هذه الحياه الدنيا.

إن جزاء من يرتكب المعاصى الكبيره أن يهلك هلاكاً، فهل ترضى ان يحيط بك جزاء معاصيك فور ما تقوم بها، و دون إعطائك فرصه للمراجعه و الإصلاح؟! كلاً..

و هكذا عليك أن ترضى بهذا الوضع عموماً، و هو تأخر الجزاء خيراً كان أو شراً، و ليس من الصحيح أن تطالب بتأخير جزاء الشر، و تستعجل الله فى جزاء الخير، فالحياء واحده، و السنن الحاكمه عليها واحده، فى حقلى الخير و الشر معا.

و لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ لِلنَّاسِ فُرْصاً مَّحْدُودَةً، و لهم أن يختاروا خلالها طريقهم، و فى نهايه المطاف سوف يأخذون جزاءهم الأوفى.

فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أَي يترك الله الذين لا يؤمنون به و باليوم الآخر حيث يلاقون فيه ربهم ليجازيهم بتركهم فاقدى الرؤيه بسبب ظلام الطغيان الذى يحيط بهم.

الطغيان عمى البصيره:

[١٢]الطغيان يفقد الرؤيه،و الإسراف ينسى النعم و يبتر أصحابها،ان المسرف يزعم أن النعم ملك موروث له،و لذلك فهو لا ينتبه الى حقيقه عبوديته و ضعفه و صغاره الأ بعد أن يفقد النعم،فتراه يتضرع الى الله حتى يعيدها عليه،فاذا انتهت محنته يعود الى سابق غروره،كل ذلك بسبب الإسراف،و بسبب الأعمال السيئه التى كان يقوم بها بدافع الإسراف،فتطبع بها و أعتاد عليها.

وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا أَي دعا ربه فى كل الحالات،أو فى مختلف حالاته الصعبه.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ فَبَدَل الْوَقُوفِ لِلشُّكْرِ تَرَاهُ يَمْشِي مِنْ دُونِ اعْتِنَاءٍ،و كأنه لم يصب أبدا بمصاب و لم يدع دعاء؟! كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ م كَانُوا يَعْمَلُونَ و على الإنسان أن يتحرر من سلبيات النعم التى ينزلها الله له،و من أخطرها حبه لنوع حياته،و استثنافه بنمط معيشته،اللدان قد يدفعانه الى الغرور و الى ارتكاب معاصى كبيره.

[١٣]الجزاء يتأخر و قد تطول المسافه بين العمل و الجزاء،بيد أن ذلك لا يعنى أبدا أن الجزاء لا يأتى،و على البشر أن يفهم هذه الحقيقه جيدا:أن الجزاء حق لا ريب فيه،و أن يذكر نفسه بمصير الهالكين من قبله،الذين أخذهم الله بشده بعد أن توافرت عوامل هلاكهم و التى تتلخص فى ثلاث فلقد ظلموا،فبعث الله لهم رسلا بالبينات فما آمنوا هنا لك أهلكهم الله.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ إِنَّهَا سَنَّهُ عَامَهُ تَخْتَصُّ بِالْقُرُونِ السَّابِقَةِ،فعلينا جميعا انتظار ذات المصير إذا أجرمنا.

[١٤]و بالذات على المجتمعات أن تدرك هذه الحقيقه الهامه ان وجود نسبه عاليه من الفساد الخلقى أو الاقتصادى أو السياسى،سوف تقضى عليها قضاء تاما و لو بعد حين،لذلك ينبغى أن ينشط الجميع من أجل تقليل هذه النسبه حتى لا تنطبق عليهم صفه القوم المجرمين.لذلك ترى القرآن يذكرنا بأننا خلانف أولئك الهالكين،و تنطبق علينا ذات القوانين الفطريه.

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَنَحْنُ خُلَفَاءُ أَوْلِيَاكُمْ،و الهدف من إعطاء الفرصه لنا دونهم أن الله يريد أن يبتلينا،فهل نعقل تجاربهم و لا نكرر اخطاءهم أم ماذا؟!

اشاره

وَ إِذِ اتَّخَذْتُمُ الْآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ لَقَاءَنَا اِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا اَوْ بَدَّلْتَهُ فُلِي مَا يَكُونُ لِي اَنْ اُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي اِنْ اَتَّبِعُ اِلَّا مَا يُوْحٰى اِلَيَّ اِنِّي اَخَافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا اَذْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ (١٦) فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرٰى عَلٰى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ اِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُوْنَ (١٧)

هدى من الآيات:

حين يعيش البشر فى حدود لحظته الحاضره، و لا ينظر بعيدا فى مستقبله، و لا يرجو لقاء الله فى الآخره، فسوف يتخذ من آيات الله موقفا خاطئا، حيث تراه حين تتلى عليه آيات الله الواضحه يطالب الرسول بتغيير القرآن، أو تبديل آياته، و كأن الرسول هو صاحب القرآن، أو كأن الحقيقه تبدل و تتغير حسب أهواءه، و لا يعلم أن الرسول نفسه يخشى ربه، فلو عصى ربه و لم يبلغ رسالته، أو لم يطبقها فيكون جزاؤه عذابا فى يوم القيامه ذلك اليوم العظيم. و من هنا لم تكن الرساله من صنع الرسول، بل لو لم يشأ الله ما تلاها على الناس و لم يعلمهم، و الشاهد على هذه الحقيقه أن الرسول كان يعيش بين أظهرهم فتره طويله و لم يبلغهم شيئا من الرساله، و الرسول يعرف أن افتراء الرساله على الله جريمه كبيره، و أنه لا يفلح المجرمون، فهو لا يقوم على هذا العمل بدافع الغفله أو التهاون، إذا فرسالته انما هى من الله سبحانه.

الإيمان طريق المعرفة:

[١٥]الإيمان بالآخره يؤثر بصوره مباشره فى فهم الحقائق، إذ أن الغرور و الاستكبار و دواعى الشهوه و الغضب قد يكون كل أولئك سببا فى نكران الحقيقه، أو عدم الانتباه إليها، و التهاون بشأنها، فاذا آمن البشر باليوم الآخر و عرف ما فيه من أهوال و عذاب أليم، عاد الى رشده و أخذ يفكر فى الحياه بواقعيه لكى ينقذ نفسه من شرور ذلك اليوم.

من هنا تجد الذين لا يؤمنون و لا يرجون لقاء الله، يستهينون بآيات الله الواضحه، و يطالبون الرسول بتغيير القرآن جملة واحده، أو لا أقل تبديل تلك الآيات التى تمس مصالحهم و تخالف ثقافتهم، فالمستكبرون مثلا يطالبون بقرآن يؤيد تسلطهم اللامشروع على المستضعفين، و المسرفون يطالبون بقرآن يبزر استغلال المحرومين..

و هكذا.

و لكن هل القرآن كتاب الرسول أم كتاب الله؟ و كيف يغير الرسول كتاب ربه، و هو يؤمن بيوم القيامه، ذلك اليوم العظيم الذى يجعل الولدان شيبا؟ إن ايمان الرسول بلقاء الله يمنعه من تبديل رساله الله، أو الخضوع لضغوط البشر الهادفه تغيير بنود القرآن.

وَ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلُوهُ بَدْلًا غَيْرَهُ كَلِمَاتٍ

قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِنَا نَفْسِي

فالكتاب كتاب حق و علم و عقل، و لا يداخله هوى النفس و شهواتها و مصالحها.

إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنَّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فالرسول يتبع الوحي و يدعو الناس الى إتباعه، و هو يخشى ما ينبغى أن تخشاه، و هو عذاب يوم القيامة ذا الأهوال.

دلائل إلهية الرسالة:

[١٦] و لو شاء الله سبحانه لمنع الوحي عن رسوله، فلم يستطع تلاوته على الناس و اعلامهم بما يحتويه، و الشاهد على ذلك أن الرسول بقى فى قومه عمرا طويلا- و زمنا ممتدا، و لكنه لم يبين لنا شيئا من ذلك الشلال الهادر من الهدى و البيئات، و لو كان الكتاب من نفسه و أفكاره و ملاحظاته و تجاربه، إذا نشره فى كل مناسبة خلال هذ الفتره الطويله.

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ كَمَا أَنْ رَبَّنَا قَادِرٌ عَلَى تَوْقِيفِ الْوَحْيِ فَلَا يَقْدِرُ الرَّسُولُ عَلَى تَلَاوْتِهِ.

و لا- أذراكم به أى لم أكن أكثركم درايه و علما بالكتاب، بل كنت كأحدكم، أفكارى تشبه أفكار المجتمع الذى أعيش فيه، و الوسط الحضارى الذى ترعرعت فيه، بينما لم تكن هذه الأفكار و تلك البيئات و البصائر شبيهه أبدا بما كان فى الجاهليه لا من قريب و لا من بعيد.

ان أعداء الرسالة حاولوا ربط أفكارها الجديده بما لدى الفرس و الروم، أو

بالسحر و القوى الغيبية الأخرى، لأنهم وجدوا تناقضا حادا بينها و بين الأفكار الشائعه فى وسطهم الثقافى، كما أن فريقا من المستشرقين و أدعياء علم التاريخ يحالون ربط بينات القرآن بما كان عند الأحيار و الرهبان من أفكار.

بيد أننا نرى تناقضا واضحا بين هدى و بينات و بصائر القرآن، و بين الثقافه المسيحيه الخليطه بالوثنيه المانويه، أو النيو أفلاطونيه التى كانت شائعه آنئذ فى عالم اليهود و النصارى.

من هنا كان واضحا أن ما جاء على لسان الرسول كان وحيا خارقا للعادات و القوانين السائده، طاهرا نقياً عن مؤثرات الوسط الاجتماعى أو الثقافى للرسول، و لذلك أكد القرآن على هذه الحقيقه قائلاً:

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ خالل ذلك العمر الذى بلغ الأربعين عاما تبلورت شخصيه الرسول و أفكاره، و كانت بمستوى الوحي الذى بدأ ينزل عليه متتاليا بنسق واحد و بأسلوب مختلف جدا.

ان المهندس يتعلم القراءه و الكتابه ثم يعطى معلومات موجزه عن الرياضيات، و من ثم يتدرج فى تعلم أوليات الهندسه، و كل يوم يزداد علمه حتى يتخرج من الكليه بصفته مهندسا، لأنه قبلئذ كان يعلم كثيرا من المعلومات الهندسيه، و لكن إذا نام هذا الرجل و استيقظ مهندسا، و كانت معلوماته كلها جديده بالنسبه اليه، أو ليس فى ذلك دليل واضح على ان علمه كان غيبيا؟! [١٧] و الرسول كان يؤكد على هذه الحقيقه و هى أن نسبه فكره أو رؤيه الى الله جريمه نكراء، و أن جزاءها العاجل هو عدم وصول صاحبها الى هدفه الذى رسمه

لنفسه، وبتعبير أوضح أنه لا يفلح، من هنا لم يكن يقدم على هذه الجريمة، و لم يكن ينسب الوحي الى الله لو لم يكن من عنده فعلا.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ و عاده ما يكون المفتري على الله كذبا هو ذاته الذى يكذب بآيات الله، لأن البشر ينتمى الى مبدأ معين و ذلك المبدء قد يكون رساليا، و قد يكون جاهليا، فاذا انتمى الى المبدء الجاهلى لا بد أن يبرر انتماءه فيفتري على الله كذبا، ليدعى ان مبدءه حق و ان المبادئ الأخرى باطله.

و كلمه اخيره: ان بعض الناس لا يفترون على الله الكذب بصورة مباشرة، و لكنهم يعتبرون نيات فكرهم و تخرصات أهوائهم هى الحق الذى لا ريب فيه، و هذا بدون شك نوع من الاجرام بحق أنفسهم و بحق الفكر السليم، و هو يؤدي حتما الى الفشل و عدم الفلاح.

ص: ٣٤٩

اشاره

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَا شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) وَيَقُولُونَ لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠)

هدى من الآيات:

عدم الايمان بالآخره يجعل البشر يتخبط في مواقفه،فتاره لا يؤمن بالرساله كما رأينا فى الـدرس السابق،و تاره يتخذ من دون الله شفعاء يزعم بأنهم شركاء لله فى سلطانه،و لا يفقه هذه الحقيقه البسيطه و هى أن مقام الألوهيه لا يحتمل التعدد،فهو أرفع و أقدس من أن ينازعه شىء،و أن الله لا يعلم لنفسه شريكا فى عرض السموات و الأرض،و أن هذه العباده المزدوجه لا تجديهم نفعاً،و أن هؤلاء الشركاء أو الشفعاء لا يقدرّون على الحاق ضرر بهم لو تركوا عبادتهم.

و الله سبحانه لم يخلق بعض الناس كفارا و البعض مسلمين بل خلقهم أمه واحده،الأ-انهم كانوا مختارين،فاختار طائفه منهم الهدى،بينما ضلّ الآخرون.

و لقد سبقت كلمه الله بتأجيل قضاء الحق بينهم الى أجل محدود و لولاها لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه.

و يطالب البعض بان ينزل الله آيه على رسوله،آيه معينه حتى يضطروا للايمان

بالرسالة، بينما جعل الله الدنيا دار اختبار و هو يعلم بالحكمه، و النهايه سوف تكون للرساله باذنه.

بينات من الآيات:

بمن نتشفع؟

[١٨] لماذا يعبد البشر غير الله؟ و لماذا يستسلم للأصنام كرمز للطبيعه أو للطاغوت، كرمز للقوه أو للمستكبرين كرموز للقيم الزائفه؟ إنه يخضع لكل أولئك و يطيعها، لزعمه أنها تضر و تنفع، فيستسلم لها رهبا و رغبا، و لكنها فى الواقع لا تضر و لا تنفع، إلا أن يشاء الله، فهى محكومہ بقدره اللہ، و القوه التى تملكها الطبيعه أو البشر انما هى مخوله إليها من قبل الله سبحانه و ليست شريكه لله حتى يتخذها البشر شفعا عند الله، إذ أن الله لا يحتتم عليه شىء، و الشفيع يجب أن يكون بحيث يستطيع الضغط على الله تعالى أو يكون قد اذن له الرب فى الشفاعة.

و يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ بَلَى.. لو أمر الله بطاعه أحد مثل الرسل و أولى الأمر الذين تتمثل فيهم القياده الرساليه، إذا لم تكن الطاعه من دون الله بل كانت بإذن الله و بأمره، و لذلك تصبح طاعه الرسول و أولى الأمر من بعده شفيعه عند الله، لأنها باذنه الله و لتحقيق مرضاته.

و السؤال الذى يطرحه القرآن على هؤلاء هو: هل هناك شريك لله أو شفيع عنده لا يعلم به الله؟! قُلْ أَ تَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ

لو كانت هناك قوة غير الله حاكمه في السموات والأرض لعلم بها الله حتماً، و لكانت رسالته تكشف عنها و تأمرنا بالتقريب إليها.

سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ فالله قدوس و منزه عن أن يجد سلطانه الواسع شريك، و هو أعلى من أن يصل الى مقامه الأسمى شريك.

سبب الاختلاف:

[١٩] هل أن ايمان طائفه من الناس و كفر أخرى مرتبطه بطينه الناس و فطرتهم؟ أو أن الله خلق هؤلاء كفارا و أولئك مسلمين؟ أم ماذا؟ يقول القرآن:

وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً خَلَقَهُمُ اللَّهُ بِصُورِهِ وَاحِدَةً، وَ أَعْطَاهُمْ جَمِيعًا قُدْرًا مِنَ الْعَقْلِ يَكْفِيهِمْ لِهَدَايَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَ لَكِنْ بَعْضُهُمْ اسْتَفَادَ مِنْ عَقْلِهِ بَيْنَمَا غَفَلَ عَنْهُ الْآخَرُ، وَ كَانَ الْاِخْتِلَافُ بِفَعْلِهِمْ هُمْ لَا بِسَبَبِ خَلْقَتِهِمْ.

فَاخْتَلَفُوا وَ أَمَهَلَهُمُ اللَّهُ حَتَّى يَتِمَّ اخْتِبَارُهُمْ.

وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ -حَسْبَمَا يَبْدُو لِي- هِيَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ ابْتِلَاءٍ وَ لَمْ يَجْعَلْهَا دَارَ جَزَاءٍ.

[٢٠] ولجهل الناس بحقيقه الدنيا، فهم يزعمون انّ على الله أن يجبرهم على الهدى جبراً، ولا يعلمون ان على أنفسهم مسئولية الاهتداء الى الحق، وذلك بتشغيل عقولهم بحثاً عن الحقيقه.

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَبِهُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ان الله يعلم الغيب، و من الغيب الحكمه البالغه التي يعلم بها، أن أى قدر من الآيات يكفى الإنسان فى بحثه عن الحقيقه لو استخدم عقله، أما أن يريد تدخل الله فى أمور الحياه مباشره فذلك أمر يحتاج الى وقت، حيث أنه بعد انقضاء مهله هؤلاء سوف يأخذهم الله بعذاب عظيم.

وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرِعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) هُوَ
الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا
هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ لِيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ (٢٣)

هدى من الآيات:

و فى سياق الحديث عن الذين يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم، و للدلاله الفطريه على واقع هذه العباده، يبين لنا الله سبحانه موقف الناس من آيات الله، و كيف يتبدل حسب اختلاف حالاتهم النفسيه، فاذا كانوا فى شدّه و ضراء ثم أسبغ الله عليهم نعمه، و جعلهم يتحسسون برحمته، تجدهم يحتالون على آيات الله و يناقشون فيها حتى لا يؤمنوا بها بكل وسيله ممكنه، بينما الله سريع الجزاء لما يفعلون، و قد أوكل سبحانه أمر كتابه أعمالهم و مكرهم الى الملائكه المرسلين إليهم.

و كمثل على هذه الحاله أن الله يوفّر للإنسان أسباب السير فى البر و البحر، و يركب الناس السفن الشراعيه، و يهب عليها نسيم هادئ يفرحون به لأنه يؤنسهم و يسير سفينتهم، و لكن بعدئذ تأتيهم ريح عاصف يهيج بها أمواج البحر حتى تحيط بهم من كل جانب، و يظنون أن الهلاك قد اقترب منهم هنالك ينسون الشركاء و يخلصون العباده لله، و يدعونه و يتعهدون انه لو أنجاهم يصبحون من

الشاكرين.

بيد أنه حين يخلصهم الله من ورطتهم تراهم يفسدون في الأرض، و يرتكبون المعاصي، بينما تلك المعاصي موجهه ضدهم، لأنها بالتالى متاع الحياه الدنيا المحدوده، و بعدها ينتقل البشر الى ربه ليجازيه.

بينات من الآيات:

المكر بعد الرحمه:

[٢١]الرحمه بعد الضراء ليست كالرحمه من دونها،فحين تكون مريضا يستبد بك الألم و الخوف،فتنزل عليك رحمه السلامه و العافيه،و حين تكون فقيرا يضيق بك رحب الدنيا و تلاحقك أعين الناس ازدراء،فتهبط عليك رحمه الغنى و العزه،آنئذ تشعر عمق لذّه النعمه،بذات الحساسيه التى شعرت بألم الضراء.

و الإنسان الذى تذوق الرحمه و أحس بمس الضراء،عليه أن يعترف بأن الله هو مدبر الخير و الشر،و أنه لا يملك من ذاته شيئا،و لكنه لا يفعل ذلك.

وَ إِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا يحاولون تفسير الآيات بما يتناسب و غرورهم،أو يسعون فى طمس معالم الحقيقه التى تخالف مصالحهم و أهواءهم،أو حتى أنهم يتصرفون فى نعم الله،بغير الوجه السليم الذى يضمن استمرارها،و آنئذ يأخذهم الله بعملهم السيء.

قُلِ اللَّهُ أَسْرِعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ان مكر الله هو تقلاب الأمور وفق السنن التى يجريها فى الحياه، و التى تقضى بزوال النعم التى لا يشكرها الناس،و لا يحافظون على عواملها السلوكيه و النفسيه.

ص:٣٥٧

ان ملائكة الله يحصون على الإنسان كل صغيره و كبيره حتى لا يقدر على التحايل عليهم،و الادعاء بأنه قد عمل صالحا.

و يبدو أن هذه الآيه تصدق على الحضارات البشريه التي تبدء بصعوبات كبيره حتى تبلغ مرحله النضج و يعم الرخاء، ثم يمكر البشر فى آيات الله فتنحدر الى الحضيض، كما تنطبق على حياه كل واحد من البشر، تحمل الصعاب حتى بلغ منيته، و لكنه أغتر بعنذ بنعم الله عليه فكفر بها، فأزالها الله عنه.

[٢٢] و كمثل على هذه الحقيقه يبين ربنا سبحانه قصه راكبي البحر بالسفينه الشراعيه التي وقفت فى عرض البحر بسبب ركود الهواء، ثم تهب عليها ريح طيبه فيستبشرون بها، و لكنهم فى ذات الوقت يفرحون بها مما ينسيهم شكر الله.

و بعد فتره من الوقت يحيط بهم الخطر بسبب تحول الريح الطيبه الى ريح عاصف تثير الأمواج العاتيه حول السفينه، فلما رأوا ذلك تضرعوا الى الله سبحانه لينقذهم من الخطر، فلما نجاهم إذا هم يكفرون.

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ أَيْ أَحَاطَ بِهِمُ الْخَطَرُ بِحَيْثُ أَصْبَحُوا مُحَاصِرِينَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ دُونَ قُدْرَةِ عَلَى الْفِرَارِ، وَ رَبَّمَا الظن هنا- كما فى سائر الآيات- بمعنى التصور فهو أشد وقعا فى النفس و تأثيرا.

دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أَيْ كَانَ ادْعَاؤُهُمْ مُخْتَلِفًا عَنْ دَعَائِهِمُ السَّابِقِ، ففى السابق كانوا يدعون الله

و الشركاء معا، و كانت قلوبهم منقسمه بين الله و الشركاء، و لكن الآن أخلصوا التزامهم بالله، و صفوا قلوبهم من رجس الشرك.

لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ مَاذَا كَانُوا يَعْنُونَ بالشكر؟ هل هو مجرد ترداد كلمه شكرا لله؟ أم فوق ذلك الالتزام بكل ما أمر الله من واجبات؟ من الواضح أن الشكر بالمفهوم الأول كان بسيطا و كانوا مستعدين له أبدا، أما الذى لم يفعلوه فهو الشكر بالمعنى الثانى.

الكفر بعد الشكر:

[٢٣] و هكذا مكروا فى آيات الله، و أخذوا يظلمون بعضهم و يستغلون رحمه الله أذاه للباطل، و أخذوا يسرفون فى نعم الله كما فعل قوم لوط، و كانوا يفسدون فى الأرض كما فعل فرعون و قومه، و أخذوا يستكبرون فى الأرض بالباطل كما فعل عاد و ثمود و هكذا.

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَيَّ ان هذا الظلم، و هذا التحويل فى طريقه الانتفاع من آيات الله، ان ذلك سوف ينعكس عليكم، ذلك لأنه مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

اشاره

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)

اللغة

٢٤[تغن]:غنى بالمكان اقام به و المغانى المنازل.

٢٦[يرهق]:الرهق اسم من الارهاق و هو ان يحمل الإنسان على مالا يطيقه و منه سأرهقه صعودا.

[قتر]:القتر الغبار و القطار الدخان.

هدى من الآيات:

فى الدرس السابق بين الله لنا أن الذين يمكرون فى آيات الله بغيرهم على أنفسهم، لأن متاع الحياه الدنيا قليل.

و فى هذا الدرس يعطينا السياق رؤيه عامه تجاه الحياه الدنيا، و يضرب لنا مثلا ببعض ما نراه ظاهرا من تحولات طبيعیه، كالماء ينزل من السماء و يختلط به نبات الأرض من فواكه تأكلها الناس، و أعشاب تأكلها الأنعام، و تزدهر الأرض و تصبح بهيجه و مزينه، حتى تصوّر أهل الأرض أنها أصبحت محكومہ لهم، و أنهم قادرون عليها، و على أنواع التصرف فيها، و لكن لا تبقى هذه الحاله إذ سرعان ما يأتيها أمر الله ليلا- أو نهارا بعاصفه ثلجيه، أو سيول هادره، فاذا بها تحصد حصدا و كأنها لم تقم هكذا سابقا. هكذا يضرب الله لنا مثلا، من ظواهر الدنيا التى هى آيات الله التى ينبغى أن نتفكر فيها.

و ما دامت الحياه غير مأمونه العواقب، فعلينا أن نفتش عن أمان، و الله يدعو الى

ذلك و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم، يبلغهم دار السلامه و الأمن فى الدنيا، و فى الآخره حيث يضمن للذين أحسنوا الفكر و العمل الحياه الحسنى و زياده على فعلهم الحسن، تلك الزياده قد تكون فى غناهم الروحى و المادى، و أنهم أصحاب الجنه هم فيها خالدون.

بينما الذين عملوا السيئات يجازيهم الله بمثل ما فعلوا، و تحلق بهم الذله، و لا يستطيع شىء أن يمنع عنهم عذاب الله، و وجوههم مسوده كأنما قد أحاط بها الظلام، و هم أصحاب النار فيها خالدون.

بينات من الآيات:

وحدانيه الخلق و التدبير:

[٢٤] الذى خلق الطبيعه خلق الإنسان، و الذى يقلب ظواهر الطبيعه من حال لحال، هو الذى يقلب حياه البشر، و لو تفكر الإنسان فى خلق الطبيعه لعرف الكثير من خلق البشر.

و المنهج القرآنى الفريد يذكرنا بهذه الحقيقه من خلال الأمثال التى يضربها من واقع الطبيعه و يطبقها على واقع الإنسان، فمثل حياتك فى الدنيا و ما فيها من طفوله و شباب و كهوله، انما هو مثل الأرض شتاء و ربيعا ثم خريفا فصيفا.

انك ترى الأرض هامده فينزل الله عليها ماء من السماء، و يكون الماء عاملا مساعدا لتفاعل ذرات الأرض مع بعضها، فالأملاح تدخل فى قلب البذره الحيه، فتتمو هذه الاخيره و تصبح فاكهه لذيذه يتمتع بها الناس، و عشبا غنيا يأكله الانعام، و تفترش الأرض بساطا مزروعا فيه منافع الأرض و زيتتها، و يتصور الناس ان هذه الحاله دائمه لهم و أنه المسيطرون على خيرات الأرض، و لكن سرعان ما يعصف

ص: ٣٦٣

بالزرع أمر الله في صورته عاصفه ثلجيه فتصبح الأرض بلقعا، و كأنه لم يكن عليها شىء قائم بالأمس.

و هكذا حياتك تبدء بالنشاط و الزهو، و يبارك الله فيها بالغنى و القدره حتى تغتر بنفسك، و تزعم أنك قادر على ما تشاء، فاذا بك تحاصر من حولك بالمرض، و العجز و الفقر، و لا تقدر على شىء، إن علينا ان نتفكر مليا فى آيات الله فى الحياه.

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ أَى اختلط بسبب الماء نبات الأرض ببعضه، و أنتج ما يأكله الناس و ما يستفيد منه الأنعام.

حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ يَدُو أَنْ الزخرف هى منافع الأرض، و تزيين الأرض مباحجها الظاهره.

وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْمَأْمُسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فالآيات الالهيه سواء تلك التى يراها الإنسان على شاشه الطبيعه، أو التى يسمعها من فم الرساله، انها واضحه المعالم لمن تفكر فيها و اعتبر بها.

إلى دار السلام:

[٢٥] و هكذا الحياه تتقلب حتى تبلغ نهايتها الصاعقه، و الله يدعو عباده الى دار السلام التى تصونهم من العواقب الوخيمه، و ذلك عن طريق هدايتهم الى صراط مستقيم يصلون عبره الى أهدافهم الصالحه.

وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [٢٦] كيف يكون عند الله دار السلام التي يدعوا إليها ربنا عبر صراط مستقيم؟ إن دار السلام تعنى فى الدنيا تلك المناهج الالهيه للأعمال الحسنه، و التى تؤدى الى الحياه الحسنى.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةُ اللَّهِ يضاعف لمن يفعل الحسنات، لأن ربنا سبقت رحمته غضبه، و هو أرحم الراحمين قبل أن يكون شديد العقاب، و من مظاهر الحياه الحسنى أن ظلام الشهوات و الأهواء لا يحجب عقولهم، و أن ذلّه السيئات لا تحيط بشخصياتهم، فرؤيتهم واضحه، و نفوسهم عزيزه.

وَ لَا يَزْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَ لَا ذَلَّةٌ أَى لَا يَلْحَقُ وُجُوهُهُمْ غبار و لا صغار.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ و الشهوات فى الدنيا ظلام فى الآخره، كما أن الغرور و الاستكبار ذلّه و صغار فى الآخره، و لذلك

جاء فى الحديث المروى عن رسول الله :

«ما من عين ترقرت بمائها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار، فان فاضت من خشيه الله لم يرهق ذلك الوجه قتر و لا ذله» (١)

ص: ٣٦٥

[٢٧] أما الذين عملوا السيئات فأصبحت ثقلا على ظهورهم، فإن جزاء كل سيئه تكون بقدرها تماما دون أن ينقص منها شيء، و تلحقهم ذله و صغار بسبب تلك السيئه، و تحيط بهم ظلمات السيئات فتحجب عنهم الرؤيه السليمه و كأنها قطع من الليل.

وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَ تَزَهُقُهُمْ ذُلٌّ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ فَلَا يَفْكَرُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْخَلَاصِ مِنْ جَزَاءِ سَيِّئَاتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ عَنِ طَرِيقِ الشَّرْكَاءِ كَلَّا..

كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أَى كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَغْشَى وَ سَتَرَ وُجُوهُهُمْ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، هَكَذَا يَحِيطُ بِهِمُ السَّوَادُ، وَ هَكَذَا تَسَبَّبَتِ الشَّهَوَاتُ افْتِقَادَ النُّورِ وَ الرَّؤْيِيهِ.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ان كل واحد منا معرض لان يكون من مصاديق هذه الآيه، الا أن يوفقه الله للتوبه من سيئاته و العمل بمناهج الله سبحانه.

اشاره

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ (٢٨)
فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)

اللغه

٢٨[فزَيْلَنَا]:التنزيل التفريق مأخوذه من قولهم زلت الشيء عن مكانه أزيله و زيلته للكثرة و زيلت فلانا إذا فارقته هنا لك اي في ذلك المكان.

هدى من الآيات:

فى الدروس السابقه ذكرنا القرآن بأن الشركاء من دون الله لا يضرّون و لا ينفعون، ثم أعطانا رؤيه متكامله تجاه الحياه الدنيا، و التى ينبغى أن تكون كافيه للإنسان فى توحيد الله و نبذ الشركاء.

و عاد السياق ليحدّثنا عن قضيه الشركاء بتصوير مشهد من مشاهد يوم الحشر، حيث يجمع الله الشركاء و المشركين جميعا، و يفرز بينهما و ينكر الشركاء أساسا أنهم كانوا يعبدون من دون الله، و يشهدون الله أنهم كانوا غافلين عن عباده المشركين لهم، فما ذا ينتفع البشر من عباده من هو غافل عن عبادته؟! و هنالك تكشف لكل نفس ما أسلفت فى الدنيا، و يردون الى الله قائدهم و مولاهم الحقيقى، بينما يتلاشى الشركاء الذين كانوا يجعلونهم شفعاء عند الله افتراء على الله و الحق.

و كشف الحجاب:

[٢٨] و فى يوم القيامة تتوضح الحقائق بحيث لا يقدر أحد على إنكارها، و حين نتصور- و نحن فى الدنيا- مشاهد ذلك اليوم، يكفينا هذا التصور، توضيحا للحقيقة، و كشفا لمعالمها، لماذا؟ لأن الذى يحول بيننا و بين فهم الحقيقة هو الغفلة، أو الغرور و الاستكبار، و تصور مشاهد يوم الحشر يذوّب حجب الغفلة و الغرور عن أنفسنا، و يجعلنا نرى الحقيقة بلا حجاب، و لذلك يرفع القرآن الستار لنرى مشهد الحوار بين المشركين و بين آلهتهم التى عبدوها دهرا زاعمين بأنها تنفعهم يوم القيامة.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً الشُّرَكَاءَ الْمَزْعُومِينَ وَ مِنْ عِبْدِهِمْ.

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ أَيَّ أَنْتُمْ جَمِيعاً لَكِي تَسْأَلُوا، ثُمَّ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَغْبُونَ لَقَدْ أَنْكَرَ الشُّرَكَاءُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ إِنْ كَارَا كَامِلًا، كَمَا أَنْكَرَتِ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ فِي آيَةِ أُخْرَى، وَ فِي الْوَاقِعِ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عِلْمَهُمْ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْقَادِمَةِ.

التبرى من المسؤليه:

[٢٩] و اشهد الشركاء الله سبحانه على أنهم كانوا غافلين عن هذه العباده.

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ و سِوَاء كَانَ الشُّرَكَاءَ الْأَصْنَامِ الْحَجَرِيَّةِ، أَوِ الْجِنِّ وَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ حَتَّى الْأَصْنَامِ الْبَشَرِيَّةِ، فَهِيَ غَافِلَةٌ عَنِ طَاعَةِ الْمُشْرِكِينَ لَهَا وَ غَيْرِ مَهْتَمَةٍ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا مُشْغُولَةٌ عَنْهَا بِقَضَائِيهَا الْخَاصَّةِ.

[٣٠] وَ عِنْدَ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَظْهَرُ حَقَائِقُ كُلِّ نَفْسٍ وَ أَعْمَالُهَا الَّتِي أَسْلَفَتْهَا فِي الدُّنْيَا، وَ تَقِفُ أَمَامَ اللَّهِ الْمَوْلَى الْحَقَّ الْبَشَرِيَّةَ لِتَجِيبَ عَنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ.

هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَقَدْ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ بَأْسًا عَظِيمًا يَخْضَعُ لِضَغْطِ الشُّرَكَاءِ، وَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ بَأْسًا سَبْحَانَهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، أَمَّا الْآنَ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُوجُودًا أَمَامَهُمْ، لَقَدْ ابْتَعَدَ عَنْهُمْ وَ تَلَاشَى كَمَا يَتَلَاشَى السَّرَابَ.

ص: ٣٧٠

اشاره

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

و الفسق حجاب البصيره

هدى من الآيات:

من أجل اقتلاع جذر الشرك من قلب الإنسان الذى خلق ضعيفا، يتابع السياق لحديث عن التوحيد، و يتساءل عن الرزاق الذى ينزل الرزق من السماء ماء و أشعه، و يفجر الأرض رزقا و رحمه، أو ليس الله؟ و من يعطينا أداه الرؤيه و السماع أو ليس الله؟ و يخرج الميت من الحى و بالتالى من يدبر أمر الكون، و يستوى على عرش السموات و الأرض و بيده ملكوتها؟ إذا سألتهم فسوف يقولون جميعا أنه الله، و هنا يبرز السؤال التالى: إذا لماذا لا تتقون ربكم؟ و لماذا لا تخشونه؟ انه الله ربنا جميعا الحق الذى ليس بعده إلا الضلال، فأين مكان الشركاء؟ و أين تصرفون أيها المشركون فى أى واد و أى سبيل منحرف؟! و سؤال أخير: لماذا لا يؤمن هؤلاء جميعا برغم وضوح الآيات و الجواب: هو أن

هؤلاء قد فسقوا و الفسق يحجب البصيره.

بينات من الآيات:

رزق الأرض و السماء:

[٣١] يهبط من السماء الماء، و لكن ليس بطريقه عشوائيه، بل بحكمه بالغه، فالماء لا يسيل كما تنفتح القربه، حتى يفسد الأرض و يخرب البيوت، و يأتي مشفوعا بالمواد الضروريه للزرع، و ينزل معه فراتا سائغا، و يأتي بقدر نافع لا يزيد و لا ينقص و بالتالى فهو رزق للإنسان متناسب مع حاجات البشر حجما و نوعا، مما يدلنا على أن خالق الإنسان هو رازقه الماء من السماء، و الشمس تشع على الأرض، فتغنى التربه موادا نافعه لرزق الإنسان كميه و كيفيه، مما يدلنا أيضا أن خالق الشمس هو خالق البشر و هكذا يرزق الله عباده من السماء.

و مخازن الرزق متواجده فى الأرض، فالأحواض الطبيعيه الضخمه داخل الأرض تستقبل مياه المطر لتخرجها فى صوره ينابيع، و قمم الجبال تجمد الماء من الشتاء الى الصيف، و التربه تخزن المواد المفيده، و هكذا يرزق الله عباده من الأرض.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَوْ لَيْسَ هُوَ ذَلِكَ الْقَادِرُ الْحَكِيمُ الرَّحِيمُ بِالنَّاسِ، أَوْ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ؟!!

من الخالق؟

و نتساءل: من الذى يوفر للإنسان فرصه الاتصال بالحياه رؤيه أو سماعا، بما يستلزم من أنظمه معقده فى مخ البشر و أعصابه، و الياف عينه، و عظام أذنه، و بما يحتاج من ضياء و هواء يحمل الى عيوننا و أسماعنا تموجات النور على الأشياء

ص: ٣٧٣

وذبذبات الصوت على الهواء؟ أو ليس هو ذلك الخبير اللطيف، أو ليس هو الله؟! أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ جَمِيعًا هُوَ التَّطَوُّرُ الْهَائِلُ الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْأَشْيَاءِ صَعُودًا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَ نَزُولًا مِنَ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَوْتِ، مِنَ الَّذِي يَدْبُرُ هَذَا التَّطَوُّرَ أَوْ لَيْسَ مَالِكُ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ؟! وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنَّ الْحَيَاةَ هَبَّةٌ الْهِيَّةُ تَعْطَى لَشَيْءٍ فَيَصْبِحُ حَيًّا، وَ يَنْفَصِلُ مِنْ وَاقِعِ الْأَشْيَاءِ الْمَيِّتَةِ بَعْدَ أَنْ يَكْتَسِبَ مِنْهَا مَوَادَّ مَيِّتَةٍ، فَالْبَشَرُ -مَثَلًا- كَانَ نَطْفَهُ أَعْطَاهَا اللَّهُ الْحَيَاةَ، ثُمَّ تَتَغَذَّى النَطْفَةُ مِنَ الْمَوَادِّ الْمَيِّتَةِ، فَتُضَافُ إِلَيْهَا وَ تَصْبِحُ تِلْكَ الْمَيِّتَةُ بِدَوْرِهَا ذَاتَ حَيَاةٍ، وَ الْعَكْسُ يَحْدُثُ هَكَذَا!!! وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أَنْ يَقِيْدَهُ الْكُونُ مِنْظَمَةً، وَ هِيَ تُوْحَى إِلَيْنَا بِضُرُورِهِ مِنْ يَشْرِفُ عَلَيْهَا وَ يَدْبُرُهَا، لَا يَكُونُ غَيْرَ اللَّهِ، وَ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ لَوْ وَجَّهْتَهَا إِلَى آيٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ..

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

لماذا الانحراف؟

فما دام الله هو فاعل كل ذلك فلما ذالنا نخشاه و نتقه؟ و نعمل بمناهجه؟ إن القرآن الحكيم يربط بين النظره الشامله الى الكون و بين البصيره السلوكيه الخاصه، و هذا الربط هو الذى ينقص كثيرا من الناس، حيث يجهلون أن سلوكهم يجب أن يكون منسجما مع مسيره الكون كلها، و مع الحقائق التى يهتدى إليها الإنسان من

خلال تفكره في هذه المسيره.

[٣٢] وإذا شذَّ البشر عن المسيره العامه للوجود فالى أين يشذ؟ أو ليس الى الضلال؟ هل هناك حقائق في هذه الحياه؟ هناك حق واحد يجب أن نفتش عنه، و نطبقه على واقعنا.

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ إِلَى الْبَاطِلِ أَمْ أَنْكُمْ تَعْمَلُونَ
من دون تفكر؟! [٣٣] و يبقى تساؤل إذا كانت القضيه بهذا الوضوح، فلما ذا يتعمد البعض بتجاهلها و إهلاك أنفسهم؟ و يجيب القرآن الحكيم: إن السبب هو فسق هؤلاء الذى يمنعهم من الايمان، هذه سنه الله فى الحياه: أن الفاسق لا يؤمن.

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ و لا يدل ذلك على أن الله يمنعهم عن الايمان منعاً بل على أنهم
عاده لا يؤمنون، و ذلك بسبب تكاثف حجب الفسق على أعينهم و بصائرهم.

ص: ٣٧٥

اشاره

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا
يَتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)

هدى من الآيات:

يتساءل السياق القرآنى: هل بمقدور أحد الشركاء أن يبدأ الخلق، ثم يفنيه ثم يعيده، كما يفعل الله؟ و يعلم المشركون أن الخلق بيد الله وحده، فلما ذا يصرفون الى الافك؟ و يتساءل مره أخرى من الذى يهدى الأحياء بعد أن يعطيهم خلقهم الى ما فيه صلاحهم و دوام حياتهم؟ الله أم الشركاء؟ و يجيب: أن الله هو الذى يهدينا، فهو الذى وقر لنا العقل و السمع و الأبصار، و زود الأحياء بالغرائز التى اهتمدوا بها الى صلاحهم، إذا فهل من الصحيح التسليم لله أم للشركاء الذين لا يهتدون الا بقدر ما يهديهم الله؟ فكيف يحكم المشركون باتباع من لا يهدى، بل و لا يهتدى الا بصعوبه؟! نعم.. إن سبب ضلاله هؤلاء و حكمهم الفاسد هو أنهم يتبعون الظن

و التصورات النابعة من خيالهم، و الظن لا يغنى عن الحق شيئاً، و الله عليم بما يفعلون، نتیجه اتباعهم للظن من الأعمال السيئه.

بينات من الآيات:

الكفر بعد المعرفة

[٣٤]الذى يتبع السلطان الجائر، و الذى يخضع للغنى المستغل، أو لصاحب الشهره و النفوذ، يعلم أن قائده لا يستطيع أن يهب الحياه، أو يعيدها بعد أن يسلبها الله، و هو يعلم يقينا أن موهب الخلق و معيده بعد الفناء هو الله، الواسع القدره و العلم، و هنا يتساءل القرآن إذا لماذا الخضوع للشركاء من دون الله؟! قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ و يَأْتِي الْجَوَاب: كلاً..

قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ انه يبدأ الخلق من غير مثال سبقه اليه أحد، و لا معالجه و لا لغوب، فليس ربنا كما البشر يحتاج الى تجربه حتى يخلق الخلق بهذه الدقه المتناهيه، و لو احتاج الى تجربه لاحتاج الى بلايين التجارب من أجل خلق خليه حيه واحده، كما يؤكد على ذلك العلم الحديث و الله يعيد الخلق حتى يسوى بنان الإنسان بذلك الشكل الذى لا يتشابه مع بنان أحد فى العالم!! فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى أين تصرف بكم الأهواء، و تتحرك بكم الشهوات؟ و لماذا تتركون الخالق العظيم الى بعض المخلوقين الضعفاء!؟

[٣٥] والله يعطى كل شىء خلقه و يهديه الى ما فيه صلاحه، إنك تجد النملة كيف تفتش عن رزقها حتى تلتقطه و تحافظ عليه من الصيف للشتاء، و تبنى بيتها بطريقه هندسيه غريبه، و كما النملة تفعل النحله بيبتها، و تفتش عن رحيق الزهور، و تنظم نفسها فى خلاياها بأفضل تنظيم، ثم تصنع عسلا و تحافظ عليه لرزقها أيام السنه، فمن الذى أوحى إليها بذلك و هداها لصلاحها غير الله؟ و كما النمل و النحل فكذلك سائر الأحياء، و النباتات تنشط باتجاه مصالحها فى سبل متعدده و بأساليب شتى، أو ليس الله الذى هداها الى ذلك، كما هدى الإنسان طبيعيا و حضاريا؟! قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبَشَرَ وَ الطَّبِيعَةَ وَفْقَ الْأَنْظُمَةِ الْفَطْرِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنَ الطَّبِيعَةِ وَفْقَ تِلْكَ الْأَنْظُمَةِ دُونَ أَنْ يَصْطَدِمَ بِهَا.

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى الشُّرَكَاءُ لَا يَهْتَدُونَ إِلَّا إِذَا هَدَاهُمُ اللَّهُ، فَهَذَا الطَّاغُوتُ الَّذِي يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْ سَلَبَ اللَّهُ مِنْهُ هِدَاةَهُ، وَ سَلَبَ مِنْهُ عَقْلَهُ وَ عِلْمَهُ، أَوْ لَا يَصِحُّ مَجْنُونًا يَطْرُدُهُ أَهْلُهُ؟! وَ هَذَا الثَّرَى الْمَوْغَلُ فِي الْفَخْرِ وَ الْغُرُورِ، لَوْ سَلَبَ اللَّهُ مِنْهُ عَقْلَهُ وَ عِلْمَهُ، أَوْ لَا يَصِحُّ مَثَارًا لِلسُّخْرِيَّةِ؟! وَ هَذَا الصَّنَمُ الْحَجْرِيُّ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْجَاهِلُونَ هَلْ يَهْدِي أَحَدًا؟! فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَ لِمَاذَا تَقِيسُونَ الشُّرَكَاءَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ وَ يَبْدُو لِي أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُشِيرُ إِلَى أَوْلَيْكَ

الشركاء الذين يتخذهم الناس أرباباً فكريين، و يأخذون منهم علومهم و ثقافتهم من دون الله، و من دون تمحيص،
فقد جاء في حديث شريف:

«من استمع الى ناطق فقد عبده فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله، و ان كان الناطق ينطق عن إبليس فقد عبد إبليس» (١)

و جاء في حديث آخر في تفسير الآيه الكريمه:

«اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» قال: «و الله ما صلّوا لهم و لا صاموا و لكن أطاعوهم في معصيه الله» (٢)

و جاء في حديث ثالث:

«من دان الله بغير سماع من عالم صادق ألزمه الله التيه الى الفناء، و من ادعى سماعا من غير الباب الذى فتحه الله لخلقه فهو
مشرك، و ذلك الباب هو الأمين المأمون على سر الله المكنون» (٣)

و في حديث آخر:

«من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه الى يوم القيامة» (٤) و

جاء في تفسير قول الله عز و جل:

«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ قَالَ: عَنِ اللَّهِ بِهَا مِنْ اتَّخَذَ دِينَهُ

ص: ٣٨٠

١-١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ص ٩٤ الجزء الثانى.

٢-٢) المصدر ص ٩٧

٣-٣) المصدر ص ١٠٠

٤-٤) المصدر ص ٩٣

رأيه من غير امام من أئمه الهدى « (١) ان اتباع أحد بصوره مطلقه و من دون الانتفاع بعقولنا، إنه نوع ظاهر من أنواع الشرك بالله، لأن أهم أضرار الشرك هو إضلال الإنسان في الحياه.

بين الظن و الحق:

[٣٦] و لان الشرك و الطاعه العمياء للأصنام و كهنتها، و رموز السلطه و الثروه و الرجعيه-لأنه يسلب العقل و يلغى دوره-فان المشركين يتبعون التصورات و الظنون و هى لا تجديهم شيئاً، ذلك لأن الظن يعكس حاله صاحبه النفسيه، و لا يعكس الحقيقه الخارجيه، و الإنسان زود بالعقل من أجل أن ينسق بين واقعه و بين الحقائق الخارجيه، و يدرأ عن نفسه أخطار هذا الواقع، و مثل هؤلاء كمن يرسم خريطه وهميه عن منطقه ثم يسير عليها دون أن يعتمد على عينه و أحاسيسه.

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِّنَ الْحَقِّ شَيْئًا و السؤال: لماذا يتبع هؤلاء الظن بينما زودوا بالعقل و البصيره؟
الجواب: إن المشركين يتبعون أهواءهم، و يجعلون هوى الذات و حب النفس محورا لتحركهم، فهم لا يهدفون أبدا الوصول الى الحق حتى يبحثون عن السبيل الذى يوصلهم اليه، و هو العلم و لذلك فهم يرتكبون الجرائم بوعى و إصرار.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

ص: ٣٨١

و الله يجازيهم على أفعالهم، و لكن يذكرهم أيضا بأن اتباع الظن هو طريق الخطايا، لكي يتجنب المؤمنون ذلك، و يبحثوا أبدا عن المعرفة التي توصل الى الحقيقة.

ص: ٣٨٢

اشاره

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْتَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ
لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ
وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)

هدى من الآيات:

و فى سياق الحديث عن الظن الذى يتبعه الجاهليون المشركون، يذكّرنا القرآن الحكيم، بالطريق المؤدى الى الحق و هو العلم، و أحد مصدرى المعرفة هو القرآن الذى لا- يكون افتراء لوضوح آياته و تطابقه مع العقل، و لأنه جاء مصدّقاً لرسالات السماء السابقة، و موضحاً الكثير ممّا كان غامضاً فى تلك الرسالات، و بذلك لا يرقى شك الى أنه نازل من ربّ العالمين الذى وسعت حرمة كل شىء، فرّبى كل شىء و أعطاه التكامل، و أعطى الإنسان تكامله بالقرآن.

و هم يزعمون أن الرسول قد افتراه، إذا ليأتوا بسوره واحده مثل القرآن، و ليستعينوا بمن شأؤوا الصنع هذه السوره المفتراه إن كانوا صادقين؟! كلاً.. إن السبب فى كفرهم أنهم لم يبلغوا علم القرآن، و لم يحيطوا بكل أبعاده، فكذبوا به لنقص فيهم، و لأن الحقائق التى بشر بها القرآن لم تتحول الى

واقعيات أمامهم، وحين تصيح الحقيقه واقعا خارجيا لا تنفع التوبه كما كانت عاقبه الظالمين من قبل، و الذى لا يؤمن بالقرآن مفسد فى الأرض، و الله عليم به، أما المصلحون فان قلوبهم نظيفه و أعينهم مفتوحه و لذلك يؤمنون به.

بينات من الآيات:

استحاله افتراء القرآن:

[٣٧] ان لكل حق حقيقه، و على كل صواب نورا، و من يرى الحقائق بعين بصيره و قلب نظيف بعيدا عن الحجب و النظارات السوداء، و بعيدا عن العقد النفسيه فانه لا يخطأ، و القرآن ذاته دليل صحته و أنه من الله، فهو لا يمكن افتراءه إذ هو أسمى من أن يقدر أحد على صنعه، انه صنع الله الذى لا يقدر على مثله البشر، هل يستطيع أحد أن يخلق طيرا كما خلق الله؟ كلاً.. كذلك لا يقدر أحد على افتراء القرآن.

وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِن الْقُرْآنُ حَلَقَهُ فِي سَلْسَلَةِ رِسَالَاتِ سَمَاوِيهِ تَصَدَّقَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَ هُوَ خَطٌّ مَمْتَدٌ يُؤْمِنُ النَّاسُ بِهِ مَجْمَلًا، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ شَهَوَاتِهِمْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ بِالرِّسَالَةِ الْجَدِيدَةِ لِنَقْصِ فِي ذَاتِهِمْ.

وَ لَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَالْقُرْآنُ يَصَدِّقُ الرِّسَالَاتِ السَّابِقَةَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فِي خَطِّهَا، وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهَا لَا يَدَّ عَلَى أَنَّهُ يَأْمَنُ بِهِ أَيْضًا، وَ هُوَ لَا يَرْقَىٰ إِلَيْهِ رَيْبٌ، لِأَنَّهُ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَرْقَىٰ إِلَيْهِ رَيْبٌ أَوْ نَقْصٌ سُبْحَانَهُ. وَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَ تَصَاعَدَهُ،

فخلق السموات والأرض في ستة أيام، وفي كل يوم يضيف خلقاً جديداً ونعمه جديده إليها، وهو رب الإنسان الذي يعطيه تكامله بطرق شتى ومنها الوحي، فواهب العقل هو منزل القرآن، والإنسان غير المعقد يفهم هذه الحقيقة بوضوح.

[٣٨] ولكنهم يصرون على اتهام الرسول بأنه قد افترى القرآن كله، إذا قل لهم ليفتروا هم بدورهم قرآناً، وليأتوا ولو بسوره واحده مثل القرآن في علمه و بلاغته، وليستعينوا بمن شأوا من الجن والأنس من أجل صنع سوره واحده! أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ و كما لا يستطيع أحد أن يخلق نملة واحده فهو لا يقدر على أن يأتي بجزء بسيط من القرآن، لأن خالق النملة هو موحى القرآن، والقرآن بذلك المستوى الأرفع الذي لا يحيط به علم البشر و قدراته.

دوافع الفكر:

[٣٩] وأحد العوامل النفسيه التي تقف أمام ايمان هؤلاء هو جهلهم، و ضيق صدورهم، وقله استعدادهم، لذلك تراهم يكذبون بأى شىء لا يعرفون كل أبعاده و خصائصه، ولا يفكرون أن الحقيقة التي يرونها و يعرفون صحتها جديده بالايان، و لا يجوز لهم إنكارها بمجرد أنهم لا يعرفون كل أبعادها.

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ هَذِهِ صَفْهُ عَامَهُ لِلْبَشْرِ،

و قد عبّر عنها الامام على عليه السلام بقوله :

«الناس أعداء ما جهلوا»

ص: ٣٨٤

و هذه من أسوأ الصفات الجاهليه و المتخلفه التى تقف عقبه فى طريق تقدم البشريه، و على الإنسان أن يربى نفسه و مجتمعه على استقبال كل جديد بروح ايجابية، و لا يرفض أى شىء جديد بمجرد أنه لا يعرف عنه شيئاً.

و من الصفات الجاهليه هى انتظار تحوّل الحقيقه الى واقع، فاذا أنذر الجاهلى و المتخلف حضاريا بالمجاعه بسبب التكاسل أو الاختلاف لم يؤمن بالحقيقه، و انتظر قدوم المجاعه فعلا حتى يؤمن بها، و لكن ما فائده الايمان آنئذ.

إننا نريد العلم لنستيق به الأحداث، و نمنع عن أنفسنا الأخطار، أما بعد مجيئه فان الايمان لا يجدى شيئاً، بل سوف يحيط الواقع السىء بالإنسان و يقضى عليه كما دلّت على ذلك أحداث التاريخ.

وَلَمَّا يَاْتُهُمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا نَظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَ [٤٠] و مره أخرى يؤكد القرآن أن أحد العوامل الأساسية للكفر بالقرآن الحكيم هو العمل السىء الذى ران على قلوب الكافرين، فلم يدعهم يؤمنون بالرساله، ذلك العمل هو الفساد فى الأرض.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ فِي الْمَسْتَقْبَلِ إِذَا كَانَ مَصْلِحًا طَيِّبَ الْقَلْبِ، يَنْتَظِرُ الْمَزِيْدَ مِنَ الْآيَاتِ، أَوْ بَعْضَ الْحَالَاتِ النَّفْسِيَّهِ الَّتِي يَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى ضَغُوْطِ الْمَجْتَمَعِ الْفَاسِدِ أَوْ الشَّهْوَاتِ الْعَاجِلِه.

وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَ هَذَا الْفَرِيْقُ لَا يُؤْمِنُ بِالرَّسَالِهِ بِسَبَبِ تَوَغُّلِهِ فِي الْفَسَادِ، وَ بِنَاءِ حَيَاتِهِ عَلَى أَسَاسِ

منحرف و شاذ.

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ

ص: ٣٨٨

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَ لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسِهِمْ يَظْلِمُونَ (٤٤) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَ لَمَّا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)

من أصحاب القلوب المريضة

هدى من الآيات:

و فى سياق البيان الالهى للقرآن، و كيف أنه معجز لا يقدر على مثله بشر، يبين ربنا سبحانه الحل الحاسم الأخير، و الذى يتسم بصرامه الحق و صراحته، فان كذبوا الرسول برغم وضوح رسالته، فليقل أنه منفصل عنهم برىء من عملهم، كما هم بريئون من عمله، فكل يتحمل مسئولية عمله، و لذلك فهو و المؤمنون به أمه، و هم أمه.

و منهم من يزعم أن تقربه الى الرسول و من دون الايمان برسالته تنفعه شيئاً، و لكن هل يقدر الرسول اسماع من به صمم؟ كلاً.. لأن النقص فيه و فى قدرته على الاستجابة للرساله.

كما أن بعضهم ينظر الى الرسول عسى أن يريه سبيل الهدى دون أن يؤمن برسالته التى هى الضياء و الهدى، و لكن حين تكون العين عمياء هل تنفعه أشعه الشمس القويه شيئاً؟! إن الصمم و العمى ليسا من الله بل من اراده الناس

أنفسهم، لأن الله لا يظلم أحداً فيخلقه- سبحانه- أعمى أو أصم، كلابل الناس يظلمون أنفسهم بعدم محاوله الرؤية و الاستماع.

و هكذا يعطى هذا الدرس رؤيه واضحه تجاه كفر الناس و ايمانهم، و أنه من أنفسهم و بسبب سوء اختيارهم.

بينات من الآيات:

مبدئيه العلاقات:

[٤١] يبدو أن بعض الناس يريدون الإبقاء على علاقاتهم مع رسل الله بعد قطع علاقاتهم مع رسالاتهم، فيكذبون الرسول و لكنهم يريدون أن يكونوا هم و الرسول من قوم واحد، و هكذا الأمر بالنسبه الى علاقه الناس بأصحاب المبادئ، بيد أن الله يأمر رسوله بقطع العلاقه مع من يكذب بالرساله.

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ فَالْكَلَّ يَعْمَلُ حَسَبَ وَجْهَتِهِ وَ يَتَحَمَّلُ وَحْدَهُ مَسْئُولِيهِ عَمَلِهِ، وَ الْمَبْدَأُ هُوَ الَّذِي يَفْصَلُ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ عَنِ تِلْكَ، وَ لَيْسَ أَى شَيْءٍ آخَرَ، وَ حِينَ يَفْصَلُ الْمَبْدَأُ بَيْنَ قَوْمٍ وَ آخَرِينَ لَا يَنْفَعُ وَحْدَهُ الْأَرْضُ وَ اللَّغْهَ، أَوْ حَتَّى الْقَرَابَةَ فِي رِبْطِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

الذات منطلق الاهداء:

[٤٢] و من الناس من يزعم ان الرسول هو الذى يعطيهم الرؤيه من دون أن يسعى هو من أجل ذلك، و هذا غلط فظيع، ذلك لأن الهدايه أو الضلاله بقدر من الإنسان نفسه، و الذى لا يبدأ الخطوه الأولى فى هذا الطريق لا يجديه شىء آخر، و يكون مثله كمثل أصم يطلب من الآخرين أن يسمعوه شيئاً بينما النقص من

ذاته، وأنه مهما كانت قوة الصوت فإنه لا يسمع!! وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ فالأصم لا يستجيب عقله لحديث، لأن سماعه مسدود، وهؤلاء لا ينتفعون بسماعهم و لا يعقلون ما يدخل سمعهم من أحاديث، و السمع أرفع جهاز إدراك عند البشر، باعتباره الأداة الأوسع انتشارا و الأكثر فائدة في نقل التجارب و الخبرات من جيل لآخر، و بالتالي فهو الواسطه الفضلى للحضاره البشريه، التي هي تراكمات الخبرات عبر العصور المتماديه، و ربما لذلك عقب القرآن على الصمم بعدم العقل.

[٤٣] و كذلك هناك بعض من لم يعرف هذه الحقيقه، أن الهدايه هي أولى مسؤوليات البشر، و إن من لا يعمل من أجلها لا يبلغها أبدا.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَ كَأَنَّ الرَّسُولَ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ هِدَايَتِهِ وَ عَنْ تَوْجِيهِهِ.

أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَ لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ فالأعمى لا يرى، لا لأن الضوء قليل، بل لأن جهاز الاستقبال معطب، و التحرك يجب أن يكون ابتداء من الفرد نفسه.

[٤٤] و لا يجوز ان يزعم الإنسان أن الله هو الذى سلب الفرد سمعه و بصره، بل الإنسان هو نفسه الذى لا ينتفع بسمعه و بصره.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ فالناس هم الذين لا يستفيدون من أدوات التوجيه عندهم، و ربما عبر القرآن

بكلمه الناس لسبب هو أن بعض الناس يضلُّ بعضهم بعضاً، وأنهم مسئولون عن هدايه بعضهم، كما أن التعبير القرآنى فى السمع جاء بصفه جماعيه، بينما جاء عند التعبير عن البصر بصفه فرديه، ربما لأن السمع عمليه حضاريه يكلف بها الناس جميعاً، بينما البصر يغلب عليه الجانب الفردى.

[٤٥] للإنسان الجاهلى غلطان كبيرتان.

الغلطه الاولى:

عدم فهم طبيعه الجزاء و أنه ليس من الضرورى أن يكون بعد العمل مباشره.

الجزاء يأتى و كل آت قريب لذلك لا يجوز للإنسان من أن يكفر بالجزاء لأنه قد تأخر قليلاً عنه ثم الجزاء الموعود فى القرآن ليس جزاء بسيطاً لأنه يتسم بصفتين أساسيتين:

الاولى: أنه جزاء خالد.

الثانى: أنه لا يمكن للإنسان أن يهرب منه أو يطلب الاذن من ربه فى العوده الى الدنيا لتجربه إرادته مره اخرى.

و بالقياس الى الخلود الذى يتسم به الجزاء الالهى على الأعمال فإن الفتره التى يقضيها الإنسان فى الدنيا بسيطه و بسيطه جدا.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ الْفَتْرَةَ الَّتِي كَانُوا خَلَالَهَا فِي الدُّنْيَا تَعْتَبَرُ بِالْقِيَاسِ إِلَى زَمَنِ الْآخِرَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً وَ كَيْفِيكَ لِلْقِيَاسِ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّكَ قِصَارَى مَا تَعِيشُ فِي الدُّنْيَا سَبْعِينَ عَامًا أَوْ ثَمَانِينَ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ بَيْنَمَا تَعِيشُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَطْ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ. هَلْ بِإِمَّاكَ أَنْ تَقِيسَ هَذِهِ الْفَتْرَةَ الْمَحْدُودَةَ بِذَلِكَ الزَّمَنِ الْمَمْتَدِّ إِلَّا أَنْ تَقُولَ أَنَّ هَذِهِ سَاعَةً مِنْ ذَاكَ.

ص: ٣٩٣

يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَذَكَّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكَأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَهَنَالِكَ تَكُونُ الْخُسَارَاهُ لِمَنْ؟ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِذَلِكَ الْيَوْمِ أَمَا الرَّابِحُونَ فَهَمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَاسْتَعَدُّوا لَهُ سَلْفًا.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ [٤٦] أَمَا الْغَلْطَةُ الثَّانِيَّةُ:

فهو الاعتقاد بأن الجزاء الذي يعددهم الرسول ناطقًا عبر الله إن هذا الجزاء إنما هو من الرسول نفسه. فمثلاً. ينتظر بعضهم وفاه الرسول أو يدبرون المؤامرات ضده زاعمين أن تصفيه الرسول يعني خلاصهم مما ينذرهم به.

الرسول مجرد منذر و مبشر أما العذاب فهو من الله فسواء كان الرسول أو لم يكن بين أظهرهم فإن جزاء أعمالهم لا. بد أن يلحقهم.

وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَيْنَا مَا يَفْعَلُونَ اللَّهُ قَبْلَ الرَّسُولِ هُوَ شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فَأَيْنَ يَهْرَبُونَ.

اشاره

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)
قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِذَا مَا وَقَعَ آمْنْتُمْ بِهِ آلآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ
(٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْرُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢)

اللغه

٤٨[الوعد]:خبر بما يعطى من الخير و الوعيد خبر بما يعطى منه الشر.

٤٩[نفعاً]:اللذه و السرور.

٥٠[أقم]:الاقامه نصب الشىء و نقيضه الاضطجاع و اقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام فى وجهه الانتصاب.

هدى من الآيات:

فى سياق الـدرس السابق حدّثنا القارن الحكيم عن مسئوليـه الإنسان المباشـره عن الهدايـه، حيث تنتهى عاقبه الضلاله بالخساره الكبرى التى تلحق المكذّبين بآيات الله و لقاءه، و حين يحشرهم الله للجزاء فى ذلك اليوم الرهيب يعرف الناس بعضهم بعضا، و يزعمون أنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلاّ - برهه قصيره من الوقت، و ليس المهم ان يرى صاحب الرساله ما يعدهم الله من العذاب فى الدنيا، أو يتوفاه الله و لكنهم بالتالى يعودون الى ربهم، و الله شهيد على مواقفهم و أفعالهم.

و لكل أمه رسول، فاذا جاء الرسول و بلغ الرساله و أتم الحجه عليهم، قضى الله بينهم بالقسط و هم لا يظلمون، بل يجازون بما فعلوا.

و يستعجل الناس العذاب، و يقولون متى هذا الوعد؟! او يجب ربنا قائلا: ان هناك أجلا محـددا لكل أمه يستنفذون قبله كل فرصه لهم فى الدنيا، إذا جاء أجلهم فلا يشتأخرون ساعةً و لا يستقدمون .

و إذا وافاهم أجلهم سواء بالليل أو بالنهار، فهل يسبقوه، أو هل هو مما يستعجله البشر، و هل يطالب المجرم بسرعه الجزاء؟! بل أنهم سوف يؤمنون بعد انتهاء الفرصه، ذلك لأنه أصبح حقيقه واقعيه أمامهم، و يعرفون أن استعجالهم كان خاطئا.

بينات من الآيات:

مجىء الرسول شرط التوقيت:

[٤٧] قبل أن يتم الله حجه على خلقه لا يأخذهم بذنوبهم، لذلك فإنه تعالى يبعث لكل أمه رسولا، و يحدد لهم أجلا، فإذا جاء إليهم رسولهم و بلغهم رسالات ربه، فإذا كذبوه قضى الله بينهم بالقسط، فمن آمن و اتبع هدى ربه نجى و أفلح، و من كفر أحاط به البلاء، و الله لا يظلم أحدا، و لکنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ .

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ و السؤال: هل أن هذا الرسول يجب أن يكون رسولا يوحى اليه مباشرة من الله، أو قد يكون وليا من أولياء الله تابعا لرسول من قبل الله، يقوم بتبليغ رسالات الله بمثل ما كان يفعل الأنبياء؟ يبدو لى أن عموم الكلمه تشمل القسم الثانى.

[٤٨] و لكن متى يقضى الله على الأمم؟ و كم هى الفتره بين بعث الرسول، و بالتالى كفر الناس بها، و بين العذاب؟ وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ فقد تمتد الفتره و يتأخر العذاب حتى يتساءل الكفار بأسلوب المنكر المستهزئ

متى العذاب؟ ولماذا لم يأت الدمار الموعود؟! [٤٩] وهذا السؤال يكشف عن خطأين أساسيين عند البشر:

الخطأ الأول: أن الناس يزعمون أن مبلغ الرسالة هو الذى ينزل العذاب، و بالتالى يحدد مواعده، بينما الله هو الذى يحدد موعد العذاب لا الرسول، أما الرسول فلا يملك لنفسه ضرا و لا نفعاً، و لهذا فهو لا يدعى أنه الذى يبعث العذاب.

أما الخطأ الثانى: أن الإنسان يحسب أن العقاب يجب أن يكون مباشره وراء العمل و كأنه النار و الحراره، و لا يعرف أن العمل السىء فى المجتمع مثل الميكروب فى الجسد يتكاثر و ينتشر، ثم تظهر عوارضه فتحيط بالجسد و قد تقضى عليه، و أن بين العمل السىء و الجزاء فتره معلومه عند الله، إذا انقضت فسوف لا تمدد، و بالتالى لا يزيد و لا ينقص.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا شَاءَ اللَّهُ أُعْطِيَ بِقَدْرِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، أُعْطِيَ فِي صِلَاحِيهِ الْعَمَلِ وَقُدْرَتِهِ ضَرًّا أَوْ نَفْعًا.

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

سنن الحق فى الحياه:

ان الحياه قائمه على موازين حق لا تتبدل بأهواء الناس، فهناك عوامل السقوط و عوامل النهوض، و هناك آثار ايجابية للإخلاص و التضحيه، و النشاط و الوحده، و نظافه القلب و الجسد، و سلامه العمل و إتقانه، كما ان هناك آثارا سلبيه للغل، و الاستثثار، و الكسل و التفرقه، و العقد النفسيه، و الأوساخ الماديه، فإذا تفاعلت

هذه الآثار، و رجحت كفه الآثار السلبية انهارت الأمه، بينما تتقدم إذا انعكست حاله، المهم أن الإنسان قادر على إنقاذ الموقف قبل أن يتردى الى نهايته، فهناك لا فرصه للخلاص أبدا.

[٥٠] و من هنا فان الذين يستعجلون العذاب و يتساءلون بضجر متى هذا الوعد؟ لا يعرفون أن العذاب ليس مما يستعجله الإنسان، و أنه إذا جاءهم لم يجدوا مهربا منه - فكيف يستعجلونه؟! قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا حِينَمَا اتَّخَذْتُمُ النَّوْمَ لِأَنْفُسِكُمْ لِبَاسًا لِلرَّاحَةِ وَ الْأَمْنِ، فَإِذَا بِالْعَذَابِ يَبَاغِتْكُمْ.

أَوْ نَهَارًا وَ أَنْتُمْ عَلَى كَامِلِ الْإِسْتِعْدَادِ لِمُوجِئِهِ الْأَخْطَارِ، وَ لَكِنْ مِنْ دُونِ أَنْ تَكُونَ لَدَيْكُمْ الْقُدْرَةُ عَلَى مُوَاجَهَةِ عَذَابِ اللَّهِ.

مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ هل يستعجلون آلامه الشديده، أم يستعجلون تحطيم أمانهم و قهر كبرياتهم، و مفارقه أحببتهم، هل هي أشياء يطالب بها الإنسان، أم أنه الغرور و النزق؟ [٥١] نعم.. إذا وقع العذاب و أصبح حقيقه ملموسه بأيديهم ماثله أمام أعينهم، آتئذ فقط يؤمنون به و لكن عبثا! أَلَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ وَ كَانَ اسْتِعْجَالَهُمُ السَّابِقَ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَ عَدَمِ تَوَقُّعِهِمْ لِحُدُوثِهِ.

[٥٢] وأخطر شيء في القضيته هو أن العذاب لا ينتهي بل يبقى خالداً.

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ فَالْجَزَاءُ هُوَ ذَاتَهُ الْأَعْمَالِ الَّتِي اِكْتَسَبْتُمُوهَا، وَالَّتِي
تَحَوَّلَتْ إِلَى عَذَابٍ دَائِمٍ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

ص: ٤٠٠

اشاره

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمِمَّا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَ
أَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ
لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)

اللغه

٥٣[يستنبئونك]:الاستنباء طلب النبا الذي هو الخبر.

[لافتدت]:الافتداء إيقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فديه.

هدى من الآيات:

فى سياق الدروس السابقة التى كانت آيات القرآن تهدينا الى أنّها وحى من عند الله، تحطّم هذه الآيات الحواجز النفسيه التى تمنع الايمان، ثم تذكر بأن القرآن شفاء و موعظه، و أنه فضل و رحمه و خير مما يجمع الناس، فتبدء الآيه الأولى بالسؤال الذى يوجهه الكفار الى الرسول عن أن القرآن حق؟ و يجيب الرسول و يحلف بربه الكريم أنه لحق، أما حاجز الغرور و العزه بالإثم فانه و هم باطل، إذ أن الكفار ليسوا بقادرين على تعجيز أقدار الله و تفشيل خطط الرسول، ثم لا ينفع المال و البنون، لأنه حين يأتى العذاب و يراه الظالمون يتمنون لو قبل الله منهم أن يفتدوا عن عذاب ذلك اليوم بكل ما فى الأرض لو كانوا يملكونها، و قد بلغت الندامه أعمق أعماقهم و قضى بينهم بالقسط، و جوزوا على أعمالهم و هم لا يظلمون. و الحاجز الآخر الذى يحول بين الإنسان و الايمان بيوم الجزاء هو تردده فى قدره الله أو صدق وعده سبحانه، و لكن أليس الله ما فى السموات و الأرض، و أن وعده حق كما يدل عليه ما يجرى فى السموات و الأرض؟ و لكن جهل هؤلاء بالدنيا و سننها هو السبب المباشر لضلالتهم،

ثم أو ليس الله يحيى و يميت؟ أو ليس قادرا على بعث الناس من جديد؟! و هكذا ينادى القرآن الناس بأنه جاء موعظه من ربهم، و انه يشفى صدورهم من عقد الجهل و العصبيه و الانغلاق، و انه يهدى الناس، و إذا آمن به الناس و طبقوه فهو رحمه لهم و رفاه، و هذا الرفاه يجمعه الناس من وسائل ماديه بحتة لا تعطيههم رفاه و لا رحمه.

بينات من الآيات:

فى رحاب الحقائق:

[٥٣] و يتساءل الكفار هل يؤمن الرسول بما يقول و يقولون له: أحق هو؟ فيجيب الرسول بحسم و بالضرورة: إنه لحق.

وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي أَمْ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ بَيْنَ السُّؤَالِ وَ الْجَوَابِ نَسْتَنْبِطُ عَدَهُ حَقَائِقُ:

اولا:- بالرغم من أن الحقائق الفلسفيه العامه ليست قابله للتقليد و الطاعه العمياء إلا أن السؤال عنها مفيد، إذ قد تحمل الاجابه إشارات هاديه لك لو فكّرت فيها لعرفت الحقيقه مباشره، فيكون السؤال مثل أن يسأل أحد عن مكان الماء، فحين يشير الآخر اليه و يلتفت السائل يرى الماء مباشره.

ثانيا: ان احدى المشاكل الرئيسيه التى تعترض طريق الناس عن الايمان هو تهيب الايمان، و الاعتقاد بأن المؤمنين ليسوا فى الواقع مؤمنين بصدق، و لذلك إذا عرفوا صدق ايمان المؤمنين بالرساله، زال حاجز الهيبه و تشجعوا على الايمان، و من هنا كان تأكيد المؤمنين ايمانهم قوليا و عمليا أو بسبب تضحياتهم الرساليه كان ذلك ذا أثر فعال فى روحه المترددين و الشاكين.

ثالثاً: أن الرسول أجابهم بصورة مؤكده، و حلف بربه حلفاً يؤثر في وجدان السامعين، لأنه يتصل بمن ربّاه و أنعم عليه، و عموماً القسم بالرب قسم وجداني عميق الأثر.

و بعد الحوار أكد الرسول على أن حاجز الغرور هو الذي يفصلهم عن الايمان، فيزعمون أنهم قادرون على مقاومه نفوذ الرساله، أو الإتيان بأفضل منها حتى يسبقوها!! كلا.

وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

التذكير بالآخره نقطه الانطلاق:

[٥٤] الإنسان بفطرته مؤمن، و لكن دواعى الشهوه و الطيش و الغرور، و الجهل تمنعه عاده عن الارتفاع الى مستوى الايمان، و يهدم القرآن جدار الغرور بتذكير البشر بيوم فاقته، حين يحين ميعاد جزائه على ظلمه لنفسه، عند ما يتمنى لو كان يملك ما فى الأرض جميعاً ليفتدى بها عن نفسه، فيخلصها من العذاب، و لكن هيهات!! و هنا لا بد أن يتذكر الإنسان بأن المهم ليس ما يملك لأنه يزول عنه، و لكن نفسه و عمله هما الباقيان.

وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ظَلَمًا ذَاتِيًا بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، أَوْ ظَلَمَاجْتِمَاعِيًا بَاغْتِصَابِ حَقُوقِ الْآخَرِينَ، لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ تَمْلِكُ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَفْتَدَتْ بِهِ وَ أَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ

و ربما كان معنى أسرار الندامه الشعور بها عميقا فى سرهم، و ليس بمعنى اخفائها، لأنه لا أحد يقدر على كتمان حالته يوم القيامه، و لكن من المسؤول عن ندامتهم أو ليست أنفسهم!! وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أَى بالدقه التامه دون أى زياده أو نقيصه.

وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ

الوعد الحق:

[٥٥] و لو زعم الكفار أن اعاده بعث الناس مستحيل، أو زعموا أن جزاءهم فى الدنيا غير وارد، فليعلموا أن الله هو مالك ما فى السموات و الأرض و أن وعده حق.

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ و لو كان لهؤلاء العلم بالكون بقوانينه و سنن الله الحاكمه فيه لعرفوا أن كل عمل يتحول الى جزاء عاجلا أو آجلا. خيرا أو شرا، تلك هى أبسط قاعده حياتيه، فكيف لا تنتهى حياه الناس بالجزاء الشامل يوم القيامه؟ [٥٦] و الله يحى و يميت، فهو قادر على احياء الناس بعد موتهم، و لذلك فنحن نرجع اليه للحساب.

هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٥٧] و الله الذى يذكرنا بنفسه ينزل القرآن الذى يتفجر من خلاله التذكره

بالله، و هو موعظه من رب العالمين، فالذى وفر للعالمين أسباب معيشتهم، و هداهم إليها بالغريزة و العقل، هو الذى أنزل القرآن ليكون جسرا بين الحقيقه و السلوك، و يوجه البشر الى الإصلاح، و يحذرهم من الفساد، و السبيل الذى يتبعه الذكر لبلوغ هذا الهدف هو: تزكيه النفوس و تهيئتها لقبول الحقائق فهو شفاء لما فى الصدور، و النتيجة التى يحصل عليها الناس بعدئذ هي:

أولاً: الهدايه و معرفه ما ينبغى عمله و ما يجب تركه.

ثانياً: الرحمه التى هى الرخاء و الرفاه و السعاده، و هى خاصه بالمؤمنين المنفذين لتعاليم القرآن.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

السعاده الحقيقيه:

[٥٨] و على الناس أن يفرحوا عند ما يطبقون مناهج الله، و يحصلون من ورائها على السعاده و الفلاح، لأنها سعاده حقيقه لكل الناس و فى كل زمان، و حتى فى الآخره.

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا رَبِّمَا يَكُونُ فَضْلُ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ وَ الْعْتَرَهُ وَ أئمه الهدى، بينما رحمه الله ما ينتهى اليه العمل بالرساله.

هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مَنْ حَطَامَ الدنیا الذى أمده قصير، و خيره محدود فى طائفه دون طائفه، و هو بالتالى يختص بالدنيا فقط.

اشاره

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمِمَّا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠) وَمِمَّا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمِمَّا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)

اللغة

٦١[شأن]:الشأن اسم يقع على الأمر و الحال تقول ما شأنك و ما بالك و ما حالك.

[تفيضون]:الافاضه الدخول في العمل على جهه الأنصاب اليه مأخوذه من فيض الإناء إذا انصب الماء من جوانبه.

[يعزب]:العزوب الذهاب عن المعلوم و ضده حضور المعنى للنفس.

هدى من الآيات:

الهدف من الوحي الالهى هو موعظه الإنسان، وشفاء صدره و هدايته، و بالتالى إنزال الرحمه عليه، و يتجسد هذا الهدف عمليا فى التشريعات الصائبه التى تتجاوز الهوى و الشهوات، و من لا- يتبع هدى القرآن يبدأ بتشريعات شاذه فى رزق الله و فى نعمه السابغه، فتراه يجعل بعض النعم حلالا و بعضها حراما افتراء على الله، و بعيدا عن اذن الله، و ماذا ينتظر هؤلاء يوم القيامة، بعد أن كفروا بنعم الله و حرموها على أنفسهم؟ أو ليس ذلك خلاف العقل و الفطره أن يتفضل الله على الناس فلا- يشكرونها، بل و يفترون عليه الكذب و يحرمون رزق الله على أنفسهم؟ ان أعمال البشر كلها تجرى بعلم الله و بشهادته، ففى أيه حاله يكون البشر، و أى عقيدته ينتمى إليها، و أى عمل يقوم به، فان الله شاهد عليه حين تحركه دون أن يعيب عنه شىء بوزن الذره أو أكبر أو أصغر، و هو بالاضافه انّ شهاده الله يسجل فى كتاب مبين، فعلى البشر أن يتبع فى كل عمل من أعماله حدود الله و هداه، و لا

يعمل حسب أهوائه.

بينات من الآيات:

الوحي هدى الطريق:

[٥٩] لقد جاء الوحي ليملاً فراغا حقيقيا في الحياه، ذلك لأن الحياه نعمه واسعه من الله علينا فلا يحق لنا بل لا ينبغي أن نتحرك فيها من دون هدى الله الذي يرسم لنا خريطه التحرك، ويحدد لنا معالم العمل.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا وَهَلْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ فِي رِزْقِ اللَّهِ، ونقول: هذا حرام و هذا حلال؟ كلا..

بل علينا أن نتقيد وفق اذن الله.

قُلْ أَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا وَهَلْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ فِي رِزْقِ اللَّهِ، ونقول: هذا حرام و هذا حلال؟ كلا..

[٦٠] وماذا يتصور الذين يفترون على الله الكذب، و يشرعون من دون اذن الله؟ وكيف يمكن أن يعاملهم الله هناك. وقد كفروا بأنعم الله، فحرموها على أنفسهم و على الناس من دون اذن الله، هل يعذبهم أم يغفر لهم؟! ان مجرد التفكير في أن المشرع سوف يسأل أمام الله يوم القيامة يكفيه رادعا عن التشريع بالهوى.

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

لقد منَّ الله بمختلف النعم على البشر و سَخَّرَ لِلإِنْسَانِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، و زَوَّدَهُ بِقُدْرَةِ الْإِرَادَةِ وَ نَوْرِ الْعَقْلِ وَ سَلَامَةِ الْجَسَدِ، و لَكِنِ النَّاسَ ضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ حَدَّدُوا طَاقَاتِهِمْ بِلَا سَبَبٍ، فَرَسَمُوا لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضَ الْحُدُودَ الزَّائِفَةَ فِي الْأَرْضِ، قَائِلِينَ هَذِهِ أَرْضُكَ وَ هَذِهِ أَرْضِي، ثُمَّ وَضَعُوا أَنْظُمَهُ لِلتِّجَارَةِ وَ الصَّنَاعَةِ، وَ مِنْ ثَمَّ صَنَعُوا الْأَغْلَالَ الْفِكْرِيَّةَ وَ الْأَثْقَالَ الثَّقَافِيَّةَ وَ وَضَعُوا حَوْلَ نَفْسِيَّاتِ الْبَشَرِ، مِنْ خَوْفِ الطَّبِيعَةِ إِلَى خَشْيَةِ الْإِبْتِكَارِ، إِلَى الْمَحْرَمَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِلَى الرُّسُومِ وَ الْعَادَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَ كُلِّ ذَلِكَ مِنْعُهُمْ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِنِعْمِ اللَّهِ وَ كَانَ بِمِثَابِهِ الْكُفْرُ بِتِلْكَ النِّعْمِ.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَ هَلْ هَذَا شُكْرٌ لِفَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، أَنْ يَحْرَمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟! مِنْ هُنَا يَنْبَغِي أَنْ يَسَارِعَ الْبَشَرُ إِلَى وَحْيِ اللَّهِ، وَ يُؤْمِنَ بِهِ وَ يَتَّخِذَ مِنْهُ تَشْرِيْعَاتِهِ دُونَ أَنْ يَحِيدَ عَنْهُ قَيْدَ شَعْرِهِ، لَا زِيَادَةَ وَ لَا نَقِيصَةَ، حَتَّى يَنْتَفِعَ بِالنِّعْمِ.

الرقابه الالهيه:

[٦١] البشَر محاط برقابه الله عليه، فلا يكون في وضع ولا ينتمى الى فكره ولا يعمل عملا الا ويشهد الله عليه، لأنه حاضر عنده و ليس بغائب عنه، إذا فعلى البشر أن يجعل أوضاعه و أفكاره و أعماله في إطار الوحي، و وفق تشريعات الله، و لا- يسترسل في قراراته حسب اهوائه.

وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ أَى فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ

ص: ٤١٠

أى ما تقرأ من القرآن-حول ذلك الشأن-هذا عن الرسول و المؤمن الذى يتبع فى شؤونه هدى القرآن،أما بالنسبه الى غيره فما يتلوه هو أفكاره النابعه من اهوائه، و الله سبحانه شاهد عليها كما هو شاهد على شأنه و عمله.

و لا-تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ تَحْوَلُ الخُطَابِ الى الجماعه بعد أن كان فرديا،و السبب قد يكون أن لكل إنسان شأنه و فكره،و لكن العمل عاده ما يكون جماعيا يقوم به أولا أقل يرضى به مجموعه من الناس فيشتركون فى مسئوليته،و لو بقدر الرضا عنه و عدم ردع عامله.

إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ أَى حين تخوضون فيه و كأنكم منفلتون عن القيود،أحرار فى التصرف لكم مطلق القرار فى العمل،بينما الواقع غير ذلك و هو أنكم محدودون فى أطار شهاده الله عليكم،لذلك اتبعوا هدى الله.

وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَضِعْغَرٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ إن كل شىء له وزنه الخفيف أو الثقيل،ابتداء من وزن الذره الصغيره و حتى وزن المجره الكبيره،انها جميعا محسوبه عند الله،و مسجله فى كتاب واضح لا تختلط أوراقه،أو تضيع معلوماته،من هنا ينبغى أن يتصرف البشر بعقل و بحذر،يضع كل شىء موضعه المناسب و لا يرفع قدما و لا- يضع خطوه و لا- يتحرك قليلا أو كثيرا،الأ وفق برنامج معد سلفا،مطابق للوحى،حتى لا تسجل ضده نقطه فى كتاب الله،و فى الدرس القادم يبين القرآن كيف يتجنب الفرد هذه المشكله،مشكله الاسترسال فى الحياه.

اشاره

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)

هدى من الآيات:

ما دامت حياه الفرد محاطه بشهاده الله و تسجل عليه كل حاله و فكره و جوله، فان البشر فى خطر عظيم، و يطرح السؤال: كيف الخلاص؟ الجواب: عن طريق الايمان و التقوى، الذى يجعل الفرد وليا لله، قريبا منه، و يبعد عنه الخوف و الحزن، و يوفر له البشرى فى الحياه الدنيا و فى الآخره، و الله حكم بالآ يبدل سنته و كلماته، بل يعطى للمؤمن المتقى أفضل النعم فى الدنيا و الآخره، و من تلك النعم العزه، لأن العزه لله جميعا، و هو الذى يعطيها للمؤمنين المتقين، و هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

بينات من الآيات:

هل نحن أولياء الله؟

[٦٢] من هو الولى الحقيقى لله؟

ص: ٤١٣

إنه المؤمن المتقى الذى لا- يجعل بينه و بين ربه حاجبا من غفله أو شهوه أو ضلاله،و لان هذا الفرد قريب من مصدر الأمن و البشرى،فلا خوف عليه من المستقبل،و لا حزن على الماضى.

أَلَا- إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [٦٣]و كيف يمكن أن يبلغ البشر درجه ولايه الله؟ بالايمن بالله و برسالاته،و بالتالى بالحق الذى قد يخالف أهواءه،ثم التقوى بتطبيق برامج الرساله فى حياته عمليا بالتزام صارم و تعهد مسئول.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ و يبدو من الآيه ضروره استمرار الايمان و التقوى فى حياه الفرد،بدلاله صيغه الماضى المؤكده بكلمه «كان»ذلك لأن أكثر الناس يؤمنون و يتقون و لكن قبل أن يتعرضوا لامتحانات عسيره.

لمن البشرى؟

[٦٤]و لهؤلاء المؤمنين البشرى بحياه آمنه كريمه فى الدنيا،و أفضل منها فى الآخره.

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ الْبُشْرَىٰ هِيَ التَّلَاحُ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ،ذلك التطلع الذى يحققه الفرد بعمله و جهاده.

لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ

ص: ٤١٤

فإنه قد أجرى في الكون سننا حكيمة، وجعل منها إعطاء الحياه الآمنه السعيده للمؤمن، وانه لا يبدلها لأنه قوى عزيز، والواقع ان الايمان بالله و برسالاته، و التقوى بتطبيقها عمليا يعنى تسخير أفضل ما فى الكون من أجل سعادته البشر، و الاجتناب عن كل شىء.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

لمن العزه؟

[٦٥] و بما ان عاقبه الأمر للتقوى، فان الوصول الى هذه العاقبه يمر عبر صعوبات كبيره و منها الحرب الاعلاميه التى تحاول بعث اليأس فى قلوب المؤمنين عن طريق تسفيه آمالهم و طموحاتهم المستقبلية، و توجيه نظرهم الى واقعهم الفاسد الذى يعيشونه، و الذى يتسم بتسلط الظالمين عليهم، و لكن القرآن يؤكد مره أخرى أن هذا الواقع سوف ينتهى و يأتى مكانه واقع أفضل، حيث العزه و الكرامه.

وَ لَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فربنا المهيمن على حياتنا لا يدع المؤمنين فى هذه الحاله الاستثنائية، حتى يكرمهم بالنصر و الكرامه، و لكن بعد أن يوفروا فى أنفسهم صفات أولياء الله التى جاءت فى النصوص الاسلاميه و التى نذكر بعضها فيما يلى:

-١

سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام عن قوله تعالى «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَخْزَنُونَ» فقيل له: من هؤلاء الأولياء؟ فقال أمير المؤمنين:

«قوم أخلصوا لله فى عبادته، و نظروا الى باطن الدنيا، حين نظر الناس الى ظاهرها، فعرفوا أجلها حين غرت الخلق -سواهم- بعاجلها، فتركوا ما علموا انه

ص: ٤١٥

سيتركهم، و أماتوا منها ما علموا أنه سيميتهم « (١) ٢ -

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام» «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» قال:

«إذا أدوا فرائض الله، و أخذوا بسنن رسول الله، و تورعوا عن محارم الله، و زهدوا في عاجل زهره الدنيا، و رغبوا فيما عند الله، و اكتسبوا الطيب من رزق الله، و لا يريدون هذا التفاخر و التكاثر، ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبه، فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، و يثابون على ما قدموا لآخرتهم» ٢

ص: ٤١٤

١- ٢، ١) تفسير الميزان ص ٩٨، الجزء الحادي عشر

اشاره

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِيزَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمِمَّا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ أَنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَوْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)

هدى من الآيات:

خلفيه الخوف من الجبت و الطاغوت هو الشرك بالله. و فى هذا الدرس يذكر ربنا عباده بحقيقه الشرك الذى ليس هو سوى الظن و الوهم (تصورات و خيالات) بينما الله وحده مالك كل من فى السموات و الأرض، و من بينها أولئك المعبودون من دون الله باسم الشركاء، و أنظمه الحياه التى تساعد الأحياء على البقاء، أنها بدورها من الله، فهو الذى جعل الليل ليسكن فيه الأحياء، و جعل النهار مضيئا، كل ذلك آيات لمن يفتح أذنه للسمع.

و ليس من قوه فى الأرض و فى السماء الآ- و هى خاضعه لله، و ليست أداه و آله بيد الله، لأن الله غنى و هو أرفع من أن يتخذ مساعدا أو ولدا، ان هذا الكلام نابع من الجهل الذى لا برهان عليه.

و الذين يفترون على الله الكذب، و يدعون شركاء لله أو أولاد، لا يفلحون و لا ينالون السعاده، إذ أن بعض المتعه يصيبهم فى الدنيا، و بعدها يذوقون عذاب النار

بینات من الآيات:

اشاره

الملك لله:

[٦٦] لا خوف على المؤمنين بل لهم النصر و العزه، و أن أصحاب السلطه، أنهم ليسوا فى الواقع سوى مملوكين لله، كما أن الملائكه و الجن من سكان السموات الذين يعبدون من دون الله، و يزعم البسطاء أن لهم تأثيرا حاسما على أحداث الحياه و يعيشون الرعب من تأثيراتهم، كل أولئك مملوكين لله!! ألا إن لله من فى السماوات و من فى الأرض و ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء انهم ليسوا شركاء لله، بل عباد مربوبون، كأي شخص أو شيء آخر، و فى الواقع اتباعهم لهؤلاء نابع من التصور و الوهم.

□
إن يتبعون إلا الظن و إن هم إلا- يخضون فخلفيه الشرك بالله العظيم، هى اتباع الخيال و الاحتمال، فمن يتبع العقل يتخلص من التصورات النابعه من قوه الخيال، أو من ضغوط الشهوات، لأن العقل يميز بين الخيال النابع من الحب و الغضب (الهوى) و بين الرؤيه الصافيه للحقائق، كما أن من يتبع العلم يتخلص من سلطان الاحتمالات التى لا مرجح لأحدها على الآخر، أما الجاهلى فانه يتبع الظن و الخرص، و هما يدعوانه الى الخضوع للشركاء.

تدبير الله:

[٦٧] و الله هو المهيم على الكائنات، فهو الذى قدر الليل و النهار، فجعل

الليل ساكناً هادئاً يأوى فيه كل حى الى فراش النوم، والراحه، أما النهار فانه جعله مضيئاً يساعد الأحياء على الأبصار و رؤيه الأشياء، مما يدفعهم الى النشاط و الحركة.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا فَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُ أَمْرَ النَّاسِ، وَ يَدَبِّرُ شُؤْنَهُمْ، وَ عَلَيْنَا الْإِنخِصَاعُ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ شُؤْنَهُمْ، وَ لَكِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْبَسِيطَةُ قَدْ يَغْفَلُ عَنْهَا بَعْضُ النَّاسِ بِسَبَبِ إِفْتِقَادِهِمْ لِأَبْسَطِ شُرُوطِ الْقِيَمِ وَ هُوَ السَّمَاعُ.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ أما الذين يتبعون الظن و الخرص فلا يدعوهم احساسهم بالحاجه الى العلم، و لا يدعوهم الى السماع، و بالتالى الفهم.

لا والد و لا ولد!!

[٦٨] ليس هناك ما يوازي سلطان الله لا فى العرض و لا فى الطول، أى لا يوجد هناك شريك لله يكون بمستوى علمه و قدرته سبحانه، كما لا يوجد هناك ولد لله يستمد منه صفاته الألوهيه سبحانه.

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ و لماذا يتخذ الله ولدا؟ هل لأنه سوف يموت فيستخلفه الولد؟ أم لأنه عاجز عن اداره أموره فيساعده الولد؟ أم لأنه فقير فيعطيه الولد شيئا؟ كلا.. إن ربنا غنى بذاته.. و سبب غناه انه يملك كلما يوجد فى السموات و الأرض من قوه و امكانيه.

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ أما الذين يزعمون أن لربنا ولدا فهم لا يعلمون شيئا من مقام الألوهيه المقدس

عن النقص، و يشبهون خالق السموات و الأرض بالمخلوقات العاجزه، دون أن يكون لهم دليل الآ جهلهم بالحقيقه.

و لو سألتهم كيف تتصوروا بأن لله ولدا؟! لأجابوا إذا كيف يدبّر السموات و الأرض؟! و لا يعلموا ان تدبير الله ليس كتدبير البشر بالأداه و الوسيله و الوسائط، بل انما أمره أن يقول: «كن» فيكون.

إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

عاقبه الافتراء:

[٦٩] و إذا عرف البشر ان الكلام من مسئوليته، و أنه لو قال كلاما من دون دليل خصوصا فيما يرتبط برب العالمين فانه مسئول عنه، و أنه يسبب له الشقاء إذا ما بادر بالافتراء على ربه العظيم.

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ و السبب ان الكذب على الله يسبب انحرافا عقائديا و سلوكيا كبيرا. يجزّه الى انحرافات لا تحصى، و تجعل حياته جحيما لا يطاق.

[٧٠] ثم ان الآخره تنتظرهم بعذاب شديد.

مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ و لا يسع البشر أن يقول لم أعرف، إذ يقال له لماذا اتبعت جهلك و هواك، و لم تسمع كلام الحق؟! أو لم تبحث عنه بصدق! من هنا نعرف ان الهدى و الضلاله من مسئوليات الإنسان، و لو عرف البشر هذه الحقيقه، إذا ما ضلّ كثير منهم

بالاسترسال و اللامبالاه. و القول بغير الحق، و القرآن الحكيم في هذا الدرس و في دروس اخرى يذكر البشر بهذه الحقيقه لأن ذلك طريق قريب لهدايه الإنسان.

ص: ٤٢٢

اشاره

وَ اتل عَلَيْهِمْ نَبأ نوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِن كَانَ كَبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللّٰهِ فَعَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَ لَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ اِن أَجْرِي اِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَ اُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَ اَعْرَفْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٣)

اللغة

٧١ [كبر]:عظم و شق.

[غمه]:الغمه ضيق الأمر يوجب الحزن.

ص: ٤٢٣

هدى من الآيات:

تلك كانت محتويات الرسالة الالهيه:التذكرة بالعقل،و التوجيه الى الله و مقاومه الجاهليه التي هي اتباع الظن و الخرص،و هناك محتوى آخر للرسالة الالهيه يشهد على أنها حق من رب العالمين و هو توكل المؤمنين بها على الله،و استقامتهم أمام كل الضغوط،اعتمادا على الغيب كما فعل شيخ المرسلين نوح عليه السلام ،حيث تحدى قومه بكل وضوح فقال:ان كان تذكيري بالله صعبا عليكم فانى قد توكلت على الله،فاجمعوا أمركم و لملموا قواكم أنتم و شركاؤكم،ثم لا يكن أمركم بينكم غمه،تحزنون على تفريطكم فى الاستعداد للمواجهه.ثم طالبهم نوح بالمواجهه الفعلية دون تعطيل.

أما إذا توليتم فلن أطالبكم بأجر،و هذا دليل آخر على صدق الرساله،و لن أطالبكم بأن تصبحوا مسلمين لى بل لله.بيد أن قوم نوح كذبوه،فتدخل الغيب الذى اعتمد عليه و نجاه الله و من معه فى الفلك،و جعلهم الله ورثه لمن هلكوا

بالغرق، وهكذا كانت عاقبه الذين كذبوا-الهلاك.

بينات من الآيات:

التوكل سلاح المؤمن:

[٧١] حين نتلو قصه الرسالات السماويه فى صراعها مع الجاهليه، نزداد وعيا بحقيقه هذه الرسالات و ايماننا بصدقها، و لهذا يكرر القرآن بيان هذه القصة الواحده فى جوهرها، و المختلفه فى صورها، فهذا نوح شيخ المرسلين يتحدى قومه بسلاح الرساله وحدها، متوكلا على الله.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانِ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِن كَانَ صَعْبًا عَلَيْكُمْ قِيَامِي ضِدْ أَفْكَارِكُمْ وَ تَقَالِيدِكُمْ، وَ خُرُوجِي عَنِ أَطَارِ الرَّسُومِ وَ الْعَادَاتِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أُنَى وَاحِدٍ مِنْكُمْ، فَأَنْتُمْ قَوْمِي دُونَ غَيْرِكُمْ، وَ الْأَصْعَبُ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْتِي أَذْكَرُكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَ أَحَاوِلُ رَدْعَكُمْ عَنِ الْأَفْكَارِ وَ التَّقَالِيدِ الَّتِي آمَنْتُمْ بِهَا، فَإِن كَانَ كُلُّ ذَلِكَ عَظِيمًا عِنْدَكُمْ وَ لَا يُمْكِنُكُمْ أَحْتِمَالُهُ.

فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ دُونَ خَوْفِ مَنْكُمْ، وَ دُونَ اعْتِمَادِ عَلَى قُوهِ مَادِيهِ دُونَكُمْ، بِيَدِ أَنْ اللَّهُ الَّذِي أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ قَوِي عَزِيزٌ، لِذَلِكَ لَا أَخْشَى مِنْكُمْ بَلْ أَنْتِي أَتَحَدَاكُمْ بِصَلَابِهِ.

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ أَي اجْمَعُوا كُلَّ مَا تَمْلِكُونَ مِنْ قُوهِ مَادِيهِ وَ مَعْنَوِيهِ، وَ أَضَيْفُوا إِلَيْهَا قُوهِ شُرَكَائِكُمْ، دُونَ أَنْ تَتْرَكُوا شَيْئًا مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ حَتَّى لَا تَحْزَنُوا غَدًا.

ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً بَاعِثًا لِلْغَمِّ وَالْأَسَى.

ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ

من حقائق الرسالة:

أى رتبوا أمركم فيما يخصنى، و ضعوا خططكم فى مقاومه رسالتى، و تفاصيل مكركم ضدى بمتانه و إحكام، و لا تعطونى مهله أبدا.

إنه تحداهم بقوه الرساله، و نابذهم العداة اعتمادا على الله، مما دلّ على الحقائق التاليه:

أولا: ان الرساله ليست ناشئه الوسط الثقافى و الاجتماعى حتى تكون متأثره به سلبيًا، بل ثوره مباركه ضد سلبيات هذا الوسط.

ثانيا: ان الرسول مؤمن قبل أى أحد برسالته، و يضحى من أجلها بكل ما يملك، و لو كان -حاشا لله- كاذبا أو ساحرا لما أقدم على التهلكه من أجلها.

ثالثا: أن الرساله ظاهره غيبية تتحدى كل العوامل الماديه و تنتصر عليها، و الرسول عارف بذلك.

رابعا: انها لا تدهن السلبيات القائمه، و لا تجرى لاصلاحها سبيل التدرج المرحلى، أو الطرق السلميه، بل تتحداها جذريا، لأنها جاءت من عند الله خالق الناس و مالك السموات و الأرض، و لذلك لا معنى للمهادنه، أو تقديم التنازلات المرحليه، أو السكوت عن السلبيات.

ص: ٤٢٦

[٧٢] و أخذ نوح عليه السلام ينصح قومه بأسلوب آخر، حيث أوضح لهم أن هدفه من تبليغ الرساله ليس أبدا الحصول على مكاسب ماديه، بل رضوان الله و أنه هو أول من يعمل بما يقول.

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ هَكَذَا سَائِرُ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيهِ لَا يَهْدَفُ الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا وَ الْمُبَشِّرُونَ بِهَا بِلُغٍ مَطَامِحٍ مَادِيهِ مِمَّا يَشْهَدُ عَلَى صِدْقِهِمْ فِيْمَا يَخْبِرُونَ.

[٧٣] و الذى حدث فى نهايه المطاف دلّ على صدق الرساله أيضا، حيث أهلك الله و بطريقه غيبه قوم نوح و نجاه هو و المؤمنين برساله الله.

فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَ أَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِهِ نُوْحٍ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» لَقَدْ انْتَهَتْ عَاقِبَتُهُمْ بِالْغَرَقِ بِسَبَبِ تَحْدِيدِهِمْ لِلرِّسَالَةِ وَ اسْتِكْبَارِهِمْ، أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ شَاهِدًا عَلَى صِدْقِ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ؟!

اشاره

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ
(٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا
لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

اللغة

٧٨ [لتلفتنا]:اللفت الصرف عن الأمر.

[الكبرياء]:السياده و السلطه.

ص:٤٢٨

هدى من الآيات:

و مضت رسالات الله على ذات السنّه، حيث بعث الله أنبياءه الكرام الى قومهم، فجاء الرسل بالبينات لهدايه قومهم، و لكنهم رفضوا الايمان كما رفضه الأسبقون، و ذلك لتمرسهم بالاعتداء و الظلم.

و هكذا استمرت سلسله الرسالات حتى جاء دور موسى حيث بعثه الله تعالى و هارون الى فرعون و ملأه بآيات الله، فاستكبر فرعون و كبار المفسدين ممن حوله، و رفضوا الهدايه و مارسوا عمليا الجرائم بحق المستضعفين، و اتهموا موسى بأنه ساحر، كما اتهموا رسالته الحقه بأنها سحر واضح، و تميّز موسى غضبا كيف يقولون للحق انه سحر بينما الساحر لا يفلح و لا ينتصر، و لكنهم عاندوا بالرغم من دحض باطلهم، و قالوا المهم عندنا البقاء على دين آبائنا، و اننا لا نتنازل عنه، و لان هدفكم هو السلطه، و اننا لا نؤمن لكم أبدا.

و هكذا تكررت سيره نوح عند موسى و هارون باختلاف بعض التفاصيل، و لكن

بينات من الآيات:

خط الرسالة:

[٧٤]رسالات الله تشكل خطأ مستمرا عبر العصور، كما ان الجاهليه التي تقف أمام الرسالات تشكل خطأ ثابتا فى جوهره، وعلينا البحث عن خط الرسالات الذى يجسد اليوم واقع الرسالات السابقه بجوهرها فننتمى اليه.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَمَا الرِّسَالَاتِ خَطِّ، فَالْجَاهِلِيَّةِ خَطِّ مُسْتَمِرَّ مَعَهَا، فَان قَوْمِ نُوحٍ كَذَّبُوا رِسَالَتَهُ، وَكَذَّبَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ بِرِسَالَتِهِ لِمَاذَا؟ لِاشْتِرَاكِهِمْ جَمِيعًا فِي دَوَافِعِ التَّكْذِيبِ وَ مِنْهَا الِاعْتِدَاءُ الَّذِي هُوَ تَجَاوُزُ الْحُقُوقِ، وَ الْإِسْرَافِ فِي النِّعَمِ، وَ الَّذِي جَاءَتْ رِسَالَاتُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِ الْبَشَرِ مِنْهُ، وَ كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ قُرْآنِيهِ أُخْرَى حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ * وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (٢٥/الحديد).

فأقامه القسط و العدالة فى الأرض هدف الرسالات الالهيه، كما أن منع الإسراف فى الشهوات و توجيه الغرائز، و بالتالى مقاومه ما يسمى بالظلم الذاتى هدف آخر للرسالات، و طبيعى فى هذه الحاله أن يقف المعتدون الظالمون للناس أو لأنفسهم أمام الرساله، ذلك لأن الظلم ظلمان فظلم فى القلب، و ظلم فى السلوك السىء ينعكس سلبيا على النفس، و يحجب عنها نور العقل.

كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ

فالمعتدون تنغلق قلوبهم عن الاهتداء، و هذه سنه من سنن الله سبحانه.

موسى و فرعون النموذج البارز:

[٧٥] و كمثل على هذه الحقيقه يستشهد به القرآن الحكيم، ليعطينا رؤيه واضحه تجاه ما يمكن أن يكرر يوميا فى حياه الناس، كمثل عليها قصه موسى و هارون عليهما السلام الذين بعثهما الله برسالاته الى فرعون الطاغوت و ملأه، أى كبار معاونيه المفسدين فى الأرض، و لكن بسبب ممارستهم الجريمه، و الظلم، و الاعتداء، و بسبب انعكاس سلوكهم الفاسد على فكرهم، استكبروا عن قبول الرساله.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ إِلَيْنَا فَاذْكُرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ [٧٦] كيف استكبروا؟ و هل اعترفوا بالحقيقه و هى أن ظلمهم للناس، هو سبب استكبارهم و ضلالتهم؟ كلا.. بل برّوا رفضهم للرساله بتبريرات باطله، مما يمكن أن يتكرر فى كل عصر.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ إِنَّهُمْ رَفُضُوا التَّسْلِيمَ لِلْحَقِّ الَّذِي هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَالِقَهُمْ، و الذى كان واضحا لا- ريب فيه، و نسبوا الحق الى السحر، و الناس البسطاء لا- يميزون بين السحر و الرساله، إذ كلاهما خارق لعاداتهم و لا يعرف الناس مغزاهما، لذلك تلبس الأمر على الناس، و هكذا أضلوا الناس، و كذلك يمكن أن يتكرر الأمر مع الناس فى كل عصر، فالطاغوت و ملأه حين يخالفون الحق لا يعترفون بالدوافع الحقيقه لمخالفتهم من استكبارهم، و تمرسهم بالجريمه و الظلم، بل يتهمون الحق ببعض التهم التى تضلل الناس البسطاء و تفتنهم، و تلبس الحق بالباطل، و تشبه الرساله بالسحر، و الثوره

بالفوضى، و الإصلاح بتعكير صفو الأمن، و المطالبه بالحريه و المساواه بالهرطقه و التمرد على القيم هكذا.

فعلى الناس أن يتسلحوا بالوعى الكافى للتمييز بين الأقوال التى ينطق بها أصحاب الرساله، أو أنصار الطاغوت، و لا يرفضوا الرساله بالتأثر بالشبهات التى تثيرها أجهزه الطغاه ضدها، و هذا من عبر القصص القرآنيه حول الرسل.

الرد الرسالى:

[٧٧] و كما كانت شبهه الطغاه حول الرساله متناسبه مع بساطه الجماهير، فان رد هذه الشبهه من طرف الرسل كان بلغه مفهومه لدى الجماهير الساذجه أيضا، مما كشف زيف الشبهه لهم.

قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا فَلَقَدْ نفى موسى أن يكون كلامه سحرا، و أوضح أنه حق، و الحق واضح المعالم بعيدا عنمن ينطق به، فاذا جاءكم الحق سواء عن طريقى أو بطريق آخر، لا بد لكم أن تقبلوه و تطيعوه، و ربما تشير الآيه الى أن الحق هذا كان مقبولا- عندهم إذا بقى بعيدا عنهم، فكل الناس حتى الطغاه منهم يتفوهون بالحق و يعتقدون به، بل يطالبون الآخريين بتحقيقه، فمن الذى لا- ينطق بالعداله و لا يطالب بالتقدم و التطوير؟! و لكن إذا جاءه الحق و عارض مصالحه، رفضه و نسبه الى السحر، بينما الحق نفسه لما كان عند غيره كان مقبولا و لا يسمى بالسحر، أو ليس هذا الدليل البسيط و المفهوم عند الناس كافيا لدحض شبهتهم؟ و لم يكتف موسى بهذا الدليل بل تابع مضيفا:

وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ مُؤَكَّدًا انه يرفض مهنة السحر، بينما السحره يفتخرون بها، وهذا وحده كاف للدلاله على أنه غير ساحر، ثم أن الساحر لا يبلغ أهدافه لأنه لا يتبع الحق، بل يجرى وراء مصالحه و تراه في صف الظالمين و الطغاه، و لا يتسم سلوكه الشخصي بالقيم الانسانيه، بل تجده عاده متوغلا في الرذائل المنبوذه عند الناس، و بالتالي تجد الساحر بسبب مواقفه السياسيه و سلوكه الشخصي مكروها عند الناس، و لا يقدر على تحقيق أهدافه من أمامه الناس، و قياده المجتمع، بينما الرسول يدعو الى فطره الحق، و يقف الى جانب المستضعفين، و يطبق تعاليم السماء في توجيه الناس الى الخير، و سلوكه الشخصي سلوك مثالي، مما يجعله قريبا الى قلوب الناس، قريبا الى تحقيق أهدافه منتصرا سعيدا، و هذا واضح للناس جميعا، فالناس أنى كانوا رأوا أو سمعوا المصلحين و فى طليعتهم الرسل، و عرفوا السحره انئذ يمكنهم أن يعرفوا الفرق بين هذين الطرازين من الناس، بأدنى توجيه و تذكره.

النخوه الجاهليه:

[٧٨] و حين زهق باطل الطغاه، عاند القوم و أثاروا فى الناس نخوه الجاهليه، و الخوف من الإصلاح.

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا فَنَحْنُ قَوْمٌ مَّتَحَضِّرُونَ ذُو و تقاليد قديمه كيف تؤمن بكم و أنتم ضدها؟! وَ تَكُونُ لَكُمْ مَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْمَأْرُضِ فَأَنْتُمْ لَسْتُمْ مِنْ رِسلِ الْحَقِّ بَلْ مِنْ طُلَّابِ الْمَنْصِبِ، و هذه تهمة مباشره للشخص، بينما موسى كان يوجه الحديث الى محتوى الرساله، و هذا التغيير هو من

عاده الطغاه، حيث يحولون الصراع بينهم و بين أصحاب الدعوة الى صراع شخصى بينما هو صراع فكرى لذلك.

وَ مَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ وَ كَأَن مَّوسَى وَ هَارُونَ دَعَا قَوْمَهُمَا بِالْإِيمَانِ بِهِمَا دُونَ رَسُولِهِ.

و هكذا انتهت مرحله البلاغ، و جاء دور الصراع السياسى الذى نقرؤه فى الدرس القادم بأذن الله تعالى.

ص: ٤٣٤

اشاره

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ اِنْتَوَيْتُمْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى اَلْقُوا مَا اَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا اَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ اِنَّ اِلَهَ سَيِّطُلَهُ اِنَّ اِلَهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَ يُحِقُّ اِلَهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى اِلَّا ذُرِّيَّهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِيهِمْ اَنْ يَفْتِنَهُمْ وَ اِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْاَرْضِ وَ اِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَ قَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلٰى اِلٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ (٨٥) وَ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكٰفِرِينَ (٨٦)

اللغة

٨٣[ذريه]:الذريه جماعه من نسل القبيله.

هدى من الآيات:

و جاء دور الصراع الثقافى و الاجتماعى، و جمع فرعون سحرته الماهرين فى السحر و طلب منهم موسى أن يلقوا سحرهم، فلما ألقوا قال موسى متحديا و متوكلا على الله ان الله سييطل سحركم، لأن الله لا ينصر المفسدين، و هم السحره الذين يتبعون الفساد من سحرهم، و ان الله يحق الحق بكلماته، الغيبه الحقه، و لو كره فرعون و أمثاله من المجرمين.

و آمن لموسى و رسالته ذريه من قومه من بنى إسرائيل، خائفين من فرعون و المفسدين من أعوانه لكى لا يكرههم على الكفر مره أخرى، لأن فرعون كان عاليا متجبرا و متسلطا على الناس، و كان من المسرفين الذين يستخدمون كل امكاناتهم فى لحظه واحده.

و لكن موسى الذى تحدى السحره بعزه الله، أمر قومه المؤمنين بتحدى فرعون بقوه الايمان، و سلاح التوكل على الله و التسليم لأوامره، و لما يستوجب أوامره من

تضحيات، واستجاب قومه لهذا الأمر فتوكلوا على الله سبحانه وقالوا «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» تمتحنهم بنا، فيقتلوننا و يعذبوننا دون أن تردعهم غيبيا لكي تبليهم، ودعوا الله أن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين.

بينات من الآيات:

و دقت ساعه الصفر:

[٧٩] وحانت لحظه المواجهه، التي كشفت الخلفيه الغيبية للرسالات السماويه و التي تميزها كلياً عن الدعوات الاصلاحية أو الثورات الاجتماعيه أو الصراعات السياسيه، تلك اللحظه التي وقف فيها موسى (رسول الله) يتحدى كل أسلحه الطاغوت بإيمان راسخ و عزم شديد.

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ [٨٠] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ لقد تحداهم موسى لأنه لا يهرب قوه سحرهم، لا لأنه كان يعرف ماذا سيحدث إذا ألقوا سحرهم تفصيلاً، بل دون أن يعرف ما هو سحرهم بالضبط، ولكنه كان عالماً بالنتيجه عن طريق ايمانه بالله.

[٨١] فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ و علمه بأن الله سيبطل سحر السحرة كان بدوره نابعا من معرفته بسنه الله في الحياه التي تقضى بابطال الفساد.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ و السحرة مفسدون، لا يهدفون إصلاح المجتمع بعلمهم، و الفساد شذوذ ينتهي،

و انحراف يزهق، و باطل لا يدوم، و الله لا يصلحه، بعكس الرسول المصلح الذى ينشد اقامه الحق و العدل.

نصر الله:

[٨٢] وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فالحق ينصره الله، مره بكلماته الرساليه التى تفضح الباطل، و تعطى للمؤمنين بالحق سلاحا إيديولوجيا و برنامجا ثوريا متكاملا، و مره بكلماته الغيبية التى إذا قال لشيء «كن» فيكون، أما الطاغوت فانه مجرم بحق الناس، و المجرم لا سلطه له على الحياه برغم التظاهر بذلك.

[٨٣] و هكذا استمر الصراع حتى تبلور فى ايمان طائفه من الناس بالرساله و تجسيدها لمفاهيمها و برامجها.

فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ لِمَا ذُكِّرُوا بِهِ خَشَوْا مِنْ فِرْعَوْنَ؟ إنهم خافوه على دينهم حتى لا يفتنهم عن الدين بالضغط الشديد.

أَنْ يَفْتِنَهُمْ و لقد كان فرعون متسلطا على الناس، مسرفا فى استخدام موارد الطبيعه.

وَ إِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُشْرِكِينَ

التوكل سلاح الحسم

[٨٤] و لكن بالرغم من علو فرعون و إسرافه، و بالرغم من قدرته و ثروته، فان

ص: ٤٣٨

موسى أمر قومه بالتوكل على الله.

وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ وَ هَكَذَا أَمَرَهُمُ مُوسَى بِأَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

[٨٥] فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ انما قالوا هذه الكلمه الحاسمه بعد أمر موسى لهم، و تذكيرهم بأنها شرط الايمان بالله، و شرط التسليم لقضائه و قدره، و لكنهم بالرغم من توكلهم على الله، كانوا يتطلعون الى النجاه من مأساتهم.

و لم يكونوا يهدفوا تعذيب أنفسهم مثلما تفعله (الساديه) أو توحى به بعض المذاهب الصوفيه، لذلك تراهم يدعون الله لكى لا يجعلهم ماده لاختبار الظالمين و ابتلائهم، مما يدل على أن الله يقدر لبعض المؤمنين الشهاده و لا- يمنع عنهم ظلم الظالمين، امتحانا لأولئك الظالمين، بالرغم من أنه سبحانه ينصر عباده المؤمنين فى عاقبه الأمر،

جاء فى حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام ان معنى هذه الآية: «لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا» (١).

الرؤية فى الصراع:

[٨٦] لذلك تضرع المؤمنون من قوم موسى الى ربهم لكى ينجيهم قائلين:

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَ هذه هى رؤيه المؤمنين الى الصراع، فليست عاقبه الصراع مجهوله، و لا هى فى

ص: ٤٣٩

مصلحه الكفار، و لكن لا يعنى ذلك ان الصراع يكون سهلا و بلا تضحيات، أو بلا عمل و اجتهاد، و الدعاء الى الله هو نوع من العمل.

ص: ٤٤٠

اشاره

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ اقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَ قَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ زِينَةً وَ مَلَائِهِ زِينَةً وَ أَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّنَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَ اشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَ لَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْيًا وَ عَدَاوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) أَلَّا نَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) وَ لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْأَأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)

اللغة

٨٧[تبوء]:تبوء أى اتخذنا يقال تبوء لنفسه بيتا أى اتخذده و بوات له بيتا أى اتخذته له.

٨٨[اطمس]:الطمس محو الأثر.

٩٠[و جاوزنا]:المجاوزه الخروج عن الحد من أحد الجهات الأربع.

[فأتبعهم]:الاتباع طلب اللحاق بالأول و أريد به انه اقتدى بهم و اتبع أثرهم.

[بغيا]:البغى طلب الاستعلاء بغير حق.

[عدوا]:العدو و العدوان الظلم.

هدى من الآيات:

و بعد أن آمنت ذريه من قوم موسى بالرساله، اتخذ الصراع شكلا اجتماعيا، و أمر الله رسوله أن يتخذ لقومه المؤمنين بيوتا متقاربه و متقابله، و أن يقيموا الصلاه، و يبشر المؤمنين، و هكذا انفصل المؤمنون عن الكفار، بيد أن زينه الدنيا و مباحجها و ثرواتها كانت بأيدي الكفار، فدعى موسى ربه ألا يدع فرعون و زبائنه يضلون عن سبيل الحق بسبب تلك الزينه، و الأموال، بل يطمس على أموالهم، و يشدد على قلوبهم فيسلبهم علمهم و عقلهم، فلا يؤمنوا حتى يأتيهم العذاب، فلا ينفع الايمان.

فاستجاب الله لدعوه موسى و هارون، و لكنه أمرهما بالمقابل أن يستقيما و ألا يخضعا للضغوط فيتبعان سبيل الجاهلين، و لكن كيف تحقق دعاء موسى و هارون؟ و متى؟ حينما هيا الله لبنى إسرائيل البحر بطريقه غيبه، فعبروه الى صحراء سيناء، فلحقهم فرعون و جنوده ليفتكوا بهم و لكنهم أغرقوا، و حين أحاط به الماء قال: آمنت

انه لا اله الا الله، بعد أن جاءه العذاب الأليم، و ناداه مناد هل تؤمن بعد أن عصيت الله و أفسدت فى الأرض؟ ان الايمان لا ينفع الآن، و ان الله سوف ينجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آيه و عبره، بيد أن كثيرا من الناس عن آيات الله غافلون.

و لقد هيا الله لبنى إسرائيل مقاما آمنا، و رزقهم من الطيبات، و ما اختلفوا الا من بعد أن جاءهم العلم، فلم يقصّر الله سبحانه بحقهم، و إن الله سوف يقضى بينهم يوم القيامة بالنسبه الى خلافاتهم.

بينات من الآيات:

ضروره التجمع:

[٨٧] فى بعض مراحل الصراع بين الإسلام و الجاهليه، تحتاج الفئه المؤمنه الى تجميع أفرادها فى كتله اجتماعيه رصينه، لكى يقاوموا الضغوط و لا يذوبوا فى تيار الجاهليه الخادع، و من هنا أوحى الله الى موسى و هارون أن يبنيا لقومهما بيوتا مجتمعته الى بعضها و متقابلته، لمقاومه احتمالات الاعتداء، و أن يقيموا الصلاه، و يعطوا أمل الانتصار للناس.

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ اقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ اقامه الصلاه تزيد التلاحم الرسالى كما تزيد روح المقاومه، كما أن روح الأمل و انتظار الفرج تحافظ على مستوى النشاط و الحيويه فى الرسالين، و فى تلك الأجواء المنغلقة كانت اقامه الصلاه و البشاره ضروره هامه، لكى لا يفقد المؤمنون روح النشاط و الترابط.

[٨٨] و بعد الفصل الاجتماعى بين الفئة المؤمنه و الأغلبيه الكافره، حانت المرحله الثانيه حيث دعا موسى ربه بأن يسلب من فرعون و ملاءه المفسدين ما أعطاهم من الثروه و السلطه.

و قَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَآءَهُ زِينَةً وَ أَمْوَالًا - فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قِيلَ بِأَنَّ الزَّيْنَةَ هِيَ الْحُلَىٰ وَ الثِّيَابُ، وَ قَالَ الْبَعْضُ أَنَّهَا الْجَمَالَ وَ صَحَّهِ الْبَدَنِ، وَ أَعْتَقَدُ أَنَّ الْكَلِمَةَ (الزَّيْنَةَ) شَامِلَةٌ أَيْضًا لِحَسَنِ الذِّكْرِ وَ الْهَيْبَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، مِمَّا يَكُونُ جَانِبًا مِنَ السُّلْطَةِ، إِذِ السُّلْطَةُ تَعْتَمِدُ عَلَىٰ عَامِلٍ مَادِيٍّ هُوَ الْمَالُ، وَ عَامِلٍ مَعْنَوِيٍّ هُوَ تَسْلِيمُ النَّاسِ لَهَا، وَ اعْتِبَارُ الْمَشْرُفِينَ عَلَيْهَا أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِمْ.

رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ فَالسُّلْطَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِسَعَادَةِ النَّاسِ، وَ لَيْسَ طَرِيقًا لَضَلَالِهِ النَّاسِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا فَعَلَ فِرْعَوْنُ وَ مَلَآءُهُ فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، وَ يَبْدُو لِي أَنْ لَفْظَهُ (اللام) فِي كَلِمَةِ «لِيُضِلُّوا» لَا - تَدُلُّ عَلَى الْعَاقِبَةِ، وَ لَا عَلَى الْهَدَفِ وَ الْغَايَةِ، بَلْ بِمَعْنَى الْاِسْتِفْهَامِ، أَيِ هَلْ كَانَ الْمَالُ وَ الزَّيْنَةُ بِهَدَفِ ضَلَالَةِ النَّاسِ أَمْ بِهَدَفِ هِدَايَتِهِمْ وَ اِسْعَادِهِمْ؟! بِالطَّبَعِ الْجَوَابُ أَنَّهُ كَانَ بِهَدَفِ الْهَدَايَةِ، إِذِ ان فِرْعَوْنَ وَ مَلَآءَهُ كَفَرُوا بِنِعْمَةِ السُّلْطَةِ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُبَهَا اللَّهُ مِنْهُمْ.

رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِيهِمْ أَى اجعلها بحيث لا ينتفعون منها، كما تطمس الدير بالرياح فتمحوا آثارها، فمثلا مع انعدام الأرزاق، و قلّه السلع، و افتقاد الأمن فى سبل التجاره لا

ينفع المال شيئاً، و مع انتشار الأوبئة و الأمراض الساريه، و الجفاف و سوء الطقس لا ينفع المال شيئاً، و مع انتشار الإرهاب، و تسلط الديكتاتوريه، و الغلاء الفاحش لا ينفع المال شيئاً، و هكذا يفعل الله بمن لا يشكر نعمه المال فيسلب فائدته.

وَ أَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَى انزع اللين و الانفتاح من قلوبهم حتى تصبح قلوبهم متحجره، و منغلقة، و التحجر يسبب فقدان العواطف و الاحاسيس، و بالتالى فقدان الترابط الاجتماعى بين أبناء الفئه الحاكمه، كما أن الانغلاق يمنع التطوير و التقدم، و يسبب الجمود على الأفكار السابقه، و هكذا يزول حكم هؤلاء بسبب الشد على قلوبهم، لأن السلطه التى عبّر عنها القرآن- فيما يبدو لى- بالزينه مستحيله مع التفتت و الجمود.

و من أبرز مظاهر الجمود أن صاحبه لا يؤمن بالحقائق إلا بعد فوات الأوان.

فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ و السلطه المستمره هى التى تحس بالتطورات القائمه و تحاول احتوائها، و آل فرعون لم يؤمنوا بما حدث إلا بعد أن أدركهم الغرق.

استجابہ الدعوه:

[٨٩] و كان ذلك بسبب دعاء موسى و هارون.

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا و لكن هل الدعاء وحده كاف للقضاء على الجاهليه؟

ص: ٤٤٦

كلا.. بل يجب أن يلتزم صاحب الدعاء بدوره بمحتوى دعائه، فحين يدعو المسلم على الطاغوت بزوال سلطانه، فعليه ألا يخضع لهذا الطاغوت، لأن خضوعه له نوع من الدعم له، وبالتالي مخالف لوجهه دعائه، وحين يلعن الثائر سلطه جائره فان معنى اللعن ابتعادها عن رحمه الله، وهكذا يجب عليه ألا يدعم هذه السلطه بل يحاربها أيضا، كما يطلب من الله أن يحاربها، لذلك أمر الله تعالى موسى و هارون في مقابل استجابته دعائهما أن يستقيما.

فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَالْإِسْتِقَامَةَ تَعْنِي مَقَاوِمَهُ ضَغُوطِ الطَّاغُوتِ قَبْلَ سَقُوطِهِ، مِثْلُ: السَّجْنِ، وَالتَّعْذِيبِ، وَالْقَتْلِ، وَالتَّجْوِيعِ، بِيَدِ أَنْ مَحَارِبَهُ الطَّاغُوتِ بِحَاجِهِ أَيْضًا إِلَى مَحَارِبِهِ نَهْجَهُ الْفَاسِدِ، فَالْفِتْنَةُ الْمُؤْمِنَةَ يَجِبُ أَنْ تَغْيِرَ ذَاتَهَا سَلُوكِيًا، ثُمَّ تَتَّعَدُّ بِتَطْبِيقِ بَرَامِجِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِهَا فِي عِلَاقَاتِهَا مَعَ بَعْضِهَا، وَفِي اتِّبَاعِهَا لِقِيَادَتِهَا الرِّسَالِيَّةِ، وَفِي سَلُوكِيَّاتِ أُنْبَاءِهَا الشَّخْصِيَّةِ، وَهَذَا بَعْضُ مَعَانِي الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ فِي الْآيَةِ.

[٩٠] و جاوز الله تعالى بنى إسرائيل البحر بسبب استقامتهم، و اتباعهم نهج الرسالة، و أغرق الله تعالى فرعون و جنوده استجابته لدعاء المؤمنين.

وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْيًا وَ عِدْوًا أَيْ لِحَقِّهِمْ فِرْعَوْنُ اسْتِعْلَاءً فِي الْأَرْضِ، وَ طَلِبًا لِلسُّلْطَةِ، وَ ظُلْمًا لِلنَّاسِ.

حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعُرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ هَكَذَا اسْتَمَرَّ فِرْعَوْنُ كَافِرًا حَتَّى جَاءَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ، فَأَمَّنَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَنْفَعَهُ الْإِيمَانُ.

[٩١] و لكن الايمان بعد حلول العذاب لا يجدى صاحبه شيئاً، لذلك خاطبه الحق.

آلْمَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ أَى أ تؤمن الآن، بعد مشاهدته العذاب بينما عصيت قبل ذلك و أفسدت فى الأرض؟ [٩٢] و التهمت الأمواج فرعون، و لكنها قذفت بدنه خارجاً ليكون آيه لمن بعده، كيف انتهت عاقبه ذلك الطاغوت الذى ادعى أنه الرب الأعلى لبنى إسرائيل؟ و لا يزال فى متاحف مصر بعض أجساد فراعنتها.

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ

الاختلاف بعد العلم:

[٩٣] و هكذا انتصرت الفئه المؤمنه بالرساله، المتوكله على الله، و المتحديه سلطان الجاهليه، انتصرت بإذن الله على كيد الطاغوت، و لكن انتصارهم لم يكن بالمكر و الظلم بل بالعمل الصالح.

و لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ أَى مَكَّنْهُمْ اللَّهُ مَقَاماً آمناً بِصَدَقِ.

و رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ فَاخْتَلَفَهُمُ الْاِخْتِلَافُ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الرِّسَالَةِ، بَلْ بِسَبَبِ أَهْوَائِهِمْ، وَ كَانَ بَعْدَ

وضوح السبيل أمامهم.

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِذِ الْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ، وَغَمُوضُهُ عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ انْمَا هُوَ بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِمْ
لِلْهَوَىٰ وَالشَّهَوَاتِ.

ص: ٤٤٩

اشاره

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسِئَلِ الَّذِينَ الَّذِينَ يَقْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَا جِئَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرْوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧) فَلَوْلَا كَانَتْ قُوَّةُ أَمْنٍ فَنَفَعَهُمْ إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)

اللغة

٩٤[الممتريين]:طلب الشك مع ظهور الدليل.

ص:٤٥٠

هدى من الآيات:

بعد أن استعرض السياق قصص الرسالات السابقة، وكيف كفر بها الناس، فتوكل المؤمنون بها على ربهم، حتى نصرهم، بين هذا الدرس عبره تلك القصص فيما يخص الرسالة الخاتمة، وأمر رسوله و من ورائه كل من يقرأ الكتاب بأنه لو كان فى شك من الرسالة أو من انتصارها، فليسأل العارفين بالتاريخ، وان هذا هو الحق من الله، ولا يكونن من الشاكين، ولا من الذين كذبوا بآيات الله و خسروا، فيكون مثلهم خاسرا.

بلى أن الذين ظلموا أنفسهم و انحرفوا سلوكيا، إنهم حكموا من قبل الله بالضلاله، فحقت عليهم كلمه ربك، و لذلك فهم لا يؤمنون حتى و لو جاءتهم مختلف الآيات التى يطالبون بها، و التى يعتقد انها لو جاءتهم آمنوا بها، أجل انهم سوف يؤمنون فى لحظه مشاهده العذاب، حين لا- ينفعهم ايمانهم، كما لم ينفع أيه قريه من هذه القرى الظالم أهلها الذين أهلكهم الله بكفرهم و بذنوبهم فلم يؤمنوا

الآ في لحظه الهلاك، إلا قوم يونس لما آمنوا كشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياه الدنيا و أعطاهم مهله الى فتره محدده.

بينات من الآيات:

بين الشك و اليقين:

[٩٤] لم يشك الرسول في صحه رساله الله التي أنزلت اليه، و لكن خشيه الرسول كانت من عدم تطبيق الرساله بسبب جحود الكفار، و بسبب حكمه الله البالغه التي قد تقتضى تأجيل نصر الله لرسالته، كما كانت خشيه موسى عليه السلام حين ألقى السحره جبالهم فسحرت أعين الناس، كانت خشيته آتئذ من أن تشاء حكمه الله الآ- ينصر رسالته في تلك اللحظه فتنه للناس، و ابتلاء للرسول.

بيد أن هذا الشك و هذا الخوف يقل حينما نراجع التاريخ، و نسأل الذين يقرءونه، حيث ينصر ربنا سبحانه رسالته في لحظه الحرج و ساعه العسره.

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ وَ لَا يَعْنِي السُّؤَالُ هُنَا أَنْ يَذْهَبَ رَسُولُ اللَّهِ أَوْ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ إِلَى شَخْصٍ مِثْلَ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ» الَّذِي آمَنَ بِالرَّسَالَةِ، وَ كَانَ عَارِفًا بِتَارِيخِ الرِّسَالَاتِ، إِنَّمَا جَرَى الْحَدِيثُ مَجْرَى الْعُمُومِ، أَيْ مَرَّجَعَهُ الْخَبْرَاءُ وَ الْعَارِفِينَ بِالتَّارِيخِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ، وَ طَبِيعِي أَنْ سَأَلَهُمْ يُؤَيِّدُ الْحَقَائِقَ الْقُرْآنِيَّةَ، وَ لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يَكُونُوا ثِقَاءً - وَ الثَّقَه - شَرَطَ فِطْرِي وَ عَقْلِي لِلْعَالَمِ الَّذِي يَسْأَلُهُ النَّاسُ.

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ أَى حِينَ تَرَجَعَ التَّارِيخُ وَ تَرَى كَيْفَ نَصَرَ اللَّهُ رِسَالَتَهُ آتئذِ ابْتَعَدَ عَنِ الشُّكِّ إِلَى

اليقين، وهذه الآيه توحى ببعض الحقائق التى نشير إليها فيما يلى:- أَلْف: ان الخطابات القرآنيه لا يجب أن تكون موجهه الى شخص الرسول، لأن القرآن كتاب الله الى الناس جميعا، وبذلك لا نحتاج الى التأويل كلما وجدنا خطابا فى الآيات، ولذلك قال الزجاج فى هذه الآيه كلاما نراه فى كل الآيات المتشابهه تقريبا قال: «بأن هذه الآيه قد كثر سؤال الناس عنها و خوضهم فيها، و فى السوره ما يدل على بيانها، فان الله سبحانه يخاطب النبى و ذلك الخطاب شامل للخلق، فالمعنى: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ» و الدليل على قوله فى آخر السوره: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (1) فأعلم الله سبحانه أن نبيه ليس فى شك.

و يبقى أن نذكر أن عدم شك الرسول و متانه يقينه انما جاء بسبب الوحي، فلو لا الوحي و لولا روح القدس الذى كان يأتيه بالوحي، إذا كان الرسول بشرا كسائر الخلق، و لذلك ينبغى ألا نحاول فصل الرسول و عصمته و رفعه درجته عن القرآن و أثره فيه.

باء: ان الانتفاع بالعلم الحقيقى جزء من رساله الدين، و لا يقتصر هذا العلم بالفيزياء و الكيمياء مما يتعلق بالعلوم التجريبيه، بل و أيضا التاريخ و الاجتماع و التى تسمى بالعلوم الانسانيه، و لكن بشرط فصل الروايه عن الدرايه، و فصل المعلومات الحقيقيه عن النظريات الاحتماليه.

جيم: ان الشك و اليقين عملان من عمل البشر الذى يختارهما اختيارا، ذلك

ص: ٤٥٣

لأن الشك قد يكون بسبب انعدام العلم، وهذا مفروض على البشر و موجود بسبب عجز البشر الطبيعي، و لكن قد يكون الشك نابعا من الهوى و اتباع الشهوات، فكثير أولئك الذين يشكون فى الحقائق، لأنهم قرروا سلفا البقاء فى شكهم، و لأنهم لا يفكرون منطقيا و لا- يبحثون عن المصادر السليمة للمعرفة و لأنهم بالتالى يخافون من مسئوليات العلم التى لا- بد أن يتحملها كل عالم، لذلك نهى ربنا عن أن يكون الفرد من الشاكين، لأن الشك من عمل الإنسان.

كيف تخسر نفسك؟

[٩٥] كما أن الكفر و الأيمان من عمل الإنسان، لذلك نهى القرآن من أن يكون الفرد مكذبا بآيات الله، بأن يتخذ موقفا سلبيا مسبقا من كل دليل علمى يدل على الحقيقة.

و لَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ و لماذا يكذب الفرد بالحق، أو ليس من أجل مصالحه و شهواته؟! و لكن عليه أن يعرف أن التكذيب بالحق يسبب له خساره نفسه و مصيره.

[٩٦] و السؤال الذى يفرض نفسه لماذا يسبب الفرد خساره نفسه عن طريق تكذيبه بآيات الحقيقة؟ الجواب: أن فريقا من الناس يكذبون بالحق بسبب سوء أعمالهم و سلوكهم، فمن اعتاد الظلم، و مارس الجرائم يطبع الله على قلبه حتى لا يؤمن، إلا فى وقت لا ينفعه ايمانه.

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

[٩٧] و عدم ايمان هذا الفريق من الناس ليس بسبب نقص في الآيات، بل بسبب انغلاق أنفسهم دون نور الايمان.

وَ لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ أَجَلُ انْهَارٍ لَيُؤْمِنُونَ فَبَلِّغْهُمْ رِسَالَاتِنا وَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَنُصَلِّينَ

حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

التكذيب سنه اجتماعيه:

[٩٨] يبقى أن نعرف أن ذلك ليس قدرا مقضيا عليهم بل سنه اجتماعيه، و الفرق بين القدر و السنه، أن القدر كطلوع الشمس من مشرقها في وقتها لا يخضع أبدا لاراده البشر، بينما السنه كما الثوره ضد الظلم، و سقوط الطاغوت، قد يتقدم أو يتأخر، أو حتى لا يقع إذا أراد الإنسان، فقد لا يقرر الشعب المضطهد الثوره ضد جلاديه، و قد يغير الطاغوت عاداته الظالمه في الوقت المناسب فيمدد في أجله، و هكذا جحود الظالمين و كفر المكذبين بآيات الله ليس قدرا، بل سنه، فمن الممكن عقلا أن يدور المرء مائه و ثمانين درجه باتجاه الصلاح كما فعل قوم يونس، و لكن لا يقع ذلك عادة بسبب تكبر الفاسقين و تعاليهم عن التوبه إلا بعد فوات الوقت.

فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَتْ إِيمَانُها أَى لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ بِهَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِّئَلَّا يُكْفَرُوا لَعْنَةُ الْكٰفِرِينَ

تلملا اجتماعيا، بل أخذته العزه بالإثم، حتى أصبح التلمل ثوره عارمه؟ و لماذا لم يتب الشعب المتوغل في الفساد الخلقى، و في ظلم بعضهم لبعض، حين رأوا قصا في الثمرات، و تدهورا في الاقتصاد، و في الصحه العامه، بل استمروا في غيهم حتى أنهار اقتصادهم و صحتهم تماما؟!

عنكم، فأخرجوا الى المغاره و فرّقوا بين النساء و الأولاد، و بين سائر الحيوان و أولادها، ثم أبكوا و أدعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب، و كان قد نزل بهم و قرب منهم) (١).

و جاء فى بعض التفاسير أن قوم يونس قد تابوا بعدئذ توبه نصوحا، حتى ردّ كل ظالم، حق المظلوم اليه، حتى أن الحجر كان فى أساس البناء و كان غصبا، كان الفرد يهدم بناءه و يرده الى صاحبه.

و فى هذا الحديث اشاره واضحه الى السبب فى توبه قوم يونس و هو: تواجد العلماء بينهم، و احترامهم لمقام العلم.

ص: ٤٥٧

١-١) نور الثقلين ج ٢ ص ٣٢٨

اشاره

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا- مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلِ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

هدى من الآيات:

يتساءل القارئ للآيات السابقة: لماذا و كيف يختار البشر طريق الايمان أو الكفر؟! فيجيب هذا الدرس عن هذا السؤال بإعطاء بصيره ذات أبعاد أربع عن الايمان و الكفر و هي:

١- لا- يتحقق الايمان بالإ-كراه، لا- من قبل الله، و لا من قبل الرسول، فلو شاء الله لآمن من فى الأرض جميعا، و لكنه لا يكره الناس على الايمان، فهل يحق لبشر أن يكره الناس على الايمان و خالق البشر أحق بذلك، لو كانت المصلحه تقتضيه؟.

٢- ان الايمان نعمه كبيره يتفصل بها الله على الإنسان، بعد توفير شرائطه من قبله و ان الله يجعل الرجس و هو الكفر و مفسده المترته عليه على أولئك الذين لا ينتفعون بنور عقولهم فلا يعقلون.

٣- إذا فتح الإنسان عينه، و نظر الى ما فى السموات و الأرض نظر اعتبار من

دون حجاب،فانه يوهب الايمان،و لكن إذا قرّر الفرد عدم الايمان سلفا فكل الآيات و النذر لا تغنيه و لا تنفعه شيئا.

٤- أن انتظار الكفار هو تحول الغيب الى شهود،و الحقيقه المبشر بها الى واقع قائم أمامهم،مثل أن ينزل عليهم فعلا العذاب الذى يتوعدهم به الرسل،و آتئذ لا ينفعهم الايمان كما لم ينفع الذين كذبوا بالرسالات السابقه،و انما نفع المؤمنين من قومهم الذين نجاهم الله،و هذا وعد حق يقطعه الله على نفسه للمؤمنين عبر العصور أنه ينقذهم مما ينتظر الكفار من العذاب.

بينات من الآيات:

الأيمان ماده الاختبار:

[٩٩]لقد خلق الله الحياه ليختبر فيها الناس،و جعل ماده الاختبار الايمان،و قد منح ربنا للبشر حريه القرار فيما يخص الايمان،و كان بإمكان ربنا التقدير أن يهب الإنسان نعمه الايمان بمثل ما وهب له نعمه العين،و أضاء له النهار،و لكنه لم يفعل، فعلىنا ألا نحاول إجبار الناس على الايمان.

وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَأْمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ أَي هل أنت تضغط عليهم باستمرار حتى يصبحوا مؤمنين،فهذا أمر يتنافى مع حكمه الاختبار فى الدنيا،و هو لا يمكن عمليا لأنه بعيد عن سنه الحريه التى قررها الله للبشرية.

الأيمان و مشيئه الله:

[١٠٠]ثم ان الايمان ليس كأى عمل آخر يقوم به البشر،بل ان جانبا منه

ص:٤٦٠

متعلق بمشيئه الله، فهو كالنصر في الحروب لا يمكن اليقين به مائه بالمائه.

وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَاللَّهُ يَأْذِنُ لِلنَّفْسِ الْبَشْرِيَّةِ أَنْ تَقْتَبِسَ شِعْلَهُ مِنْ نَوْرِ الْإِيمَانِ، بَعْدَ أَنْ تُوفِّرَ النَّفْسُ فِي ذَاتِهَا كُلِّ الْعَوَامِلِ الْمُمْكِنَةَ، وَ تَتَّصِلَ بِرَبِّهَا عَنْ طَرِيقِ الضَّرَاعَةِ وَ التَّبْتَلِ، وَ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مَنْطُوبَةً عَلَى غَلٍّ أَوْ فُسَادٍ، فَانِ اللَّهُ الْعَلِيمُ وَ الْمَحِيطُ بِأَبْعَادِ النَّفْسِ لَا يَأْذِنُ لَهَا بِالْإِيمَانِ، وَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ تَدْعُونَا أَوْلَا إِلَى اعْتِبَارِ الْإِيمَانِ مَسْتَوَى رَفِيعًا لَا يَبْلُغُهُ الْفَرْدُ إِلَّا بَعْدَ جِهَادٍ صَعْبٍ، وَ بَعْدَئِذٍ فَهُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ.

ثم ان الايمان حقيقه خارجيه، حيث أنه رؤيه واضحه، و عرفان شامل، و تطويع للشهوات، و ترويض للنفس الجموحه، فهو عموما رحمه من الله، ان الكفر نغمه ينزلها الله على من لا يعمل جاهدا من أجل الحصول على الايمان.

وَ يَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَبْلُغُونَ مَسْتَوَى الْإِيمَانِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِنُورِ الْعَقْلِ الَّذِي زُوِدُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، فَوَقَعُوا فِي رَجْسِ الْجَهْلِ وَ الشَّهَوَاتِ.

هل نتفكر؟

[١٠١] ان الفرد الذى ينتفع بعقله يكفيه أن ينظر الى ملكوت السموات و الأرض، الى الجبال الراسيه التى تحفظ الأرض من أن تميد، و تترايط من داخلها بطبقات صخريه، و تحتفظ فى أجوافها بأحواض ماء عذب تتفجر عيوننا و تجرى أنهارا، كما تخزن المعادن الثمينه من الذى وضعها مواضعها، و ثبت بها الأرض التى انبسطت أمامها مهادا للناس، يتخذون من ترابها اللين فراشا، و مستقرا، و يزرعونها لمعاشهم؟

و إذا نظرت الى السماء،الى مواقع نجومها،و نظام مجراتها و منظوماتها الشمسيه، الى تعادل الجاذبيه فيها،الى سعتها و امتدادها بحيث لا يستطيع علم البشر أن يلاحقها،و لا تقدر الأجهزة التلسكوبيه المتطوره أن تبصرنا أبعادها، و تختفى المسافات العاديه لتحدث عن المسافات النوريه فنقول:مليون عام ضوئى يفصل بيننا و بين المجره الكذائيه،أى أن النور الذى خرج من مصدره وصلنا بعد مليون عام،بينما يسير النور فى كل ثانيه مسافه مائه و ثمانين ألف ميل،و إذا أردنا أن نعد أجرامها فسوف يتجاوز الحساب رقم الملايين إلى البلايين،علما بأن بعض أجرام السماء أكبر من أرضنا ملايين المرات،حتى لتبدوا أرضنا كحبه رمل فى صحراء متراميه،من الذى أنشأها و دبر أمرها،و حافظ على أنظمتها الحكيمه،هل أنا و أنت أم هذا الطاغوت و ذلك الثرى و ذلك الكاهن،أم الله خالق السموات و الأرض سبحانه؟! و لكن حين لا يريد الفرد الايمان،أو بتعبير آخر حين يصمم على الآ يؤمن بالله مهما كانت آياته واضحه،فما ذا تغنيه الآيات؟!و ماذا تفيده كلمات التحذير و الإنذار؟! قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَ النَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

عذاب الله متى؟ و كيف؟

[١٠٢] لماذا يصمم البشر على عدم الايمان؟ أو ليس استجابته لشهواته العاجله، زاعما ان الكفر يوفر له المزيد من المتع الماديه؟ و لكن الحقيقه غير ذلك إذ أن الكفر يسلب منه نعم الله،و يرديه فى واد سحيق.

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا - مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ الْجَمِيعِ يَنْتَظِرُ وَ لَكِنِ الرَّسُولُ يَنْتَظِرُ الْفَرَجَ
بينما الكفار ينتظرون عذاب الله، الذي يحل بهم عاجلاً أم آجلاً.

[١٠٣] و عذاب الله ليس أعمى يصيب الجميع، بل يتعد عن رسول الله و المؤمنين، لأن الله هو الذي يرسل عذابه و هو الحكيم
العليم.

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ وَ نَجَاهُ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنِينَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنْ الْعَذَابَ لَيْسَ بِسَبَبِ
عوامل طبيعیه، كالشتاء و الصيف، لأنه ان كان كذلك شمل الجميع، بل بإرادته غيبیه، كما ان ذلك دليل على أن الناس لو آمنوا
لتجنبوا العذاب بايمانهم، و ربما تشير نهايه الآيه الى هذه الفكرة.

ص: ٤٤٣

اشاره

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)

عامل برسالته شاهد على الناس

هدى من الآيات:

فى الدرر الأخر من هذه السوره، حدّد الله مسؤليه الرسول لو لم يتبعه الناس شكّا فى رسالته، تلك هى رفض عباده الآلهه، و إخلاص العبوديه لله، و الايمان الصادق به، و تطبيق أحكام الله ظاهرا و باطنا، و الآ- يدعو مع الله الآلهه و الأصنام البشريه و الحجريه، فىكون آئذ ظالما لنفسه لأنها لا تضر و لا تنفع، ذلك لأن ما يضر حقا هو الله سبحانه، الذى لو أصاب الإنسان ضرما كشفه سوى رحمته الواسعه، و ان أصابه خير فبفضله سبحانه، و لا أحد يستطيع سلبه منه، فمسؤليه الرسول هى إخلاص الطاعه لله، و لكنه ليس مسؤلا عن الناس، لأن الهدى فى منفعه البشر نفسه، كما ان الضلال يضره شخصيا، أما الرسول فانه يتبع ما يوحى اليه، و يصبر بانتظار حكم الله الذى هو خير الحاكمين.

موقف الرسول:

[١٠٤] من أهم المكاسب الرسالية لبعثه الأنبياء هو إنشاء واقع اجتماعي جديد، يتجاوز دور التبليغ و الدعوه، فاذا كان خط الكفر و الضلاله شاكا في دين الله، فان النبي على يقين من هذا الدين نظريا، و يعمل ببرامج الدين عمليا، فيصنع بذلك واقعا اجتماعيا ثقيلا و متينا، تمهيدا لتأسيس مجتمع مؤمن الى جانب المجتمع الكافر، و خط ايماني نقي الى جانب خطوط الشرك و الشبهه.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي و التردد مبعثه الشهوات و الأهواء، و تهيب الواقع الجديد، فان الرسول ليس في شك من دينه، بل أنه على يقين و هو قدوتكم جميعا في هذا الخط، و عمله الخالص لله يفتح لكم الطريق الذي تجبنون من السلوك فيه.

فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأنا أول من تحمل الضغوط و مشاكل الكفر بالشركاء و التمرد على سلطان الآلهه.

وَ لَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَ أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أى شخصيا أنتمى الى جماعه الايمان فى مواجهه الجاهليه.

مسئوليه الرسول:

[١٠٥] و قد أكد القرآن الأمر الأخير، الذى جاء فى نهايه الآيه السابقه، و هو السبق الى الايمان و الاستقامه عليه، لأهميته فى زرع بذور الايمان فى تلك النفوس

وَ أَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَى انفصل عن واقع الجاهليه نظريا بالحنفيه، و عمليا بالتوحيد.

[١٠٦] و جاءت الآيه الثالثه تؤكد نهايه الآيه الثانيه و هى رفض الشرك و تعللها بقوله تعالى:

وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ أَى لا تطلب حاجه من الآلهه الصماء أو الآلهه البشريه الضعيفه التى تعبد من دون الله، من دون أن تملك شيئا من قوه النفع و الضرر إلا بأذن الله.

فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ان التسليم للآلهه و الشركاء ظلم للنفس، حين يفقد البشر هويته التى هى أعلى جوهره يملكها، و هو ظلم للناس بتشجيع الضلاله الفكرية، و التسلط السياسى، و هو ظلم للشركاء أنفسهم بتشجيعهم على امتهان حرفه الطغيان، و الزعم بأنهم آلهه من دون الله.

[١٠٧] النافع الضار هو الله حقا، لأنه إذا ابتلى أحدا بضراء لا يكشفها أحد غيره، و ان منح خيرا لم يقدر أحد على سلبه.

وَ إِنْ يَمَسُّشَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ
الذى تسبق رحمته غضبه، و لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب رحمه بهم

و فضلا، و لا يعجل على المذنبين بذنوبهم.

مسئليه الجماهير:

[١٠٨] الرسول أول من أمر بالعمل برسالته، و هو رائد المؤمنين الذى يخترق طريق الايمان بثقه و عزم و توكل على الله، و لكنه ليس وكيلا- عنهم فلا يجبر الناس على الايمان، و لا يسلبهم مسئوليه قرارهم النهائى برفض أو قبول الرساله، بل من ضل فضلالته مواجهه ضد نفسه، و من اهتدى فهدايته نافعه لنفسه.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [١٠٩] و لكن استقامه الرسول على طريق الحق تكلفه الكثير، فان عدم اتباع الضلال سوف يؤذونه بمختلف الوسائل، و عليه ان يصبر و ينتظر حكم الله، و هذا الصبر بدوره دليل آخر على صدق رسالته، و يرفع حواجز الشك و التردد الموجوده فى نفوس الناس، حيث يتهمون الرسول بأنه يطلب السلطه أو الثروه، و لكن هل هذا طريق من يطلب الدنيا، أن يخالف دين الناس، و يثور ضد كل قوه أرضيه، و يصبر على الأذى فى هذا الطريق؟! وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

ص: ٤٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

